محمد صادق

رواية

ثم لاشيء بعد ذلك

الرواق للنشر والتوزيع



آن

محمد صادق

الطبعة الأولى: 2025



186 عمارات امتداد رمسيس 2
مدينة نصر - القاهرة - مصر
هاتف: 20220812006+
rewaq2011@gmail.com
www.alrewaqpublishing.com

الإخراج الفني: ضياء فريد
المراجعة اللغوية: أسماء أبو المجد
تصميم الغلاف: كريم آدم
الترقيم الدولي: 978-977-824-272-0
رقم الإيداع: 34524/ 2024

إهداء

إلى الحلم..

ما زلت أضحي بكل شيءٍ من أجلك..

فلا تخذلني.

تمهيد

نظرت «سارة» إلى الباب الضخم المغلق أمامها...

أوقفها مُنسّق الزفاف في ذلك المكان، لا تدري لماذا كان ينظر لها بقليلٍ من التوجس، يبتسم ابتسامة مجاملة تخفي نظرة عينيه القلقة، وسأل:

-إنت كويسة يا عروسة؟

أومأت له برأسها أن نعم، رغم أن كيانها كله كان يخبرها بأن كل ما يحدث حولها الآن خطأ.. هي لا تنتمي إلى كل ما يحدث حولها الآن.

ليس من المفترض أن تكون هنا.

ابتسم المنسق وقال إنه لا بد أن يذهب إلى العريس حتى يستعد للظهور المختلف للعريس والعروس، الذي ينسقونه في حفلات الزفاف. لم تحبه وتشعر بأنه مجرد استعراض مبالغ فيه، لكن «علي» أصر، فلم تُرد أن تحبطه.

همس لها منسق الزفاف أن الأمر لن يأخذ أكثر من دقائق معدودة وسيعود ثانيةً.. نظرت له لحظاتٍ وهي تومئ برأسها أن نعم.. تشعر بثقل الفستان على جسدها كله.. نظر لها المنسق لحظاتٍ وهو يضيق عينيه في شك، مما جعلها تقول بعصبية لا تعرف مصدرها:

-واقف ليه؟ اتفضل!

تخشب جسده، ابتسم ابتسامة دبلوماسية احترافية وتركها وحيدة...

لتنظر هي إلى كل شيء حولها وتشعر بصدرها ينقبض.

ارتفعت الموسيقى بالداخل.. سمعت أصوات التهليل والزغاريد العالية، فزاد ارتباكها.. تريد أن تبكي.. تريد أن تخبر الجميع بكل ما يثقل صدرها.

لكنها لا تستطيع...

ضاق نفَسها وأصبح ككتل من الطوب لا يطيق قفصها الصدري تحمُّل ثقله.

نظرت إلى الممر الخالي خلفها.. آخره صالة الفندق وباب الخروج والدخول للفندق.. الجميع بالداخل ينتظرونها.

والوحيد الذي تنتظره لن يأتي أبدًا...

تجمعت الدموع في عينيها.. ارتفع إيقاع الأغنية بالداخل.. زاد التهليل والزغاريد والفرحة، لتزيد معها دقات قلبها المتوترة تهز كيانها كله.. نظرت ثانيةً إلى باب الخروج آخر الممر...

رأت من بعيد منسق الزفاف يعود من الطرف الجانبي للممر.. يبتسم ابتسامة رسمية اعتاد أداءها طوال مهنته.. شعرت بدقات قلبها تزيد مع خطواته.. رأت حركته بالتصوير البطيء كأنه ملك الموت يأتي ليأخذ روحها.. اختفى نفَسها من داخل صدرها.. اختفى كل شيء يربطها بالواقع.

فجأةً، ودون تفكير.. لمّت أطراف فستانها ورفعته قليلًا، وانطلقت تركض بقوة.. متجهةً إلى آخر الممر.. حيث باب الخروج...

انتفض جسد المنسق وتسارعت خطواته وهو يصيح:

-يا عروسة...

لم تبالِ بنظرات الناس التي تتابعها بدهشة. لم تبالِ بصيحات منسق الفرح المذعورة خلفها. ركضت بكل قوتها حتى اقترب الباب الإلكتروني الذي لم تتركه ينفتح لنهايته، بل عبرته سريعًا.. ضربها الهواء البارد في أنفها، لتشعر أول مرة بأنها تستطيع أن تتنفس.

لكنها لم تتوقف...

استمرت في الركض، حتى وصلت إلى ساحة انتظار السيارات، تلفَّتت حولها، أخرجت من البوكيه ذلك الشيء الذي دفنته فيه منذ ربع ساعة قبل نزولها إلى القاعة...

مفتاح سيارتها...

أخرجت المفتاح، ألقت البوكيه أرضًا وركضت تجاه عربتها...

لتجده واقفًا، مستندًا إلى عربتها...

ارتفعت عيناها في حنين لم تستطع منعه.. نظرت له في بذلته الرمادية التي يفضلها.. يقف يشرب سيجارة ويبدو عليه حزن كبير.. خلفه من بعيد يسكن القمر في السماء كأنما قرر القمر أن ينيره بضيٍّ خافت.

لمحها، فاعتدل وهو ينظر لها غير مصدق...

اقتربت منه في خطوات سريعة، قابلها بسؤال مستنكر:

-بتعملي إيه؟

صاحت بسرعة، وهي تسمع صدى صوت المنسق يناديها من بعيد:

-أنا هاركب العربية وأمشي.. هتيجي ولا هتخاف؟

نظر لها نظرته التي تحفظها عن ظهر قلب، تلك النظرة التي تفكر في كل شيء، يحسب كل الظروف والإجابات والسيناريوهات الممكنة، لذا صاحت بقوة:

-مافيش وقت إنك تفكر، هتيجي ولا هتخاف؟

تأملها لحظة، ارتاحت عيناه وهو ينظر إلى عينيها، فابتسمت في أمل وأنفاسها تنتظم ثانية منذ أن رأته، ابتسم ابتسامته الهادئة، هز كتفه بلا مبالاة:

-لو من غير تفكير يبقى هاجي معاك لآخر الدنيا.

ابتسمت في سعادة، لم تستطع أن تمنع دمعة عينيها من ترك جفنها الذي كان خائفًا واطمأن الآن، وفتحت باب سائق السيارة، لتجده يركب جانبها.

نظرت إلى ساعة العربة لتجدها الثامنة مساءً، أغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا، ودون انتظار، أدارت العربة.

رأت في المرآة المنسق يركض وعلى وجهه أعتى علامات الذعر.. لتبتسم لأول مرة منذ ساعات.

وانطلقت بأقصى سرعة خارجةً من مكان انتظار السيارات.. ومن النادي كله...

***

الأول

8:00 مساءً

«نمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر...».

بابتسامةٍ واسعة، وقف «علي» بسترته الرائعة التي انتقاها لليلة عمره وزفافه.. نظر إلى أكتاف أصدقائه وأصدقائها، لأنه كان يقف في آخر الطابور الطويل المكون من أصدقائهم المقربين، نظر إلى ساعته ليجدها الثامنة إلا دقيقتين فازداد اتساع ابتسامته المُحبة.

وقف المنسق جانبه في فرحة مصطنعة، قال بهدوء:

-جاهز يا عريس؟ أنا لسه جاي من عندها، هي واقفة في مكانها.. هتخش بعد دخلتك على طول زي ما اتفقنا.

أومأ «علي» برأسه في حماس، نظر له وسأله بنظرة مُحبة:

-طمنّي عليها هي كويسة؟

ارتبك المنسق قليلًا، لكنه قال باحترافية:

-هي بس متوترة توتر العرايس عادي ماتقلقش.. بس هي في مكانها وأنا هافتحلك الباب وأروحلها جري.

نظر له «علي» بابتسامة، أكمل المنسق مازحًا:

-هاتأكدلك إنها ماهربتش...

ضحك «علي» ساخرًا، فضحك المنسق في ارتباك. أمسك المنسق باب القاعة الكبير، ثم فتح الباب وهو يشير إلى «علي» بالدخول مسرعًا.

ابتسم «علي» وهو يضع نظارة الشمس والطاقية اللتين أحضروهما له.. دخل الأصدقاء واحدًا تلو الآخر ليقفوا في طابور متقابل.. ابتسم وهو يرى فرحتهم ورقصهم.

وبخطوات واثقة دخل القاعة، يستقبله التكييف البارد والموسيقى الصاخبة.. لتملأ البهجة صدره فجأة.

دخل ورقص ببلاهة كما أخبروه أن يفعل، صفق الجميع له وأخذوا يضحكون مشجعين، مرّ بين صفوف أصدقائه يسلم عليهم كبطل ملاكمة، حتى وقف في منتصف القاعة، خلفه خالة العروس وزوجها، واقفَين كما اتفقوا، ووقف عاقدًا حاجبيه رافعًا رأسه في شموخ، وانتظر...

ثم غيّر الـ«Dj» الأغنية إلى تلك الأغنية التي اختارتها «سارة» بنفسها.. أغنية «لون عيونك» لنانسي عجرم، لكن بتوزيع حديث يجعلها أبطأ.

قالت «سارة» إنها تعشقها فوافق على الفور.. انتظر «علي» عاقدًا حاجبيه رافعًا رأسه إلى أعلى كأي ديك فخور بفحولته، مرّ وقت طويل قليلًا وباب القاعة مغلق تمامًا وينتظر الجميع فتحه، بدأ «علي» يتململ في وقفته قليلًا، و«نانسي» تصرخ في المكبرات أنها لن تستطيع أن تعيش إلا معه، ثم انفتح الباب ببطء، فتحمس ثانيةً وابتسم في انتظار رؤية ملاكه...

انفتح الباب ليكشف عن منسق الفرح الذي وقف وحده في ارتباك، يلهث بقوة وهناك عرق غزير على جبينه...

توقف «علي» عن التنفس لحظات، ونظر إلى المنسق بعدم فهم، كما فعل الأصدقاء في الطابور، الذين كفوا عن التصفيق. عندما وجد الرجل نظرات الجميع القلقة عليه، وتوقُّفهم عن التصفيق.. هز كتفه قليلًا ورفع يديه راقصًا على الموسيقى وهو يسير وسط

ممر الأصدقاء، أعادت حركته البسيطة تلك الناس للاحتفال فبدؤوا يصفقون جميعًا وقد ظنوا أنها فقرة أخرى في الزفاف، الوحيد الذي نظر إلى الرجل بقلق لم يظهر خلف نظارته الشمسية كان «علي»...

ظل يراقب الرجل حتى اقترب منه وهمس في أذنه:

-العروسة هربت...

لكن مع صوت الموسيقى العالي، كان همسه أقرب إلى الصراخ حتى يستطيع أن يصل صوته إلى أذن «علي» الذي لم يستوعب، فمال بأذنه أكثر ناحية الرجل، ليصرخ الرجل ثانية، لكن لسوء حظ «علي» في تلك الليلة اللعينة، انتهت الأغنية في نفس اللحظة، فدوّى صوت الرجل عاليًا في القاعة الصامتة تمامًا:

-العروسة هربت حضرتك...

انقبض قلب «علي» وتجمد جسده وهو ينظر إلى المنسق الذي ينظر له نظرةً آسفة...

ساد صمت تام للحظات، قطعه صرخة من زوجة خال العروس خلفه، وشهقات مَن بالقاعة كلهم.

***

ما هذا الجنون الذي تفعله؟!

بدا الطريق الواسع أمامها مكانًا تستطيع أن تتنفس فيه بحرية، فأخذت نفسًا عميقًا وشعرت به يتسلل داخلها بسهولة وسلاسة.. خلاف صعوبته منذ دقائق في القاعة أمام الباب الضخم.

نظرت «سارة» بطرف عينيها له.. لتجده ينظر من نافذة العربة إلى الطريق ويهز رأسه مع الأغاني التي بدأت في العربة بخاصية توصيل هاتفها بالـBluetooth.

بدأت أغنية تعشقها في لائحة أغانيها التي حفظتها على هاتفها المحمول وتوصلها بكاسيت العربة.. رفعت من درجة الصوت إلى درجة كادت تصمُّها، لكنه لم يعترض بل ابتسم في شجن عندما بدأ اللحن الحزين في هز قلبهما:

«hejo da le luna» أو «ابن القمر».

تعشق الأغنية رغم أنها كانت بلغة لا تفهمها على الإطلاق.

هو الذي جعلها تسمعها وتعشقها، كما يفعل دومًا.. لم يكن يفهم كلامها، لكنه تخيل أنها تحكي عن قصة أسطورية ما.. لحنها حانٍ، تحكي قصةً ما.. دائمًا ما كان يتخيل قصصًا كثيرة لا نهاية لها، وبسبب اللحن.. كانت قصص خياله دائمًا حزينة.

أو للدقة.. تنتهي دائمًا بنهاية حزينة.

وحتى الآن.. عندما وصل إلى عامه الرابع والثلاثين لم يعرف معنى كلماتها.. أصبحت الأغنية البسيطة ترتبط بروحه وكيانه إلى درجة أنه لم يعد يريد أن يعرف معنى كلماتها.. عندما حكى لها وأسمعها الأغنية، بحثت هي عن معاني كلماتها لتسعده، وعندما وجدتها أخيرًا قالت له:

-الأغنية دي أسباني.. اسمها «ابن القمر».

أوقفها بسرعة قبل أن تكمل كلامها.. مجرد أن عرف معنى عنوان

الأغنية أخذ الكثير من خياله.. تيقن لحظتها أنه لا يريد أن يعرف معناها؛ بالتأكيد مهما كانت كلماتها عبقرية، فلن تصل إلى ربع ما حلم به...

فكما علّمته دنياه الهادئة.. خياله الحر دائمًا أكثر إبداعًا من رتابة الواقع الممل.

أغمضت عينيها مبتسمةً لكل تلك الذكريات التي مرت بذهنها لمجرد سماعها.. انتهت الأغنية بنهايتها الهادئة التي تماثل بدايتها.. كحال دنيتها.. كل ما يبدأ ينتهي وكل ما ينتهي يبدأ.. بنفس الإيقاع.. ونفس الهدوء.

تأملته ثانية بطرف عينيها وابتسمت في اطمئنان، هناك مَن يشاركها ذلك القرار المجنون الذي لا تعرف آخره.. سألته ببسمة، تحاول إخفاء توترها:

-زهقان؟

هز رأسه بمعنى لا.. لم تستوعب هل يجاملها أم لا؟ الساعة الآن الثامنة وخمس دقائق.. صفاء الليل يحيطهما من كل جانب.

صمتت الدنيا لحظاتٍ أخذ فيها نفسًا عميقًا، التفت لها ونظر لها نظرةً حانية، كانت تقود العربة بتركيز تعلم جيدًا أنه هروب أكثر منه أي شيء آخر.. لاحظته ينظر إلى فستان الزفاف الذي ترتديه وغلبته ضحكة ساخرة، فنظرت له بلوم وقالت:

-ماتتريقش...

هز كتفه نافيًا أنه يسخر، قال ببسمة متفهمة:

-هنرجع إمتى؟

ظهرت دمعة محبوسة في عينيها، شعرت بنغزات خامة فستانها تؤلم صدرها، قالت بتصميم كأنها تقنع نفسها، لا تجاوب سؤالًا بسيطًا:

-أنا مش عاوزه أرجع...

لا بد أن هناك مصيبة قد حدثت الآن، لكنها لا تبالي ولا تريد أن تفكر، قال في محاولة أخيرة لبثّ جزء من التعقل في ثنايا عقلها المتمردة:

-طب وفرحك؟ الناس في القاعة مش هيستنوا لحد بكرة الصبح!

تركت دمعتها تهبط على وجنتها، تعلم أنه لم يكن يحب أن يراها تبكي، قالت بقوة رغم دموعها:

-أنا لو كنت قابلت أي حد في الدنيا كنت عمري ما هاقوله ييجي معايا.. بس قلتلك إنت بالذات عشان عارفة إنك هتسيبني براحتي.

ثم بدأ صوتها يذهب إلى تلك المنطقة الصوتية الغريبة عند النساء عندما يبكين، تسحبه من بطنها وليس من حنجرتها:

-عشان خاطري ماتسألش.. أنا مش قادرة وماسكة نفسي بالعافية.

نظر لها متفهمًا، وفعل أفضل ما يستطيع فعله طوال عمره، ابتسم ليضحكها قليلًا:

-أنا بس خايف نقف في لجنة يلاقوا واحدة بفستان فرحها بتعيط، يقبضوا عليا أنا!

ابتسمت بالفعل وسط بكائها، قالت تطمئنه:

-ماتخفش.. هاقولهم إنك إنت العريس.

لم يعلق، وابتسم يتأملها بنظرة لا تفهمها دائمًا، تحتار في ترجمة شعوره بالضبط.. قال بصوتٍ مرِح:

-آخر سؤال ووعد مش هسأل تاني.. إحنا هنروح فين؟

شردت لحظات وهزت كتفها في حيرة، ثم للحظة، نسيت كل شيء، وعادت تلك الفتاة التي تعشقها في نفسها.. لمعت عيناها في حماس، أشارت إلى أعلى وقالت كأنها تطرح فكرة عبقرية:

-هنمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر...

التفتت له لتجده ينظر لها نظرةً حانية، تحتوي كيانها كله، فابتسمت في حنين وقالت بصوتٍ خافت:

-فاكر؟

ابتسم وأومأ برأسه إيجابًا، فشعرت بدقات قلبها تعود لانتظامها أمام عينيه اللتين احتضنتاها في ثوانٍ، حوّل عينيه عنها ونظر إلى أعلى حيث تشير، وجد القمر يظهر أمامهما في السماء، كان القمر بدرًا ينير كل شيء حوله. ارتاح أكثر في مقعده، معلنًا موافقة مبدئية كما اعتاد أن يوافقها على جنونها. قال مادًا يديه مشيرًا إلى القمر:

-على بركة الله...

ثم استطرد ساخرًا:

-«سارة».. فيه بنزين يكفي في العربية صح؟

ضحكت ضحكة عالية، ثم قالت:

-ماتخفش يا «ياسين»، من ساعتها أصلًا وأنا كل ما بنزل بزود بنزين.

ثم ابتسمت في حماس، وضغطت دواسة البنزين أكثر..

***

الثاني

8:10 مساءً

«نقف.. لحد ما نبقى مش فاكرين الدنيا».

مئتان وخمسون فردًا...

ظل هذا الرقم يضرب عقل «علي» كجرس سخيف لا يكف عن إزعاجه.

مئتان وخمسون فردًا...

ما بين رجفة قدمه التي يقاومها كي لا تظهر أمام كل أهله وأصدقائه، ونبضات قلبه البطيئة التي حاربها كي تكمل دقاتها ولا يتوقف عن الحياة، وقف ثابتًا تمامًا، بنظارته الشمسية والطاقية التي تلمع.

نظر إلى الأرض وصمت، في مشهد عبثي لقاعة أفراح صامتة تمامًا، لا يكسر صمتها إلا شهقات دهشة وتعاطف.

شعر بيد تربِّت على كتفه، لم يهتم أن يعرف مَن صاحبها، أصر على صمته وظل ناظرًا إلى الأرض.. اعتاد حياته كلها أن يحسن التصرف في أي موقف، لكن في عمره كله لم يخبره أحد كيف يتصرف في موقف مثل هذا!

سمع صوت أبيه -الطبيب الشهير- «عبد الوهاب» الصارم يهمس خلفه فجأة:

-ارفع راسك يا ابني.. عمرك ما توطيها كده!

ضربت الكلمة صدره، مع نبرة أبيه التي وثق بها عمره كله، فظن أن هذا هو التصرف الصحيح؛ رفع رأسه ونظر إلى كل مَن في القاعة، ما بين الواقفين والجالسين، كلهم ينظرون له بشفقة يكرهها...

تحرك الكثير ليلتفوا حوله، لكنه تأمل أعينهم...

أعينهم زائفة، تتظاهر بالتعاطف والشفقة، وداخل معظمهم سخرية وتهجُّن مما يحدث، يرى في أعين النساء تلك النظرة التي تعلو وجه أمه وهي تشاهد مسلسلًا تركيًا؛ عدم التصديق والإثارة الخفية لبطل تتحطم مشاعره.

العروسة لم تحضر...

زوجته «سارة»...

كانت بين ذراعيه منذ ثلاث ساعات فقط...

تلك الموضة التي يفعلونها في كل حفلات الزفاف اليوم، ما يسمى بالـ«first look».. النظرة الأولى لعروسته.

وقف معطيًا ظهره لمكان خروجها، ووقف متحمسًا ليراها.. سمع صوت خشخشة فستانها فخفق قلبه.. رأى صديقاتها؛ «يسرا» و«أمل» وأخته «ريم» التي كانت السبب في تعارفهما لأنها من شلة «سارة» في الأساس، نظر لهن وأعينهن التي تلمع بالدموع فخفق قلبه في شوق.. لكنه انتظر.. قلن له إنها خلفه.. دار بجسده.. ليراها وتتسع عيناه في حب.

كانت تقف بفستان بسيط، يكشف كتفيها ويهبط برقة حول جسدها، يتلألأ عاكسًا أضواء دنياهما القادمة على وجهه.. لم تضع مساحيق تجميل كثيرة كما وعدته.. تبتسم ابتسامة رقيقة، كل شيء بسيط كقلبها الرقيق الذي عشقه.

خفق قلبه وهي تبدو كالملاك، كل تعبه الشاق في عمله، تحمُّله

لتقلبات الحياة حتى يستطيع أن يعيش معيشة آمنة، شقته التي تعب في أقساطها سنين طويلة حتى أصبحت ملكه كما يريد، والآن هي.. الوعد الذي يترجم كل شقائه في عائلة يرغب في بنائها.

دمعت عيناه دون أن يدري، لاحظ دموعه عندما سمع صيحات صديقاتها عن مدى حبه لها بسبب بكائه، ابتسم بخجل وهو يمسح دمعته، في حين ضحكت له وهي تراه ببذلة الفرح الأنيقة، لم يستطع منع نفسه واحتضنها، ابتسمت خالتها «راوية» في حنان، لتصيح «سارة» مازحةً كعادتها:

-كده هتبهدل الميك أب من قبل الفرح!

ابتعد مسرعًا، وابتسم لها قائلًا بصوتٍ تهدّج من إحساسه:

-بحبك...

هنا رأى نظرتها.. ويتذكرها الآن ألف مرة وهو يقف في القاعة وحيدًا...

لحظتها ارتبكت ونظرت إلى الأرض، اختفت ابتسامتها لثوانٍ ثم عادت ثانيةً، لم يرَ ذلك وقتها وظن أنها خجولة، لكنه الآن يتذكرها ويحاول تفسيرها بمئات المعاني المختلفة...

هل كانت تعلم أنها ستهرب؟ هل لم تشعر كما يشعر هو؟

يدرك الآن أن نظرته إلى فستانها والحالة الملائكية جعلتاه لا يرى عينيها الحمراوين، وضحكها ومزاحها المفتعلَين، جمودها الذي سيطر على تصرفاتها...

هل كانت تبكي؟

لم يعد يعرف شيئًا...

-تعالى هنا!

سمع صيحة أبيه «عبد الوهاب» العالية في منسق الفرح، فعاد إلى أرض الواقع وهو ينظر إلى أبيه الذي جذب المنسق وعاد به أمام «علي».. نظر «عبد الوهاب» إلى المنسق أمامه والبشر المتجمعين حوله، أمسك كتفه وقال بصرامة:

-يعني إيه هربت.. إنت متأكد؟!

ارتبك المنسق لحظاتٍ، ثم قال محاولًا السيطرة على الموقف:

-أنا شفتها بتخرج من القاعة وبتركب العربية وتمشي.. و...

بتر جملته فجأة وضم شفتيه، لم يرغب في أن يقول أكثر من ذلك حتى لا يتفاقم الموقف، نظر «علي» إلى أبيه وربّت على كتفه، لكن «راوية» خالة العروس تدخلت فجأة وصاحت:

-يبقى أكيد نسيت حاجة وراحت تجيبها...

بدت الجملة سخيفة بما يكفي ليسمع «علي» صوت ضحكات ساخرة خفيفة من الناس حولهم، نظر لها «عبد الوهاب» لحظاتٍ، ثم نظر إلى «علي» نظرةً طويلة، جاوب «علي» نظرته بنظرة رجاء ألا ينفجر الآن، فابتسم الأب وأطرق لحظاتٍ، ثم اتسعت ابتسامته في وقار يحفظه «علي»، وقار يخفي عاصفة على وشك الحدوث، قال «عبد الوهاب» بدبلوماسية وبصوتٍ عالٍ:

-إحنا هنستنى نص ساعة كده.

ثم ينظر إلى «راوية» بأبوة وحنان ويكمل:

-شوفوا هي فين أو نسيت إيه.. البنت بقت بنتنا.. بس البنات بتبقى خايفة ليلة فرحها وممكن تكون متوترة وخايفة وعاوزة حد يطمنها... ماتقلقوش.

وكأن جملته أبردت صدور الجميع، ارتسمت علامات الراحة على وجه «راوية» خالة «سارة»، نظر «أحمد» زوج خالتها إلى «عبد الوهاب» في احترامٍ وتقدير، تصاعدت الهمسات المؤيدة لكلام الأب.

نظر لهم «علي» وهو يشعر لأول مرة بأمل.. حتى لو كان بعيدًا...

فجأة ضحك الأب ضحكة عالية، وقال بصوتٍ عالٍ للجميع:

-ولحد ما نعرف فيه إيه.. أنا هافتح البوفيه.. عشان أهه يبقى اسمنا أكلنا حاجة حلوة لحد ما العروسة تيجي.

دوّت ضحكة عالية وصيحات تهليل وتصفيق خفيف بعد ما قاله «عبد الوهاب»، في حين نظر «عبد الوهاب» نظرة آمرة إلى المنسق، أدرك المنسق الأمر وذهب مسرعًا، نظر له «علي» في عدم فهم، ليقول الأب بصرامة تختلف عن تلك الابتسامة الدبلوماسية التي كان يتظاهر بها أمام الجميع:

-الناس جاعت.. مايصحش كده!

ورمق «علي» بنظرة قاسية وهو يكمل:

-أما نشوف آخرة الليلة السودة دي إيه!

قالها وابتعد، ساحبًا الأمل من قلب «علي» معه...

***

-كان نفسي أرقص سلو النهارده.

قالتها «سارة» ببسمة هادئة، كانت أغنية هادئة تصدر من السماعات، أغنية الرقصة البطيئة التي حددتها مع «علي».

قالت بعد شنّة رقيقة من أنفها:

-تعرف إن بنات كتير بيتجوزوا بس عشان يرقصوا سلو؟

رغم تركيزها في الطريق فقد شعرت باهتمامه وهو ينظر لها، تعلم أنها تريد أن تتحدث في أي شيء كي تبعد عقلها قليلًا عن كل ما يحدث، ما زال القمر أمامهما ولم يختفِ بعد عن أعينهما، ابتسم ناظرًا لها دون تعليق، لتكمل هي:

-إحنا هبل قوي على فكرة.. من كتر ما بنشوف في الأفلام والأفراح.. ممكن نحلم بس إننا نتجوز عشان نرقص رقصة سلو ويبقى شكلنا حلو زي ما بنشوف.. نبقى في حضن حد بنحبه قدام الناس كلها.. ممكن نستحمل كل حاجة بعد كده من قرف الجواز عشان بس الحلم ده يتحقق.

كانت تعرف «ياسين» أكثر مما يعرف هو نفسه، قرر الصمت كعادته، قالت تكمل كلامها الذي تعلم أنه لم يسمع نصفه:

-صاحبتي بعد خمس سنين جواز اتطلقت، لما سألتها إزاي وإنتم بتحبوا بعض قوي كده، قالتلي عشان إحنا هنا بنتجوز غلط..

بيعاملونا معاملة البقرة.. اشغلهم بحاجة عشان مايتطلقوش.. اشغلهم بطلبات الشقة والعفش والشبكة، بعدها اشغلهم بالعيل اللي هيطلّع عينهم، بعدها اشغلهم بإنهم يجيبوا أخ للعيل الأولاني اللي زنوا عليه.. بعدها بقى مدراس العيال والساقية تاخدنا لحد ما نلاقينا بنجوزهم ونمشيهم في حياتهم.. نرجع بيتنا نلاقينا قاعدين بقالنا عشرين سنة مع واحد مانعرفوش ولا هو يعرفنا!

ابتسم بهدوء وقال:

-نظرية الجزرة والحمار!

أومأت برأسها متفهمة، أكملت معيدةً نفسها للحالة:

-المهم إني كان نفسي أرقص سلو قوي النهارده.. مافيش مشكلة إني أهرب بعدها.. بس أرقص سلو.

فكرت لحظاتٍ، ثم ابتسمت في هدوء وضغطت زر الانتظار، وهناك فكرة تحتلها، قال لها متسائلًا:

-بتعملي إيه؟ إحنا على الدائري، البطيء ده برضه نزلة سريعة!

رغم اعتراضه دخلت في الطريق البطيء بالفعل، هدّأت من سرعتها وركنت العربة تحت كوبري التجمع الأول، نظر لها في تساؤل، فابتسمت وهي تمسك هاتفها وأخذت تبحث عن أغنية ما في سرعة، لتسمع صوته يسأل:

-هتعملي إيه يا «سارة»؟!

قالت بسرعة:

-هاسمع كلامك... مش لما كنت بتتوتر وبتفتكر حاجة وحشة بتقولي اقفي.. وقّفي كل حاجة وخدي نفس عميق لحد ما تنسي.. فإحنا هنوقف لحد ما نبقى مش فاكرين الدنيا.

لمعت عيناها في سعادة عندما وجدت الأغنية، ضغطت عليها فبدأت نغماتها الهادئة تصدر من السماعات، هبطت من العربة مسرعة، ذهبت إلى الباب ناحيته وفتحته قائلةً بحماس خاصمها طويلًا:

-اخرج...

نظر لها بتكاسل، ثم أمسك بيدها وخرج من العربة، وقفا أمام بعضهما لحظةً وهو ينظر لها في حيرة، قالت وهي تنظر له بثقة وتلك الحالة من الحرية تجتاح كيانها:

-ارقص معايا.

صمت لحظاتٍ، قرّبها من جسده وأحاط بذراعيه خصرها.. ضحكت في خجل رغم أنها صاحبة الفكرة، في حين ابتسم هو بثقة، قالت مازحةً كي تداري خجلها:

-طول عمرك بتقولي إنك بتاع أفعال..إنت مش بتعرف تواسي وتقول كلام كبير بس بتعرف تعمل كل حاجة.. عشان كده أي حاجة نفسي فيها النهارده إنت هتعملها.

قال بنبرة ساخرة كعادته، تحمل مئات الأحاسيس:

-بس إحنا لسه شايفين القمر.

غمزت بعينيها وقالت مبتسمة:

-أنا وقّفتك تحت الكوبري عشان كده.. هنعتبر القمر مش موجود مؤقتًا عشان إحنا مش شايفينه... وهنكمل طريقنا عادي.

تمايلا على نغمات الموسيقى، قالت وهي تضع يديها على كتفه، وقد شعرت بشيء ما تفتقده وهي قريبة منه إلى تلك الدرجة:

-إنت مكتوب عليك تفضل معايا في الشارع كده كل شوية؟

ضحك هو بمرح وقال بصدق:

-اتنين زينا مافيش غير الشارع يلمهم...

نظرت له نظرة حانية، ثم استسلمت لتلك الحالة البسيطة التي جعلتها تنسى كل ما هي فيه.. أراحت رأسها على كتفه وتمايلت معه.. ناسيةً العالم كله ولو للحظاتٍ قليلة...

***

الثالث

8:20 مساءً

«نرقص لحد ما نبقى مش شايفين أي ثوابت في حياتنا».

كانت أتعس قاعات الزفاف على الإطلاق...

تداخُل أصوات المدعوِّين يصدر نغمة من الضوضاء العابثة، مصدر الموسيقى الوحيد صادر من حفل الزفاف في القاعة المجاورة، نظر «علي» الذي جلس إلى منضدة العريس والعروس في منتصف القاعة وحده، حوله يأكل الجميع ويتسامرون كأنها حفلة شواء.

لماذا أصر والده على أن يفتح البوفيه؟

هجم الجميع على الأكل كأنهم لم يأكلوا من قبل، يستطيع أن يعذرهم؛ الملل قاتل في قاعة بلا عروسة.. ثم إنهم لا بد وأن يعوضوا هذا المجهود من ارتداء الملابس ووضع أطنان من مساحيق التجميل من أجل ليلة كهذه.. هناك أحلام معظم الفتيات أن يقتنصن عريسًا وهن يهززن أكتفاهن بخجل... ولحظة التتويج التي يدّعي معظم الفتيات أنهن يكرهنها، لحظة إلقاء البوكيه وتمييز العروسة القادمة المتاحة تحت الطلب.. كل هذه الأحلام تدمرت بسبب هروب «سارة» المفاجئ... فلماذا لا يأكلون شيئًا يعوض كل تلك الأحلام التي لم تتحقق؟!

نظر إلى الطبق البائس أمامه، وضعوا فيه نصيبه ونصيب العروسة أيضًا، ربما كي يعوضوه عن غيابها، رغم كل ما فيه ضحك «علي» من هذه الخاطرة.. تخيل الطباخ وهو يصرخ في مساعديه أن يضعوا مزيدًا من الأكل في طبقه كي يواسي العريس الذي لم تأتِ عروسته ليلة الزفاف.

-والله حلوة الضحكة دي.

قالتها أخته وهي تجلس على مقعد العروسة أمامه، نظر لها نظرة لا مبالية. تلفّتت أخته حوله، نظرت له نظرة حانية وابتسمت:

-نفسك كل الناس دي تمشي صح؟

هز رأسه نفيًا وقال بصدق:

-نفسي أنا اللي أختفي.

قالت بقوة تطمئنه:

-لو عاوز تمشي ماحدش هيقولك حاجة.. سيب الموضوع ده عليا أنا.

ابتسم ونظر لها بحب:

-أنا لسه عندي أمل إنها هترجع.. شفتِ هبل كده؟

رأى على ملامحها شفقة ظهرت دون أن تقصد، لهذا كان لا يريد أن يُحدِّث أحدًا، قال مغيرًا الحديث:

-أمّال فين خطيبك صحيح، سايبك لوحدك ليه يا «ريم»؟!

ظهر على ملامح «ريم» علامات ضيق خفيفة، نظرت إلى خطيبها الجالس ويبدو عليه الضيق هو الآخر، وقالت وهي تزفر:

-متعصب جدًا من اللي حاصل وبيحاول يوصلهم بس ماحدش بيرد على الموبايل.

أومأ برأسه في تفهُّم بشرود، حامت الكلمة في عقله كذبابة تائهة، ثم استقرت في منطقة الاستيعاب داخل شروده، فعقد حاجبيه، قال

ببطء:

-يوصلهم؟ هي «سارة» مع حد؟

أدركت «ريم» للحظة أنها قالت شيئًا ما خطأ، نظرت إلى الكوشة الفارغة بتلقائية كطفلٍ تم ضبطه متلبسًا، قال «علي» في هدوء داخله غضب يتصاعد:

-طيب أنا هاشوف الموضوع فيه إيه...

نهض من مقعده، فانتفضت «ريم» ونهضت معه قائلة:

-لا يا «علي».. عشان خاطري إنت فيك اللي مكفيك.

اتجه «علي» بخطوات سريعة إلى منضدة خطيبها، خلفه نظراتها القلقة، لمحه خطيبها فاعتدل في جلسته ونظر له بترقب مبتسمًا، اقترب «علي» وهو يعلم جيدًا أنهم جميعًا سيعاملونه معاملة المريض الذين يخشون على صحته، فيتكتمون على كل شيء، قرر أن يهدأ ويسأل الأسئلة الصحيحة، جلس على مقعد جانب خطيب «ريم» وهو يبتسم قائلًا:

-فيه حد رد عليك فيهم يا «عاصي»؟

ابتسم «أحمد العاصي» في ارتباك، نظر بلوم إلى «ريم» التي يبدو عليها الخوف، ظنًا منه أنها أخبرت «علي»، هرش ذقنه الطويل المنمق وقال بارتباك:

-والله أنا بحاول أوصله من ساعتها ومش بيرد على التليفون.

لم يفهم «علي» كل شيء، لكن كلام «عاصي» جعله يتأكد من شكٍّ

داخله، قال سؤالًا بحرص شديد كي لا يخطئ:

-مش بيرد ولا موبايله مقفول؟

أشارت «ريم» له أن يصمت، لكن «عاصي» كان تركيزه كله في عينَي «علي»، فقال وهو يزفر في يأس:

-مش بيرد.. وموبايل «سارة» مقفول طبعًا.. بس أنا حاسس إنها عاملة بلاك ليست لإنه بيضرب ربع جرس بعد كده يقفل!

وربّت «عاصي» على كتف «علي» مُهوِّنًا، نظر في عينيه مباشرة وقال بنبرة حاسمة يدمر أول أسوار الأمل في قلبه:

-أقسم بالله ما هاسيب اللي حصلك منهم ده يعدي.. مش عشان إنت أخو خطيبتي.. عشان إنت بقيت صاحبي وتخصني.

وأكمل بقوة حمقاء لا ترى العلامات على وجه «علي»، مدمرًا بقية الأسوار دفعةً واحدة:

-وعمري ما هاسامح «سارة» ولا «ياسين» على اللي عملوه ده!

كم المعلومات التي يستقبلها «علي» جعلته يتجمد للحظات، حدق في وجه «عاصي» بنظرة متشككة، سأل وهناك غضب يطفو على سطح وجهه، غضب مكتوم منذ أن بدأت تلك الليلة المشؤومة:

-«ياسين»؟!

لم يفهم «عاصي» التساؤل، قال «علي» بنبرة جعلت جسد «عاصي» يرتجف:

-إنت متأكد إن «ياسين» مشي مع «سارة»؟

استقبل «عاصي» كلمته بدهشة، أدرك أنه قال أكثر من ما ينبغي، نظر في ارتباك إلى «علي» الذي صاح في غضب:

-رُد على أمي!

صوته العالي دوّى في القاعة فصمتت عن ضوضائها، التفّت العيون كلها متجهةً لهم، بدأ بعض الأصدقاء في السير نحوهما في سرعة ليروا ماذا هناك، نظر «عاصي» حوله في ارتباك، عندما لامه «علي» ظن أنه يعرف، نظر لأول مرة إلى خطيبته «ريم» التي بدا على وجهها خوف، بدت عليه الحيرة قليلًا، ثم حسم القرار داخله، لا يصح أن يظل «علي» في الظلام أكثر من هذا، قال بصوت خفيض ناظرًا إلى «علي» برجاء:

-من ساعة ما «سارة» مشيت وأنا دورت على «ياسين» مالقيتوش خالص. كلِّمته على موبايله وموبايل مامته ماحدش رد، فاستنتجت إنه...

صرخ «علي» وقد فلت تحكُّمه في أعصابه تمامًا:

-يعني عاوز تقولي إن صاحبك الزبالة خد مراتي ومشي؟

لم يعد هناك صوت في القاعة، بدأ الأصدقاء في الركض ناحيتهما الآن، وقف «عاصي» في ارتباك وهو يمد يده ليهدئ من روع «علي» قليلًا:

-اهدا بس يا «علي».. إحنا لسه مش متأكدين!

صرخ «علي» دون تفكير:

-يلعن أبو معرفتكم يا أخي!

ودون تفكير هوى بلكمة قوية على وجه «عاصي» الذي لم يتوقعها، فارتدّ على المقعد، ووقع بالمقعد على الأرض في قوة...

***

كلما تمر عربة من جانبهما، يهدئ صاحبها من سرعته، ويضرب من بوق عربته لحن الاحتفال بالزفاف المشهور، فتضحك «سارة» في فرحة، ويبتسم «ياسين» في حنان وهو يراقصها.

نسيت «سارة» كل شيء وهي تشعر بانتظام أنفاسها التي هدأت قليلًا وارتاحت، رأسها الموضوع على صدره، جعلها تسمع خفقات قلبه العالية، فتشعر باطمئنان أكبر.

عبقرية تلك الرقصة البسيطة أنها توحّد روحين عاشتا حياتهما تبحثان عن تلك اللحظة النادرة من التلاقي، فتجعل كل روح تستكين في رحاب الأخرى.

في أبعد تخيلاتها لم تكن لتتخيل أن هذا اليوم الذي بدأ بحزن لا يطاق، سينتهي بأنها بين ذراعيه هاربة من كل شيء معه.

قال بابتسامة وهو يميل برأسه ليستند إلى رأسها:

-ثـ.. تحبي نعمل إيه بعد كده؟

ابتسمت وهي مغمضة العينين، قالت بسخرية:

-إنت كنت هتقول «ثم» صح؟

قال بضحكة فلتت منه:

-لازمة في لساني مش عارف أبطلها.. بس بحاول أهه...

ابتسمت في حنين وقالت:

-ماتبطلهاش...

ونظرت في عينيه مكملةً:

-ماتبطلش أي حاجة بتعملها.

ابتسم في حنان وهو يتمايل ويرقص معها. قالت تجاوب سؤاله الأصلي:

-هنرقص لحد ما نتعب.

هز رأسه نفيًا، وقال بابتسامة عابثة:

-لا ماتبوظيش الوسواس بتاعي.

ورفع إصبعه كي يشرح أكثر:

-«نمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر».. «نقف لحد ما نبقى مش فاكرين الدنيا».. لازم أحلامك كلها تفضل مترتبة كده.. نعمل حاجة لحد ما نبقى مش حاجة...

ضحكت بقوة وهي تهز رأسها بمعنى لا فائدة، فكرت قليلًا ثم قالت:

-ممم ماشي.

وقالت بسعادة كأنما وجدت حل لغزٍ صعب:

-نرقص لحد ما نبقى مش شايفين أي ثوابت في حياتنا.

هز رأسه بعدم رضا، ثم ابتسم:

-فلسفة قوي.. عارفة الجمل بتاعة الانستجرام دي؟ بس مش بطالة.

تمايلا قليلًا، ثم تحولت الأغنية فجأة على هاتفها المحمول إلى آخر أغنية تريد «سارة» أن تسمعها الآن:

«.Maître Gims -est- ce tu m’amies»

كانت أغنية فرنسية راقصة قليلًا، لكنها تحكي كل ما تشعر به «سارة» نحوه، ارتبكت للحظات ثم تذكرت أنها لا تفهم الفرنسية، بل إنه هو شخصيًا لا يفهم حرفًا من اللغة، لولا «اليوتيوب» وترجمة الأغنية ما كانت قد أحبتها في الأساس، قالت «سارة»:

-دي أغنية سريعة!

قال مازحًا.

-إيه المشكلة، هنرقص برضه.. بس هنسرع الرقص شوية ونعمل حركات.

ابتعد «ياسين» عنها ورفع يده ممسكًا بيدها، نظرت له في تساؤل، فابتسم وهو يلف إصبعه شارحًا لها:

-لفي حوالين نفسك.. بيعملوا كده في الأفلام.

قالت ضاحكة:

-عاوزني أعمل «بيرويتا»؟

بدا عليه عدم الفهم لكنه أومأ برأسه أن نعم، دارت حول نفسها ممسكةً بيده المرتفعة، حركة بسيطة لكن فيها حرية ممتعة، ضحكت «سارة» فأشار لها «ياسين» أن تدور ثانيةً، هذه المرة أغمضت عينيها وفردت ذراعها الأخرى وهي تدور، على شفتيها ابتسامة مستمتعة، أمسك بيدها الأخرى وجعلها تسند إلى صدره بظهرها، وأخذا يتمايلان قليلًا على الموسيقى الصاخبة التي تحكي كل ما في قلبها، ولكنه لا يفهمها.

كعادة حياتهما معًا...

***

وقفت «يسرا» صديقة «سارة» أمام المرآة الطويلة، تعدل ملابسها وتحكمها جيدًا، تتأمل شكلها بمساحيق التجميل الكثيفة.

مرت 10 سنوات...

كم تغير كل شيء فيها منذ تلك الليلة!

ليلعنه الله في قبره على ما فعله بها!

زفرت في ملل محاولةً الهروب من ذكراه التي تجعل قلبها يبكي قبل عينيها، اقتحمت الغرفة مساعِدتها فجأة، وقالت بتوتر:

-العريس بيتخانق مع خطيب أخته وضربه.

أدار عقلها الحسبة بسرعة، فقالت بدهشة:

-«علي» بيضرب «عاصي» ليه؟!

هزت مساعدتها كتفها بمعنى أنها لا تعلم، ثم قالت ومتعة النميمة تشع من عينيها:

-سمعته بيزعق فيه ويقوله إن صاحبه هو اللي هرب مع العروسة.

قالت «يسرا» باستنكار غير فاهمة:

-صاحبه مين اللي هرب مع العروسة؟

ثم أدركت كل شيء فجأة، فهمست بدهشة:

-قصدهم إن «ياسين» هرب مع «سارة»؟

أومأت المساعدة برأسها أن نعم، اختلج جفنا «يسرا» في تأثر، يا للحمقى الذين لا يعرفون شيئًا! هزت رأسها في حسرة:

-يخرب بيت جنانهم!

قالت المساعدة بلهفة:

-إنت عارفة حاجة عن الموضوع؟

أومأت «يسرا» برأسها أن نعم، ثم قالت بسرعة وهي تخرج من الغرفة:

-يا بنتي دول عشرة عمري.. المهم...

خرجت المساعدة خلفها بسرعة تحاول لحاقها و«يسرا» تتحدث بعملية:

-قولي للناس تجهز، إحنا هنخش دلوقتي.. وبسرعة قبل ما يعملوا حاجة في بعض.

صاحت الفتاة بدهشة:

-هانخش إزاي ومافيش عروسة؟

صاحت فيها «يسرا» بغضب:

-إنت مال أمك! يلا قوليلهم.. أنا هستناهم ورا الباب.

ركضت المساعدة منفصلةً عنها، في حين حثت «يسرا» الخطى حتى وقفت وراء الباب، وأخذت نفسًا عميقًا...

«سامحيني».

دوّى صوته العميق في عقلها، فاهتز كيانها كله، هربت من عينيها دمعة فمسحتها بسرعة لتقتلها قبل أن تحيا، نظرت إلى الباب وحاولت -كما تحاول طوال تلك السنين- أن تشغل عقلها بأي شيء آخر.

كانت تسمع أصوات الشجار على الناحية الأخرى، هناك أصوات عالية وسباب، وصرخات من النساء، شعرت رغم عنها بأنها مسؤولة عن حل كل ما يحدث، ربما لأن معظم أصدقاء عمرها في الداخل، وكلهم من طرف تلك المجنونة الهاربة...»سارة»!

بدأت الموسيقى تعلو، عرفت أن هذا إشارة لها بالدخول، مع دخول الموسيقى هدأت أصوات الشجار قليلًا، جيد، هذا ما كانت تأمله، حالة من الدهشة تسمح لهذا الشجار بأن ينتهي ولو بلحظاتٍ من التعقل.

لا يروض الجنون إلا مجنون عابث لا يخاف شيئًا...

انتظرت ثواني، عدلت من ملابسها للمرة الأخيرة، أتى وقت دخولها، انفتح باب القاعة، رسمت ابتسامة واسعة كأنها لا تبالي بالعالم كله، اقتحمت قاعة الزفاف بخطوات واثبة سريعة، وصوت الـ«Dj» يعلو على الصوت الموسيقي معلنًا دخولها:

-الراقصة الاستعراضية الأولى في مصر.. «يسراااااااااا»...

هالها في البداية ما رأت؛ تجمع الرجال على «علي» و«عاصي»، رأت «عاصي» ينزف من أنفه وهناك أكثر من شاب يمسكه مبعدًا إياه عن «علي» الذي التف حوله الجميع يمسكونه من كتفه مانعين إياه من أي تصرف أبله.

لكن دخولها فعل التأثير الذي كانت تأمله...

نظر الجميع لها في دهشة، الجميع يتأمل فيها، في جنونها وقوتها وطاقتها التي استحوذت على المكان كله، اتسعت ابتسامتها وهي تتمايل مع موسيقى «عزيزة» التي تحب أن تبدأ بها أول رقصة دائمًا...

ابتسمت واتجهت بجرأة مباشرة إلى «علي»، حاول أصدقاء «علي» منعها لكنها أزاحتهم جانبًا بلا مبالاة.

أن تكون في جبروت راقصة، لن يجرؤ أحد على اعتراضها...

وقفت أمام «علي»، ملامح الغضب ترتسم على وجهه وعروقه نافرة، لكن نظرة عينيه قتلتها.

كانت رغم كل ما تحمل من غضب.. دامعة.

صاح فيها بغضب كي يتغلب على صوت الموسيقى الصاخبة:

-إنتِ اتجننتِ يا يسرا؟ بتعملي إيه؟ جاية ترقصي في عزا؟!

لم تبالِ بغضبه، كل الرجال غضبهم أبله بلا معنى، ابتسمت متجاهلةً كل البشر والتقاليد والأعراف، واقتربت منه...

واحتضنته...

للحظة انتفض جسد «علي» بين ذراعيها وتخشب، لم يتوقع أن تفعل هذا، شعر من غضبه وثورته بأنه يريد أن يدفعها بعيدًا ويصفعها، لكن ما إن ضمته بشدة حتى شعر بأن هناك شيئًا ما ارتاح فيه لا يدري مصدره.

همست «يسرا» في أذنه بحنان لم تدرك أنه ما زال بداخلها:

-ممكن تثق فيا؟ «سارة» ماهربتش مع «ياسين».. «سارة» راجعة.

أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا، أكثر كلمات أراد أن يسمعها الآن، أكملت «يسرا» وهي تربِّت بيدها على ظهره:

-كل بنت بيبقى عندها حاجة أخيرة لازم تقفلها قبل ما تسلم نفسها لحياة جديدة... لو ما ماقفلتهاش بتفضل تفكر فيها بقية عمرها.

فعلت كلماتها داخله فعل المُسكِّن الموضعي للشد العضلي، راحة مباغتة اجتاحت كيانه، أكملت «يسرا» وهي تبدأ في التحرك:

-سيبلي نفسك خالص وماتعارضنيش.

ثم ابتعدت عنه، فشعر بأن روحه تنسحب منه، أراد أن يخبرها بأنه يريدها أن تستمر في عناقه، لكنها ابتسمت ابتسامتها الواسعة، ذهبت

مسرعة حيث يرقد «عاصي» ممسكًا أنفه، جانبه «إسلام الحسيني» يحاول أن يسنده كي يقف، اقتربت «يسرا» منهما ونظرت إلى «ريم» التي تبكي جانبه، قالت بصرامة:

-خدي عاصي واطلعوا بره...

نظرت إلى «إسلام» وربّتت على كتفه:

-خليك معاهم وشوفه محتاج إيه.. ماتقلقوش أنا هاتصرف.

أومأ «إسلام» برأسه أن نعم، أمسك ذراع «عاصي»، نظرت «ريم» لها بامتنان، لكن «يسرا» لم تُضِع وقتًا وذهبت عائدة إلى «علي» وأمسكت بيده ساحبةً إياه حتى منتصف القاعة.. أمسكت الميكروفون ونظرت إلى كل مَن ينظر لها بدهشة:

-العروسة اتأخرت بس جاية جاية.. والعريس والناس الحلوة اللي هنا كلهم نفسهم يفرحوا من قلبهم.

ثم صاحت بحماس وجرأة عكس ذلك الحنان الذي كانت تهمس به له منذ قليل:

-مين هيفرّح عريسنا معايا؟

ونظرت إلى «Dj»، فرفع من صوت الموسيقى بقوة، كلماتها فعلت شيئًا ما في نفوس مَن في القاعة، كأنهم كانوا يريدون أي شخص -حتى لو كان راقصة- لبثّ قليل من الأمل في قلوبهم.

نظرت «يسرا» إلى «علي» نظرة واثقة، ثم بدأت تفعل أكثر شيء تجيده...

أن ترقص على أنغام حياتها المرهقة...

***

نظرت «أمل» إلى ما يحدث حولها في القاعة باستنكار شديد...

كانت «يسرا» ترقص بعبقرية كعادتها، التف معظم الناس حولها في محاولة بائسة لاستعادة أي نوع من أنواع الفرحة، لولا الصداقة التي تجمعها بمعظم مَن في الفرح لكانت تركته وعادت إلى طفليها منذ ساعات مضت، خصوصًا أنها صديقة العروسة الهاربة وصديقة «ياسين» المجنون الذي هرب معها...

نظرت بشفقة إلى «علي» الذي وقف وسطهم لا يدري ما الذي يفعله، كل أصدقائه يحاولون أن يراقصوه وهو يطيعهم بابتسامة حزينة تفطر قلبها.

لماذا فعلت «يسرا» هذا به؟

كيف تعطي محكومًا عليه بالإعدام أملًا في الحرية؟!

«سارة» تحب «ياسين» و«ياسين» يعشق الأرض التي تخطو عليها «سارة»، كل أصدقائهما يعرفون هذا، منذ أن تلاقيا منذ عشر سنوات بالصدفة وهما لا يفترقان.. حتى رفضت عائلة «سارة» -خالتها وزوج خالتها- ذلك الشاب البسيط نسبيًا بالنسبة لهما، وهز رفضهما كرامة «ياسين» فانفصل عنها.. بعد علاقة دامت خمس سنوات.

لكنهما أطالا عذابهما وظلا صديقين...

زفرت في ضيق ولم تحتمل كل ما يحدث، نهضت من منضدتها

وسارت بهدوء حتى خرجت من القاعة، بل خرجت من صالة الفندق كلها، لفحتها لمسة برد خفيفة عندما خرجت من الباب الرئيسي، تلفّتت حولها تبحث عن زوجها، رأت «العاصي» يجلس على الرصيف معه خطيبته «ريم»، وصديقهم «إسلام الحسيني» كان ينزف من أنفه ويبدو عليه الغضب، همّت بالذهاب له لكنها سمعت صوت زوجها العالي:

-«أمل»!

التفتت إلى «محمد» زوجها، وجدته يقف وحده يشرب سيجارة ويرفع يده مشيرًا لها، تأملت كرشه الظاهرة من البذلة التي ضاقت عليه، طال الصلع رأسه ولم يكتفِ هو بهذا بل ربّى شنبًا عريضًا كمعظم ضباط الشرطة زملائه، كأن الشنب جزء من بذلتهم الرسمية!

ابتسمت في هدوء واتجهت له، كان الكعب العالي يؤلم قدميها فسارت ببطء، حتى وصلت له، فقال بنبرة روتينية:

-العيال ناموا خلاص، أمي بتقولنا نسهر براحتنا.

ابتسمت في هدوء وأومأت برأسها في حسرة قائلة:

-نسهر براحتنا فين بس؟ دي ليلة ما يعلم بيها إلا ربنا!

ليسألها في نصف اهتمام:

-حصل جديد؟

هزت كتفها في حيرة، قالت بنبرة مستهجنة:

-«يسرا» الهبلة دخلت وبترقص الناس جوه، بتقول إن «سارة»

راجعة.

ضحك «محمد» باستمتاع وقال مبتسمًا في سخرية:

-والله جدعة!

ثم سحب نفسًا عميقًا من سيجارته وهو يقول بثقة:

-وهي عندها حق على فكرة..»سارة» راجعة راجعة إن شاء الله.

عقدت حاجبيها وقالت متسائلة:

-إيه الثقة اللي فيك دي؟!

مد يده ليريها أنه يمسك بهاتفه المحمول، وقال بنبرة ساخرة:

-بلغت عنهم.

وأكمل بفخر:

-دقايق وهيتمسكوا في أي لجنة، وصحابي هيعملوا الواجب، هيكلموني ويرجعوهم هنا.

اتسعت عينا «أمل» في رعب وقالت مستنكرة:

-إنت إتجننت؟ بتبلغ عن صحابنا؟!

ظهرت صرامة مهنته داخله فجأة وهو يقول في غضب مباغت:

-صحاب إيه بس؟! دول ولاد كلب مالهمش في الأصول!

ونظر لها نظرة اخترقت كيانها كله، وهو يقول بصوت خفيض لكن يقطر غضبًا:

-بقى فيه راجل محترم يسرق مرات صاحبه يوم فرحها؟!

طريقته ونظرته جعلتاها تعرف ما الذي يتحدث عنه، جملته موجهة لها مباشرةً، للحظة ارتعد قلبها في خوف وهي تنظر له، في حين ابتسم وهو يسحب نفسًا آخر من السيجارة، ولهجته تتبدل كأنما لم يكن غاضبًا منذ ثانية واحدة:

-وعشان أبقى صريح معاك.. أنا قلتلهم يرجّعوا العروسة بس.. ويخلوا «ياسين» يستنى في أي قسم لحد ما أفوق بكرة وأروحله.

لم تصدق «أمل» ما تسمعه، قالت باعتراض لم تستطع كتمانه:

-إنت كده بتخسّرنا أعز صحابنا!

ابتسم بسخرية وقال باستهانة:

-وإنت فاكرة إن بعد اللي عمله ده ماخسرناش؟ ده ماحترمش منظرنا قدام أهل العريس وخلانا كلنا كلوتات!

وألقى بسيجارته في الأرض وسحقها بقدمه، وأحاط وسطها بذراعيه مكملًا:

-يلا عشان نفرح ونرقص مع «يسرا» شوية.

توترت «أمل» وهي تذهب معه، داخلها فكرة واحدة فقط تسيطر عليها...

لا بد أن تخبر أحدًا بما فعله زوجها...

***

جلس «عاصي» على الرصيف، وقد وضع منديلًا في أنفه ليمنع نزيفها، لمح بطرف عينيه «أمل» و«محمد» وهما يدخلان صالة الفندق، شعر بأن «محمد» يحيط «أمل» كمن يقود ناقة، ليس كزوج أبدًا، لمحته «أمل» ونظرت له نظرة مستنجدة لم يفهمها، شعر بألم أنفه يزداد، فنظر إلى «ريم» وقال بلهجة معاتبة:

-أروح لـ«محمد» دلوقتي أخليه يعمل محضر في أخوك؟ الفرح كله شاهد إنه ضربني!

بدا على «ريم» الحزن ونظرت إلى الأرض صامتة، فلكزه صديقه «إسلام الحسيني» في كتفه بصرامة وهو يقول:

-ما تلم نفسك يا «عاصي».. هي ساعة شيطان وخلصت.. بطّل هزارك ده!

نظر له «عاصي» نظرة متفهمة، أدرك أن انفعاله ليس في مكانه الحقيقي، أخرج المنديل من أنفه، نظر إلى الدماء التي تملؤه، وقال بحسرة وهو ينظر إلى «ريم»:

-يعني يرضيك اللي حصل؟ دانا أحلى حاجة فيا مناخيري!

ابتسمت «ريم» رغمًا عنها، رغم كل ما بينهما فهو ما زال يعشق ابتسامتها، نظر لها بحنان وقال:

-ماتخافيش.. أنا مش زعلان من أخوك.. حقه يعمل أكتر من كده.

استعادت جزءًا من ثقتها بعد رعبها من كل ما حدث، فضحكت وهي تقول:

-بيني وبينك.. أنا فرحت فيك.

نظر لها «عاصي» نظرة لائمة، رغم أنه مَن كان يحاول أن يجعلها تشعر بتحسن، فإنها انتهزت الفرصة بلومه على مشكلاتهما وألقت تعليقًا كهذا، أغضبه هذا قليلًا لكنه تجاهل ما يشعر، حاول أن يرد بتعليق ساخر، لكن حزنه كان أكبر، في حين علّق «إسلام» تعليقًا مازحًا، فصمت ونظر إلى الأرض تاركًا إياهما يمزحان بعيدًا عن عقله الشارد.

لهذا يكره منظومة العلاقات كلها...

رأى مقطع فيديو كوميدي على «اليوتيوب» منذ فترة، رجل يركع على ركبته ويطلب الزواج من فتاة، فتفرح الفتاة وتأخذ الخاتم، ثم تُخرِج طوق الكلاب من جيبها وتربطه حول عنق الرجل، الذي يبتسم في رضا ويمشي وراءها على أربع...

لخص هذا الفيديو نظرته عن أي ارتباط بين رجل وامرأة.. اثنان يتشاجران على مَن يضع الطوق على رقبة الآخر دون أن يجرح مشاعره!

كان حرًّا طليقًا.. يقول ما يحلو له وقتما يرغب.. يتعامل مع الجميع بصراحة مطلقة لا مجال فيها للكذب.. يذهب إلى الفتاة التي يرغبها ويقول لها بثقة إنه يرغبها.. لا يريد أن يتزوجها إنما يرغب فيها فقط.. ويترك لها حرية الاختيار إذا قررت أن تصبح معه دون التزام أو لا.. يتعامل مع الجميع بطبيعته التي تعشق الإباحية عشقًا غريبًا.. يمزح مع الجميع بطريقته التي تحول كل جملة عادية إلى جملة سافلة، يستنكر الجميع لكنه يمزح بها قاصدًا.. يخبرهم بأبسط وسيلة

ممكنة برسالة بسيطة...

هذا أنا...

أما الآن.. فهو يزيف كل شيء؛ يزيف الأدب أمام أهلها.. يزيف اللباقة أمام جميع نساء العالم حتى لا يؤذي مشاعرها، لأنها كانت صديقة عمره وتعرف كل أسراره وقاذوراته، أصبحت تخاف من كل مَن يقترب منه، فوضع هو حاجزًا زجاجيًا سميكًا بينه وبين كل مَن يعرفه.

لأنه أحبها...

والحب سلاح ناعم يؤخذ به جميع حقوق الحريات دون مقابل.

نظر لها وهي تمزح مع «إسلام» صديقه، ابتسم في مرارة حقيقية، لو مزح هو ربع هذا المزاح مع صديقتها لجعلت ليلته جحيمًا من الصراخ والبكاء والخوف، وعندما يخبرها بهذا تقول ردًا صريحًا: «إنت عارفني وعارف آخري.. أنا مستحيل أغلط.. بس إنت مالكش آخر.. والغلط سهل عندك».

وهي الحقيقة...

«أحمد العاصي» لا يوجد له سقف يمنع جنونه!

أخذ نفسًا عميقًا فآلمه أنفه، كاد يشب بسبب ذلك الألم البسيط لكنه تذكَّر أنها تكره تلفُّظه بألفاظ نابية، وهو لا يريد أن يغضبها الآن.. شعر بأنه يختنق من كل شيء حوله.

نهض من جلسته، نظر ل«ريم» التي نظرت له بقلق، فقال بابتسامة

يطمئنها:

-أنا بس مخنوق، هاتمشى شوية وأجيلك.

ثم ربّت على كتفها، وقال بحب لا توجد ذرة تزييف فيه:

-روحي لأخوك دلوقتي عشان محتاجك.. وأنا لما أرجع هاخده بالحضن وأصالحه.. إحنا مالناش غير بعض.

قال «إسلام» بقلق على صديقه:

-طب آجي أتمشى معاك طيب.

هز «عاصي» رأسه رافضًا، ثم قال مشيرًا إلى قاعة الفرح:

-روح مع «ريم» وطمني لو حصل جديد.. أنا مش هتأخر.

قالت «ريم» وهي لا تفهم تلك الحالة التي تحول لها فجأة:

-إنت كويس يا «عاصي»؟

قبّل رأسها في هدوء، وقال بصدق:

-طول ما إنتِ معايا أنا كويس.. بجد مافيش حاجة.

ثم تركها وبدأ في السير ببطء دون أن ينتظر ردها، وضع يديه في جيبَي بنطاله، وعندما لامسته نسمة الهواء الباردة، أغمض عينيه وابتسم سائرًا بلا هدف...

تلاحقه نظراتها القلقة عليه...

***

الرابع

8:30 مساءً

«نهرب لحد ما نبقى مش لاقيين حاجة نرجعلها».

مالت «سارة» على أذن «ياسين» وهي ترقص معه وهمست:

-يلا نكمل عشان إحنا مابعدناش عن القاعة قوي.

نظرت إلى الساعة بقلق، الساعة الثامنة والنصف، مرت نصف ساعة على هروبها، لا بد أنها أثارت عواصف في العائلتين الآن. ربّت على كتفها وهو يومئ برأسه موافقًا، كانت قد بدأت تشعر بالتعب بالفعل، وهي تعلم أنه لا يجب أن ترهق نفسها أكثر من هذا.

فالليلة طويلة أمامهما...

في تمايلهما شعرت «سارة» باختلال توازنها فجأة، شعرت به يُخشّب ذراعيه كي يسندها قبل أن تقع، قالت متألمة وهي تحاول أن تتوازن:

-كعب الجزمة انكسر.. سنّدني لحد ما أعرف أقعد.

أمسك ذراعيها وسندها حتى وقفا أمام عربتها، قالت بضيق:

-مش عاوزة أقعد جوه العربية.. حاسة إني هاتخنق.

نظرت حولها في حيرة، لم تكن لتجلس على الرصيف بفستان زفافها، أشار لها برأسه على حقيبة العربة، فابتسمت وذهبت له وهي تشعر بأنها تسير بطريقة كوميدية بسبب كعبها المكسور. نظرت إلى الحقيبة الخلفية للعربة وقالت في حيرة:

-مش هاعرف أطلع!

-هتعرفي.

قالها بثقة كعادته في جعلها تحاول أولًا ثم يساعدها لو لم

تستطع... سندت بيدها وقفزت مرة واحدة لتجد نفسها صعدت إلى الحقيبة بالفعل، لكن اختل توازنها قليلًا، لتشعر به يسندها حتى اعتدلت.. ضحكت بشدة وهي تنظر له نظرة حنونة، شيء ما في قلبها يدق دقات شجية، مزاحه الدائم وتلقائيته تفتقدهما افتقادًا غريبًا، افتقادًا يجعل روحها تئن كي تستقر بين ذراعيه وترتاح.. الآن يبدو أن كل أسباب ترك بعضهما لبعض واهية ضعيفة.. اللحظة الحالية هي كل ما حلمت به مع رجل.. أن يحتمل جنونها وتقلباتها ويحتوي كل ذلك التمرد دون أن يتململ أو يحاول إقناعها بعكس ذلك.

أطالت النظر إلى «ياسين»، تلاقت أعينهما لحظةً طويلة حملت مشاعر تثقل روحيهما؛ شوقًا وراحةً وافتقادًا وعشقًا لن ينتهي...

لاحظت أنها شردت في عينيه كما شرد هو، فتنحنح وقال ناظرًا إلى الأرض:

-أنا هاشوف موبايلي في العربية وأجيلك.

واختفى عن نظرها كأنه يريد أن يهرب، وابتسمت وهي تسمع صوت باب العربة يُغلَق، فعرفت أنه جلس داخلها.

مرت سيارة مسرعة ضربت لها بوق الزفاف، فابتسمت وهي تلوح لها في سعادة.. تابعتها بنظرها ثم شردت...

منذ صباح اليوم وهي تشعر بأنها في مكان غريب عنها...

عالم آخر لا تنتمي له...

حجز لها «علي» جناحًا في الفندق كي تستعد فيه، منذ أن دخلته

وهي تشعر بأنها تختنق تدريجيًا، حولها خالتها وأقاربها وصديقاتها، كلهن يضحكن في وجهها ويداعبنها، كلهن سعيدات إلى درجة أنها شعرت بأنهن أكثر سعادة منها.

كل ما كانت ترغب فيه أن تكلم أحد أصدقائها بلا هدف، لتشعر بأنه يوم عادي، وبالفعل، هربت من الزحام في جناح الفندق وخرجت إلى الشرفة، كانت في دورٍ عالٍ يجعلها ترى كل شيء من أعلى، لكن الفندق كان يطل على طريق السويس قبل مطلع الطريق الدائري بعشر دقائق، فلم ترَ سوى عربات مسرعة وذلك المول الحديث، ثم مناطق صحراوية كثيرة...

لكنها انتمت إلى تلك الصحراء بشكلٍ ما...

أمسكت هاتفها المحمول، أخذت تقلب في كل وسائل التواصل الاجتماعي عسى أن تجد شيئًا يضحكها ويعيدها إلى عالمها الطبيعي ولو ثواني معدودة، لم تجد شيئًا، معظمها أخبار عن وفيات الأقارب وبعض الأحداث التي لا يثق أحد بمصداقيتها، مثله مثل أي جريدة صحفية رخيصة المحتوى.

ولجت على الـ«Instagram» لتجد معظم الصور والقصص مأخوذة في جناح الفندق التي تقبع فيه الآن، كل صديقاتها في الداخل يصورن أنفسهن وينشرن الصور.

إلا صورة «ياسين»...

صوّر نفسه في غرفته نائمًا على الفراش، وكتب تحتها كلمة جعلت جسدها يتخشب:

«مقسوم بين الآونة.. آن أتعب فيه، فيمنعني تعبي عن أناس أعشقهم.. وآن آخر أحب فيه، فيمنعني حبي عن بشر قضيت عمري أحافظ على نقائهم... وآن.. من قسوته، لا نتخطاه أبدًا.. ثم لا شيء بعد ذلك!».

تضايقت لحظتها وشعرت بأنه يهرب من زفافها، وعدها أن يبقى صديقًا يدعمها، حتى يطلق ابنها عليه لقب «خال».. لذا أرسلت له الدعوة بقلب مستريح، لكنه الآن يتهرب بشكلٍ ما...

شعرت بإحباط غريب يحتل كيانها، لكنه يمتزج براحة تعجبت منها.. هل كانت تخاف أن تراه يوم زفافها؟

لا تدري...

تأملت الصورة أكثر، لاحظت ذلك البرواز الموضوع على كومود جانب الفراش، «ياسين» نفسه لم يأخذ باله أن ذلك البرواز يظهر في الكادر، تعلم بلاهة عقله كرجل وعدم أخذ تفاصيل أي شيء بجدية مثلها.

لكن ذلك البرواز هو الشيء الوحيد الذي جعلها تشعر بالراحة منذ أول اليوم.

كانت صورة «سيلفي» لهما في أول يوم تقابلا فيه معًا.. منذ عشر سنوات.. ذلك اليوم المشؤوم الذي مات فيه والدها وكانت تائهة إلى درجة لا تُصدّق.. عرض عليها «ياسين» -الذي كان غريبًا وقتها- أن يركب معها ليوصلها.. لتقضي ليلةً كاملة في الطريق معه.. بدأتها بشخصية وأنهتها بشخصية أخرى تمامًا.

لكنها كانت على طبيعتها أكثر من أي وقت آخر، وكان هو بجانبها طوال الوقت دون أن يطلب منه أحد.. لم تصدق أنه طبع الصورة من هاتفه ووضعها في برواز جانبه.

إذا كان يحبها، فلماذا تركها بتلك السهولة؟

لحظتها وهي ترى البرواز، هبطت دمعة من عينيها، لم تكن دمعة حزن، بل دمعة راحة لم تشعرها منذ أن بدأ اليوم.

ولم تدرِ بنفسها إلا وهي تطلب رقمه، وهناك ثقل ينزاح من صدرها لمجرد أنها ستسمع صوته...

-يلا بينا؟

قالها «ياسين» من المقعد المجاور للسائق، ليسحبها إلى أرض الواقع منتزعًا إياها من ذكرياتها، لتبتسم بحنين لنبرة صوته التي تتخلل كيانها.

هبطت من على حقيبة السيارة.. اتجهت إلى مقعد السائق.. شعرت بتقدير لأنه يتركها تقود السيارة كي تتشتت قليلًا.. ركبت جانبه لتجده يسند رأسه إلى مسند الرأس الخلفي للمقعد، ينظر لها بابتسامة تحتوي كيانها كله، وقال:

-ها.. هنعمل إيه بعد كده؟

فكرت قليلًا، تريد الابتعاد أكثر، لا تريد أن تتذكر أي شيء، لذا قالت بجدية:

-عاوزة أهرب...

اتسعت ابتسامته، وأشار بإصبعه محذرًا، فابتسمت ونظرت إلى عينيه الحانيتين، قالت بابتسامة:

-مش لاقيالها جملة أعمل إيه؟!

اعتدلت وأكملت بحماس:

-هافهمك الإحساس وإنت قولها.. عاوزة أقول نهرب لحد ما نبقى مش عارفين نلاقي أي حاجة ورانا.. لا أهلي ولا أهلك ولا «علي» ولا أي حد...

أغمض عينيه كعادته يتذوق الجملة، ثم قال بنبرة مفكرة:

-يبقى نهرب لحد ما نبقى مش لاقيين حاجة نرجعلها...

قالت باستنكار:

-إحنا هانوزن كل جملة!

هز كتفه بلا مبالاة وقال:

-إنتِ اللي بدأت.. إنت عارفاني.. الوسواس لو اشتغل.. هنفضل متعذبين بالموضوع ده لحد آخر الطريق...

ضحكت وضحك معها.. أدارت العربة.

وانطلقت...

***

راقبت «أمل» زوجها «محمد» الذي يراقص «علي» باستمتاع.. محاولًا أن يسعد قلب «علي» قليلًا..

تعلم جيدًا أن «محمد» يحب «علي».. يشعر بأن «علي» من نفس العمر وقريب منه.. عكسهم فكلهم من سن «ريم» أخته الصغيرة و«عاصي» صديقهم.. «علي» انضم لهم فقط عندما ارتبط بـ«سارة» وقرر أن يخطبها.. قبل ذلك كان مجرد «أخو «ريم» الرخم».. مهندس البترول الشاب الصارم الجاد في حياته.. أولويته الأولى والأخيرة هي عمله.. برج «العقرب» الذي لا تفهم إذا كنت تحبه لمثاليته الظاهرية ولباقته الموزونة على الشعرة، أم تكرهه لكثرة تفاصيل عالمه الداخلي من القوانين الصارمة المتحكمة في جميع مَن يحبهم وعدم ثقته بنفسه، وانتقامه الذي لا ينساه أحد.

تؤمن «أمل» بالأبراج في تحديد الشخصيات، تشعر بأنها تختصر جزءًا كبيرًا من التعرف على شخص جديد، وكانت تكره برجها لتقلُّب مزاجه وشمعته السيئة، لكنها تعرف كم هي متقلبة المزاج وشمعتها أسوأ من الحياة نفسها، فآمنت بالأبراج أكثر.

كانت في موقف لا تعرف أن تأخذ فيه قرارًا.. حتى خبرتها في الأبراج لم تحل معضلتها.

لا تعرف هل تتعاطف مع برج الثور «ياسين» صديق عمرها، الذي كان يحل مشكلاتها مع زوجها برج السرطان «محمد» منذ أن كانا مخطوبين، أم تتعاطف مع «سارة» الجوزائية التي قدمها «ياسين» للشلّة وعشقوها جميعًا وشعروا بأنها جزء منهم؟ هل تأخذ صف «سارة» كما تفعل «يسرا» التي احترفت برج القوس بجدارة، أم تأخذ موقف زوجها وتتعاطف مع «علي» الشاب الأصيل الذي لم يخطئ في شيء؟

وقفت تصفق في دائرة الرقص، محاولةً أن ترسم على شفتيها ابتسامة زائفة، اندمج «محمد» في الرقص مع «يسرا» و«علي»، تعلم أن زوجها يكره الرقص، بل إنه رفض أن يرقص يوم فرحهما هما، لكنها تفهم أنه يؤازر صديقه ويريد أن يرسم بسمة على شفتيه.

شعرت باهتزاز حقيبتها التي تحملها تحت إبطها، عدلت حجابها البسيط وأخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها، ظنت أن حماتها تريد أن تخبرها بأن أحد أولادها قد استيقظ، لكنها وجدت رسالة من على الواتساب جعلت قلبها ينتفض خوفًا...

كان «أيمن».. رجل برج الحوت اللعين.

حذرته مرارًا من أن يُحدِّثها وهي مع زوجها، لكنه لا يسمع الكلام أبدًا، فتحت الرسالة بسرعة، لتجد أنه بعث لها صورة -من النوع الذي يفتح مرة واحدة فقط ثم تختفي- وهو نائم على الفراش، صدره عارٍ ويغمز لها بعينيه، تحتها كلمة واحدة فقط:

«وحشتيني».

شعرت بكل ذرة في كيانها تنتفض، ارتجفت قدماها تحتها وهي تمسح الرسالة بسرعة، ناظرةً إلى «محمد»، وحمدت ربها أنه مندمج في الرقص بهذا الشكل.

لعنة الله عليك يا «أيمن»!

نظرت إلى الكاميرا التي تصور الراقصين، نظرت إلى شاشة العرض الكبيرة التي تعرض ما تنقله الكاميرا، وحمدت ربها للمرة الثانية أنها لا تظهر في الكادر، كان ارتباكها وخوفها سيظهران عليها وينكشف

كل شيء.

-قلتلك الحوار ده آخره مش حلو!

قالها «إسلام الحسيني» -برج الدلو- من جانبها مباشرةً، انتفض جسدها ونظرت له، قال وهو يبتسم في طيبة:

-كفاية يا «أمل» اللي بتعمليه في نفسك ده!

شعرت بالغضب منه، لا يحق لأحد أن يحكم عليها، اقتربت من أذنه وقالت بنبرة ساخرة تخفي غضبها:

-ماشفتكش بتعترض قوي كده لما كنا مع بعض!

هز «إسلام» كتفه بلا مبالاة، وقال وهو يصفق متظاهرًا بالنظر إلى الراقصين:

-مش معنى إني زبالة إنك تبقي زبالة زيي يا «أمل»! خدي بالك على نفسك.. ربنا مش هيستر كتير.

وتركها وهو يضحك فجأة وينضم إلى الراقصين مهللًا، كأن شيئًا لم يكن...

نظرت «أمل» حولها لحظاتٍ، ثم رسمت ابتسامة مزيفة على شفتيها وهي تصفق بيدها.

نظرت إلى «محمد» الذي يراقص «إسلام» ويمزحان مع «علي» ويحيطون «يسرا» في المنتصف...

السرطان زوجها، الذي يراقص الدلو الذي كان من ضمن مَن خانت زوجها معهم، يمزحان مع العقرب الذي حاولت أن تثير إعجابه

ورفض باحترام، يحيطون صديقتها القوس التي تعلم كل هذا وحافظت على سرها.

وابتسمت في حسرة...

لماذا لم يكن برجها مع أيٍّ من أبراجهم حتى تستطيع أن تجد مَن يتشابه معها في أي شيء؟!

كم تكره برجها!

***

بعد سيرٍ بلا هدى، استمر خمس دقائق فقط، رأى «عاصي» حفل زفاف آخر فنظر بإعجاب له.. كان من ضمن تلك الحفلات التي تُقام في مكان مفتوح؛ حديقة واسعة يحيطها من كل جانب هضبة عالية قليلًا على شكل دائرة، مثلها مثل استاد كرة القدم لكن أصغر قليلًا.

كان يحب تلك الأفراح وقرر أن يتزوج «ريم» في مكان مفتوح كهذا، يكره القاعات المغلقة ويشعر بأنه مسجون فيها، شعر بأنه يريد أن يشاهد قليلًا، فاقترب أعلى الهضبة المطلة على الحديقة المقام عليها الفرح، وجلس على الحشائش الخضراء.. شعر بأن برودة الحشائش مبالغ فيها لكنه قرر أن يحتملها قليلًا.

وابتسم...

منذ فترة طويلة لم يشعر بتلك الحرية البسيطة، أن يفعل شيئًا -مهما كان- فقط عندما يرغبه.

سمع ضحكات خفيفة وراءه فالتفت بدهشة.. وجد فتاتين ترتديان

فستاني سهرة مفتوحين من جهات عدة تجلسان بعيدًا عنه قليلًا.. عندما التفت وجدهما تنظران له ضاحكتين فابتسم، رفعت إحدى الفتاتين يدها وقالت ببسمة واسعة:

-هاي...

تعجب قليلًا من جرأتها لكنه لم يبالِ، رفع يديه وقال رادًا الابتسامة بابتسامة، والتحية بمثلها:

-هاي...

قالت الفتاة متسائلة:

-مش حاسس إنك سقعان شوية؟

تعجب من السؤال ولم يفهم، أشارت الفتاة إلى طرف فستانها وقالت ضاحكة:

-إنت قاعد على حتة مبلولة!

كان الظلام يحيط المكان فلم يرَ ما تشير له في فستانها، لكن ما إن سمعها انتفض واقفًا، ليكتشف أن مؤخرته قد ابتلت تمامًا والتصق بها بعض الطين من الأرض الطينية، فقال وهو يشعر بالهواء البارد يضرب مؤخرته المبتلة ويؤلم أنفه قليلًا:

-إيه اليوم ابن الوسخة ده؟!

ضحكت الفتاتان أكثر، وقالت التي بدأت الحديث بابتسامة:

-تعالى اقعد هنا مش مبلولة.

نفض بنطاله قليلًا واكتشف أنه حرفيًا يزيد من الطين بلة، انتشر الطين على مساحة واسعة من مؤخرته بسبب تنفيضه العنيف، يئس من الأمر ووضع يديه جانبه، وقال وهو ينظر لهما بابتسامة ساخرة:

-وترضوا تقعدوا مع واحد لسه بالِل بنطلونه؟!

ضحكتا بشدة، قالت الفتاة الأخرى مازحة:

-ماتقلقش، هنقولهم في الفرح الحقيقة ومش هنسيبك تتفضح.

إذن هما تظنانه من المدعوين في ذلك الفرح، اقترب منهما وقال بسخرية افتقدها:

-الله يسترك يا بنتي.

جلس جانبهما لكنه مال قليلًا واستند إلى جانبه، نظرتا له متعجبتين، فابتسم وقال بأسف:

-معلش على القاعدة بس لازم أسيبها تتهوى عشان تنشف.

ضحكتا بصوتٍ عالٍ جعله يضحك ضحكة خافتة، لم تعد «ريم» تضحك على نكاته مثلهما، هو يعذرها بالطبع، سبع سنين كاملة مرت وهما في علاقة طويلة الأمد، خطبها منذ أربع سنين فقط، فمن الطبيعي أن يصبح مزاحه مكررًا سخيفًا، من الطبيعي أن تفقد كل ما كانت تراه فيه مميزًا.

«سأظل أراك هكذا مهما فعلت...».

تذكّر كلماتها الرقيقة التي كتبتها له يومًا ما على صورة كانت لهما وهما طفلان.. لحظة من اللحظات الساحرة التي تجعله يحبها حتى

الآن.. لأنها وعدته بأنها ستظل تراه على حقيقته.

قالت الفتاة التي بدأت كلامهم متسائلة:

-إنت تبع «وائل» ولا «ريناد»؟

قال بلا مبالاة:

-أنا تبع نفسي.

قالت الفتاة وهي تمد يدها مبتسمة:

-أنا «آية» ودي «سالي».. أصحاب «ريناد».

سلّم عليها وهو يتأمل جمالها المختفي خلف مساحيق التجميل، بخبرته في النساء أصبح يعرف كيف يُقدّر جمالهن دون مساحيق التجميل، أصبح خبيرًا في تمييز الرموش إذا كانت مزيفة أم لا، ذلك الشعر طبيعي أم ممدود بشعر آخر مزيف، يعرف أين تنتهي عيناها الساحرتان ويبدأ الكحل الأحمق في تشكيل العينين المزيفتين، لذا كان يعلم أن «آية» جميلة بحق، عكس «سالي» التي تحاول بيأس أن تبدو جميلة وهي جمالها في روحها أكثر منه أي شيء آخر.

قال مستعيدًا جزءًا من شخصيته القديمة وصراحته المطلقة:

-وعرفتوا تعلقوا العريس الجاي ولا لسه؟

ضحكت «سالي» في دهشة، وقالت باستنكار:

-لأ طبعًا.. إحنا جايين هنا عشان نفرح مع صاحبتنا.

هز رأسه في لا مبالاة، «سالي» طيبة لكن كاذبة كذلك وترفض

واقعها وتنكره، تأملته «آية» لحظات كأنها شعرت بعدم تصديقه، ثم قالت بابتسامة واثقة:

-أدينا بنحاول أهه.

دون أن يدري نظر لها إعجابًا لصراحتها، لا يوجد مَن يُقدِّر الصراحة مثله، أحبّ «ريم» من الأساس وجعلها تنتقل من خانة الصديق إلى خانة الحبيب لأنها كانت صريحة مباشرةً، ابتسمت «آية» عندما وجدت نظرته المعجبة، في حين قالت «سالي» مكملةً تمثيلها التي لا تدرك أنه تمثيل بعد:

-إيه اللي بتقوليه ده؟! اتكلمي عن نفسك بس!

لم تُزِح «آية» عينيها عن عينَي «عاصي» المتأملتين، تشعر بأن عينيه تخترقانها وتريان ما لا يراه أحد، وأعجبها ذلك وتركت نفسها للحظة، ابتسمت وقالت ترد على صديقتها:

-ماتزعليش يا ستي.. أديني بحاول أهه.. بتكلم عني أنا مش عنك يا طاهرة!

اهتز شيء ما في صدر «عاصي» يشتاقه، شيء قتله منذ فترة طويلة، لكنه أغمض عينيه وابتسم متجاهلًا ذلك الشعور كما يفعل منذ فترة:

-مابتعرفيش تنشّني على فكرة.

ورفع يده اليمنى ليريها الدبلة التي تزينها، فلم يبدُ عليها التأثر للحظة وهي تقول بثقة:

-تبقى مش ذكي لو فاكر إني ماشفتهاش من ساعة ما قعدت هناك!

ضرب الهواء شعرها فجعله يتطاير في مشهد ساحر:

-بس السؤال بقى ليه مش قاعد معاها دلوقتي؟!

منذ فترة لم يتعرف على فتيات جديدة، هل أصبحن أكثر جرأة دون أن يعلم؟ عقد حاجبيه في تعجب لأنها أول فتاة ترد عليه ردًا لم يتوقعه، ضيّق عينيه ناظرًا لها، في حين قالت «سالي» وهي تنهض رافضةً كل ما يحدث:

-لا ده جنان رسمي!

لم يوقفها أحد منهما، تركاها تمضي سائرة، وهما ينظران في أعين بعضهما بعضًا دون كلمة.. ونسمة الهواء الباردة تلفح وجهيهما...

***

لم يشارك كبار السن من العائلتين في الروح الجديدة التي بعثتها «يسرا» في الفرح.. ظلوا بقناعتهم أن كل ما يحدث نوع من أنواع التضليل لحقيقة أن «سارة» لن تعود أبدًا.

رغم انغماسها في الرقص، فعينا «يسرا» الثاقبتان كانتا تراقبان كل شيء، بل أحيانًا تفتعل حركة تدور فيها حول نفسها وتعطي ظهرها لـ«علي» حتى ترى ما يحدث في القاعة بدقة.

هي تعلم جيدًا أن المشكلة الحقيقية في الأهل، في كل هؤلاء الذي مرّ الزمن عليهم ليتعلموا قاعدة أصابت أجيالًا كاملة بعدهم بسمٍّ قاتل؛ المظهر ثم المظهر ثم المظهر، لا بد أن تظهر للآخرين بأكمل

صورة حتى لو كنت أسوأ البشر!

تعلم أن مصدر المشكلات الحقيقي سيصدر منهم هم وليس من الشباب الراقص الذي لا يريد شيئًا في الحياة إلا أن يقضي وقتًا ممتعًا، لذا كانت تراقبهم بدقة وتركيز.. كل هذا وابتسامة رائعة تزين شفتيها ولم تتوقف عن الرقص لحظة واحدة.

لاحظت «عبد الوهاب» والد «علي» وهو يتحدث مع «نجوى» والدة «علي» بحدة وغضب، التف حولهم أهل العريس، لاحظت ملامح «ريم» الجزعة مما تسمعه من والدها هي و«علي»، الأب يخطط لشيء ما إذن، لمحت «راوية» خالة «سارة» في الناحية الأخرى من القاعة، كانت جالسة تبكي دون انقطاع وحولها أهل العروس يواسونها ويطمئنونها، بالنسبة لهم، إلى أصولهم وقوانينهم، العروس لا تهرب في ليلة زفافها إلا لسبب واحد فقط...

أنها فقدت عذريتها وخافت المواجهة!

دون تفكير قررت أن تؤجل المصيبة القادمة؛ تركت المكان المخصص للرقص في منتصف القاعة، واتجهت راكضة ركضةً استعراضية تجيدها الراقصات جيدًا، واقتربت من «عبد الوهاب» والد «علي» مباشرة...

وفي طريقها تذكرته رغمًا عنها...

بعد أن انتحر هو، لم تستطع أن تحتمل زيف كل شيء حولها، لم تستطع أن تعود إلى تلك الفقاعة من المبادئ التي بلا أي أساس من المنطق بالنسبة لها.

أخذت قرارها الحاسم بأن تحترف مهنة الرقص بعد تخرُّجها في الجامعة -القرار الذي قاطعها أهلها كلهم بسببه- لكنها لم تبالِ...

اقتربت وهي تشعر بتلك السطوة الجامحة...

لا أحد يقدر على مواجهة راقصة...

جميعهم بطبعهم الجبان يحكمون عليها، يسبونها ويكرهونها وينتقدونها، لكن من على بُعد وهم لا ينظرون لها في عينيها!

لكن أمامها يدلهون في رغباتهم الحمقاء ونظراتهم المسروقة إلى جسدها الناعم.. أصبحت تستمتع بنظرة ذلك الوقور الخجولة إلى صدرها أو ردفيها ومحاولته البلهاء لإثارة إعجابها حتى ولو بالرفض.

لا يوجد رجل إلا ويخاف من الراقصة، لأن الراقصة ليس لديها سقف، ولا حدود...

يعاملونها بتفكيرهم البسيط معاملة العربة، وبالنسبة لهم، لا يوجد أخطر من العربة التي فقدت مكابحها، لن يستطيعوا السيطرة عليها وسترتطم بهم في أكبر حائط أمامهم.. لن تراعي أحدًا، ولن يستطيع أحد أن يلمسها!

لهذا ذهبت إلى والد «علي» بجرأة، عقد «علي» حاجبيه في قلق وذهب وراءها ليعرف ماذا هناك، «يسرا» لا تعلم حدود والده كما يعلمها هو، وقفت أمام «عبد الوهاب» بعد أن فضّت تجمُّع الناس حوله باختراقهم، نظر الأب لها بغضب متسائلًا، فنظرت هي إلى عينيه لحظاتٍ، ثم بدأت تتمايل... أتى خلفها «إسلام الحسيني» و«محمد إسماعيل» زوج «أمل» لكنها لم تبالِ، صاحت بصوتٍ عالٍ

ليسمعها الأب جيدًا:

-مش هترقص مع ابنك يوم فرحه؟

كانت عينا «عبد الوهاب» غاضبتين بشدة، لاحظت «يسرا» هذا، شعرت بأنها تأخرت في الذهاب له، صاح فيها مُشوِّحًا بيده:

-امشي يا بنتي مش ناقصة قرف...

آلمتها الكلمة رغم أنها اعتادتها، قالت وهي تكمل في تمايلها الخفيف بابتسامة مزيفة واسعة:

-ابنك عاوز يفرح والعروسة جاية إن شاء الله.

قال «عبد الوهاب» بسخرية قاسية:

-جاية؟!

ونظر إلى «علي» الذي يقف يراقب بقلق خلف «يسرا»، وقال له وعلى ملامحه علامات احتقار:

-متجوزلي واحدة صاحبتها رقاصة؟! عاوز إيه تاني منها؟ ما هي لازم تهرب مع واحد تاني!

شعرت «يسرا» بأنها أخطأت، هناك مَثل أجنبي يقول: «لقد نكز الدب»، شعرت بأنها بحقة مفرطة قد لكزت الدب في ثورته، لم تؤلمها الكلمة لكنها آلمت «علي» الذي قال بنبرة توشك أن تعلن الحرب:

-«سارة» مش صايعة يا بابا.. ماتتكلمش عنها كده!

رد «علي» من خلفها ضربها في ظهرها بسكين، لمجرد أن أباه

شبّهها بها قال «علي» أنها «صايعة».. رغم أن الأمر أصبح معتادًا بالنسبة لها، لكن عندما تأتي من صديق يتزوج صديقتها، فهناك ألم مختلف.. هو رآها كإنسانة تأكل وتشرب وتمزح معه.. ليست مجرد جسد يتراقص مثل بقية الرجال.. «علي» بالذات كانت تشعر بأنها تفهمه بشكل خاص.. لم تبالِ بجملته وخفّت من تمايلها قليلًا وهي تراقب «عبد الوهاب» بعينيه الغاضبتين.

بدأت «نجوى» أمه تربّت على كتف «عبد الوهاب» الثائر، في حين أمسكت «ريم» بذراع «علي» وضغطت عليها كي يصمت، أشاح الأب بيده يدَ زوجته واقترب من «يسرا» مُحدِّثًا «علي» الواقف خلفها، وقال في ثورة:

-يا ابني إنت خرع كده لمين؟! يا أهبل مراتك هربت مع واحد تاني.. مراتك اللي إنت لسه كاتب كتابك عليها إمبارح هربت مع واحد تاني يا حمار!

نظرت «يسرا» في ذهول إلى الأب...

هل كتبا كتابهما البارحة؟ لماذا لم يعلنا عن هذا الأمر؟!

توقفت عن الرقص تمامًا وشعرت بأنها قيّمت الأمر بسوء تقدير بشع، في حين أكمل الأب صارخًا:

-وإنت واقف بتدافع عنها؟ إنت مستني إيه بعد ما هزقتنا كلنا؟! هو أنا خلّفت راجل ولا مرة؟

ضربت كلمات «عبد الوهاب» صدر «علي» بقوة، شعر بقلبه يدق بعنف وأنه يرغب في لكمِ والده كي يصمت، لا يحق لأحد مهما كان

أن يتحدث هكذا عن زوجته، شيء ما داخل «علي» ما زال مؤمنًا بأن هناك قصة منطقية لهروبها، رسم عقله سيناريو طفوليًا أن «ياسين» خطفها رغمًا عنها، رسم كل السيناريوهات إلا التي تكون «سارة» هي صاحبة القرار فيه، بالتأكيد لن تفعل به شيئًا بتلك القذارة!

فهي تحبه...

اطمأنت «يسرا» قليلًا بسبب ارتفاع صوت الموسيقى وقلة الناس حولهم، لم يلاحظ إلا دائرة المقربين حولهم، نظرت إلى «عبد الوهاب» نظرة لائمة، وقعت عينا «عبد الوهاب» عليها وفهم نظرتها فأغمض عينيه لحظاتٍ، شعر بأن كلماته كانت أقسى مما ينبغي، زفر في عنف محاولًا تمالك أعصابه، قال مشيرًا بإصبعه إلى «علي» بنبرة أقل حدة:

-أنا ساكت ومش بتكلم عشان ربنا وحده يعلم اللي جواك دلوقتي.. وسايبك تستنى عشان إنت عاوز كده وإنت ابني.. لكن قسمًا عظمًا البت دي لو ماجتش أنا هيبقى ليا تصرف تاني يعلّمها يعني إيه جواز!

رفع يديه في وجه «علي» مشيرًا بإصبعه، وقال بصوتٍ أعلى تلك المرة:

-نص ساعة كمان زي ما أنا قلت.. لو ماعرفوش يجيبوها.. ماتزعلش من اللي هيحصل.

وأشاح بيده ثانيًا وانصرف تاركًا القاعة كلها، خلفه أم «علي» تركض وراءه جازعة، التفتت «يسرا» إلى «علي» وهالها تلك الدمعة المحبوسة في عينيه، نظرته الثابتة في الأرض وتهدُّل كتفيه كمن

فقد الرغبة في الحياة، شعرت بندم غير طبيعي لأنها السبب في كل ما حدث.

اقتربت منه وأمسكت ذراعه، كانت «ريم» تبكي بكاءً صامتًا وهي ممسكة بذراع أخيها الأخرى، قالت «يسرا» بخفوت:

-أنا آسفة...

ظل «علي» ينظر إلى الأرض، غضبه المكبوت يكبر داخله، يريد أن يمسك شيئًا ما ويكسره، كلام والده صدمه بحائط الحقيقة بعنف جعل قلبه يتناثر أشلاء.

الحقيقة لا تقتل.. لكنها تدمر كل حوائط الأمل الزائفة.

قال بهدوء يخفي عاصفة داخله:

-أنا هاروح الأوضة أغير هدومي.

نظر الأصدقاء إلى بعضهم بعضًا في حيرة، التفت «علي» إلى «إسلام» و«محمد» وقال بهدوء:

-هو «عاصي» فين؟

قالت «ريم» وهي تمسك ذراعه بقلق:

-اتخنق من اللي حصل.. بيتمشى يشم هوا.

ابتسم «علي» ابتسامة غريبة، قال لـ«إسلام» و«محمد» بنبرة هادئة:

-اقلبوا الدنيا عليه.. عاوز أعتذرله.

ثم نظر لهم وأكمل بهدوء:

-«سارة» مش هترجع.. فأنا هاطلع أغير هدومي وأجيلكم تاني عشان نشوف اللي هيحصل.

شيء ما في نبرته دقّ ناقوسًا ما في قلب «يسرا»، فقالت بسرعة:

-أنا هاجي معاك.. كده كده لازم أغير أنا كمان عشان الفقرة اللي بعدها.

هز «علي» رأسه موافقًا بلا مبالاة، وتحرك منصرفًا من القاعة كلها...

***

الخامس

8:40 مساءً

«نحب لحد ما نبقى مش عارفين للحب آخر...».

«ما في أعيش.. إلا معك.. ما في أكون.. إلا إلك...».

دوّى صوت «نانسي عجرم» في العربة، بتلك النسخة من الأغنية بالتوزيع البطيء.. هو الذي جعلها تسمعها وتعشقها.. وتصبح أغنيتهما التي تُذكّرهما بكل تفاصيل علاقتهما التي لن تنساها.. رغم أن الأغنية الأصلية سعيدة وإيقاعها سريع، فنسختها فيها ذلك المزيج الذي صاحبهما طوال فترة علاقتهما؛ الحنين والشجن وسط لحظات قليلة من الفرحة.

دمعت عيناها وهي تسمع الأغنية، فجأةً وجدت يده تمتد وتمسك يدها، شعرت بدفء يده يطمئن قلبها ويتسلل إلى روحها...

فهبطت دموعها أكثر...

قالت دون أن تنظر له، وهي تعلم كم سيؤلمها ذلك السؤال، لكنها قررت أن تقول كل شيء في خاطرها:

-إنت سيبتني ليه؟ ليه ماحاربتش عشان تفضل معايا؟

شعرت بارتجافة يده على يدها، لكنها ظلت ناظرة إلى الطريق المظلم قليلًا، تحاول أن تقاوم رغبتها في النظر إلى عينيه، سمعت تنهيدته البطيئة، تعرف أنه ينظر لها بعينيه العسليتين اللتين تحتويانها دائمًا، قال بنبرة عميقة:

-غصب عني...

نظرت له بحدة، لتقابلها نظراته الحانية الآسفة، لم تبالِ بكل ما تقوله عيناه وقالت بعصبية:

-ده مش رد!

نظرت إلى الطريق ثانيةً وأكملت:

-إنت وعدتني إنك مش هتسيبني.. أنا راهنت عليك وقلت إنك مستحيل تعمل زي كل اللي راهنت عليهم قبل كده.. بس إنت مشيت!

كرر كلمته بسلبية طوال عمرها كرهتها فيه:

-غصب عني...

قبل أن تصرخ فيه بكل ما تشعر به، أمسك يدها وقرّبها من فمه، ثم قبّل بطن يدها في حنان، وقال وهو ينظر لها نظرته التي تعشقها:

-بس مش معنى إني سيبتك.. إني بطلت أحبك! أنا عمري ما حبيت حد قدك يا «سارة» وإنت عارفة.

اهتزت روحها وهدأت عصبيتها فجأة.. ارتجف جسدها كله وخفق قلبها لحظة دون تفكير.. ثم شعرت بتأنيب ضمير مباغت والفكرة تخطر على عقلها كالمصير المحتوم.

هل يظن أنها هربت معه لأنها تحبه؟

جاءتها الخاطرة وهي تنظر إلي عينيه العاشقتين وابتسامته الحنونة.. وبكل الانفعالات داخلها نظرت إلى الطريق وهي تشعر بندمٍ رهيب...

***

أغلقت «يسرا» باب غرفة «علي» في الفندق خلفها، ليقف «علي» وينظر لها بتساؤل، نظرت له في عدم فهمٍ وقالت:

-في إيه؟

قال مشيرًا إلى بذلته:

-أنا هاغير...

أشارت إلى الحمام وقالت بلا مبالاة:

-خُش غيّر طيب.. مالك؟

نظر لها بتعجب، ثم هز كتفه وقال بلا مبالاة كأنما لم يعد يعبأ حتى بطرح وجهة نظره:

-ماشي...

أدركت أنه يرى الموقف غريبًا، فقالت كي يفهم نيتها:

-أنا خايفة تهرب زي الهبلة التانية!

نظر «علي» إلى ساعته، الثامنة وأربعون دقيقة، باقٍ ثلث الساعة حتى ينفذ والده تهديده، كل دقيقة تمضي تبعد أمل رجوعها، وتقتل في روحه أكثر.

كيف ليومٍ بدأ بكل الأحلام السعيدة، أن يتحول إلى كوابيس مستمرة.. إلى ألم لا يريد أن ينتهي؟!

هز رأسه كأنما ينفض أفكاره، وقال ردًا على كلام «يسرا» مبتسمًا:

-تصدقي ماكنتش بفكر في الموضوع إني أهرب ده إلا لما إنت قلتيه دلوقتي!

ثم قال مشيرًا إلى الشرفة:

-بس إحنا في الدور السابع.. يعني مافيش مهرب غير من الباب

وإنتِ هتبقي واقفة عنده.

هزت رأسها نفيًا وقالت بابتسامة:

-مش كل الهروب بيبقى إنك تمشي، ممكن تعمل في نفسك حاجة وإنت هنا...

رفع حاجبيه وقال في إعجاب ظاهره ساخر وداخله حزن، لأن الناس يظنون أنه قد يفعل شيئًا كهذا بنفسه:

-عاجبني إنك عمالة تديني أفكار حلوة.. هروب وانتحار!

ثم ضحك وهو يتجه إلى الحمام وقال:

-إنت لو قاصدة ماتعمليش كده!

خلع جاكيت البذلة وألقاه على الفراش بإهمال، فك رباط عنقه وهو يدخل الحمام، وأغلق الباب خلفه بقوة...

تأملت «يسرا» جناح العروسين، تجاهلت خاطرها المتشائم الذي يخبرها أن مَن اختار مهنتها لن يرى تلك الغرفة في الحلال أبدًا، وحتى لو في الحلال فلن يكون في العلن.. زفرت في ملل وتأملت الجناح الواسع المُزيّن باهتمام، وضعوا وردًا على الفراش في لفتة لطيفة، سارت في المكان الواسع نسبيًا، تأملت زجاج الشرفة الذي يحتل الغرفة كلها، رأت أضواء المدينة من أعلى فابتسمت، نظرت إلى إحدى الزوايا لتجد مرآة طويلة، خفق قلبها لحظات وهي تقترب منها ببطء، حتى وقفت أمامها...

وقفت تنظر إلى المرآة، تتأمل جسدها المتفجر في بدلة رقصها

المفتوحة من كل الجوانب.. وابتسمت في فخر، وشجن غريب يظهر في عينيها...

آخر مرة تأملت فيها نفسها في المرآة بتلك الطريقة كانت منذ فترة طويلة، كان ذلك الأحمق الذي لا تتذكر اسمه الآن يريدها أن تتحجب رغمًا عنها فقط كي يكمل معها في علاقتهما ويتقدم لأهلها رسميًا.. كم كانت فتاة بلهاء وقتها!

يومها أتت مكالمته...

المكالمة التي غيرت كل حياتها بعد ذلك...

رغم أنها لم تعرف اسمه الحقيقي حتى الآن، فقد أقسمت بينها وبين نفسها إنها عندما تلد طفلًا ستسميه بالاسم الذي أطلقته عليه بعد أن بكى وحكى لها كل شيء...

«أنا هاسميك «بحر»...».

دوّى صوتها في أذنيها وهي تخبره بتلك الجملة، التي تعلم -رغم أنها كانت مكالمة هاتفية ولا تراه- أنها جعلته يبتسم.

ذلك الأحمق البائس الذي كان يرغب في أن يشعر بأي شيء قبل أن يموت، ليجد «يسرا» مستعدة لفعل أي شيء معه بسبب تمرُّدها هذا اليوم فقط.. أنهى المكالمة وانتحر.. فقط ليترك بصمة داخل ثنايا روحها لم يتركها غيره.

أغمضت عينيها في قوة لتنفض أفكارها البائسة عنها، سمعت صوت باب الحمام يُفتَح، ذهبت مسرعة، لتجده واقفًا بنفس ملابسه ينظر لها نظرة لم تفهمها، قالت بدهشة:

-ماغيرتش هدومك ليه؟

كان يضع يديه خلف ظهره، وينظر لها نظرة طفل ينوي ارتكاب جريمةٍ ما، ابتسمت من ملامحه المفضوحة، في حين أظهر هو يده وما كان يخفيه خلف ظهره:

-«سارة» كان نفسها في ليلة الدخلة نجربه.. وأنا بكره الحاجات دي بس قلتلها مافيش مشكلة.. نجرب مع بعض.. خبيته في الحمام عشان أعملها مفاجأة لما نطلع.

اتسعت ابتسامتها وهي ترى في قبضته سيجارتين ملفوفتين، نظرت إلى عينيه المتحمستين كطفل، قال ووجنتاه تحمران قليلًا:

-تجربيه معايا؟

يا لبلاهته البريئة! ابتسمت لأنه يظن أنها لم تجربه حتى الآن، لكنها لم ترغب أن تفسد عليه لحظة انتصار، أول مرة تراه يبتسم من قلبه منذ أن بدأ الحفل.

كان «علي» يثق بـ«يسرا» ويشعر بأنها أقرب له من كل أصدقاء «سارة»، ينتمي لها بشكلٍ ما.. أخبرته «سارة» مرارًا بأن «يسرا» هي مَن تنصحها في كل خلافاتهما، أخبرته «سارة» أيضًا بأنها تتعجب كيف تفهمه «يسرا» بتلك الطريقة، إلى درجة أنها تتوقع ردوده قبل أن يقولها.. في مرة اختبر الأمر وقال لـ«سارة» عن مشكلة كبيرة، ليجدها تخبره بأنها تريد أن تغلق لمدة دقائق.. ثم عادت وأخبرته بكل شيء صحيح يمكن أن يسمعه منها.. ليضحك ويسأل «سارة» إذا كانت أخذت النصيحة من «يسرا»، لتخجل «سارة» وتخبره أن نعم.

لذا كان يثق بها إلى درجة أن يُريها سيجارتَي الحشيش، لكن تعبيرها الشارد جعله يقول عندما طال صمتها في ارتباك:

-أنا مش قصدي أضايقك.. أنا قلت أهه ممكن حاجة حلوة تحصل في الليلة السودة دي!

قالت بابتسامة جانبية كي تُجنِّبه مزيدًا من الارتباك:

-ماشي...

تألقت عيناه في حماس، ذهب إلى باب الغرفة بسرعة وأغلق رتاجه، تأملته بنظرة حانية كأم تراقب بلاهة ابنها، في حين وقف هو في منتصف الغرفة وقال بحيرة ناظرًا لها:

-بيتشرب إزاي بقى البتاع ده؟

رفعت حاجبها وقالت عابثة:

-بتولّع فيه وتحطه في مناخيرك وتشمه جامد.

نظر لها نظرة مشمئزة، فضحكت بشدة، لم يفهم سبب ضحكها، لكن حماسه جعله يضحك هو الآخر بشدة...

***

ما إن انصرف «محمد إسماعيل» زوجها مع «إسلام الحسيني» حتى جلست «أمل» على إحدى المناضد، وأخرجت هاتفها وكتبت بسرعة وغضب:

-مش قلتلك مليون مرة ماتبعتليش وأنا مع جوزي؟!

ظهر أن «أيمن» قرأ ما كتبت، وانتظرت حتى ظهرت رسالته المستفزة:

-أعمل إيه طيب؟ وحشتيني.. كمان إنت عارفة إني ما بصدق إن مراتي تخرج!

كل أطرافها وجسدها يشمئزون مما تفعل، لكن هناك شيء يحركها خارج إرادتها، عرفت أن لديها مرضًا نفسيًا ما لكنها لا تريد أن تعرفه ولا تريد أن تعالجه، ألقت بكل عيوبها على برجها اللعين وبررت كل أفعالها وانتهى الأمر، لكنها تعرف أن الأمر أكبر من مجرد برج...

ذلك السعي الدائم للاهتمام، الشهوة الرهيبة التي تصيبها عندما تستحوذ على عقل كل مَن يقابلها، لا بد أن يرغبها وأن تحتل كيانه، وما إن تصل إلى ذلك تشعر بانتصار غاشم، تسيطر نشوته على كيانها كله.

لذا رغم غضبها ابتسمت، شعرت باحتياجه لها فانهار غضبها في ثوانٍ، ابتسمت وكتبت:

-عاوز إيه طيب؟

ليكتب بسرعة جعلتها تبتسم في زهو:

-ابعتيلي أي حاجة حلوة.

قالت ليزيد تمنُّعها من اشتياقه ليس أكثر:

-مش هينفع أنا في فرح دلوقتي.

كتب رسالة آخرها وجه يضحك:

-طيب ده عِزّه.. الناس كلها بتحتفل باللي عاوزين نعمله.

ضحكت رغمًا عنها، وأغلقت شاشة الهاتف دون أن ترد.

لينتظر قليلًا ويتركها تستمتع بانتظاره...

تبدلت بسمتها وهي تغمض عينيها، الآن تأتي موجة تأنيب الضمير والاشمئزاز تحتل كيانها كله، اعتادت أن تضرب تلك الموجة شواطئ رغباتها فلم تعد تخشاها، تترك «أمل» الموجة تهجم بغضب شديد، ثم تصبر حتى تنحسر ببطء لتعود إلى البحر ثانيةً، تاركةً كل قاذوراتها تنغرس في رمل روحها.. تاركةً سؤالًا بلا إجابة...

متى ينتهي كل ذلك؟

***

حاول «عاصي» أن يوازن جسده وهو يسير على إطار الرصيف القصير كمن يمشي على حبل.

كل شيء كان بسيطًا.. قالت له إنها تريد أن تسير قليلًا وتستمتع بالنسمة الباردة، هز رأسه موافقًا، لتنهض بحماس ويسيرا معًا...

دون أسباب.. دون تبريرات.. دون تساؤلات...

تأملته «آية» بابتسامتها النقية الواسعة التي تأسر كل مَن يراها ولو من بعيد.

نظر لها «عاصي» ليجدها تنظر له بابتسامتها، فقال وهو يوازن نفسه ويسير على إطار الرصيف بجانبها:

-من زمان ماعملتش الحوار ده!

ضحكت لأنه يبرر شيئًا بسيطًا كذلك، قالت متسائلة:

-وليه ماعملتوش من زمان؟

قال بابتسامة لم يقصد أن تخرج بذلك الشجن:

-كبرت...

ثم قال بفضول حقيقي:

-إنتِ عندك كام سنة؟

قالت بنبرة واثقة وهي تشير إلى نفسها مازحة:

-تديلي كام سنة؟

لم يعرف بماذا يزد، خبرته ملأها الصدأ، وفي تلك الأيام التي يعيشها أصبح كل النساء يبدون عكس سنهن، كانت خدعته فيما مضى أن يخمن رقمًا ويقلله ثلاثة أعوام دائمًا، لذا قال ناظرًا لها:

-ممكن أقول أربعة وعشرين مثلًا؟

ضحكت بشدة ضحكة انتصار، فابتسم وأدرك أن خدعته ما زالت فعّالة، وقبل أن يتباهى بخبرته، قالت هي وسط ضحكها:

-أنا 20 سنة.

فقد اتزانه للحظة وهبط من على الرصيف وهو ينظر لها مذهولًا، رأت نظرته فضحكت ضحكتها الرائعة مرة أخرى والذي فهم أنها تضحك سخريةً منه هذه المرة.

تأمّل جسدها المتكامل، مساحيق التجميل البسيطة التي تُظهِر

جمالًا حقيقيًا، عينيها اللتين تقولان إنها تعرف الكثير، شعرها الناعم الذي لم تلعب ماكينة كوافير حمقاء فيه، روحها الناضجة وثقتها التي سرقته من حالة الكآبة التي كان فيها...

كيف؟!

قال وهو يحاول أن يبتلع دهشته ويتظاهر بالخبرة:

-شكلك يدّي أكبر من سنك!

وأكمل مبتسمًا في سخرية:

-بس إنتِ تديني كام سنة بقى يا فالحة؟

هدأت ضحكتها، نظرت في عينيه مباشرةً نظرة عابثة، ثم قالت بمرح:

-أربعة وتلاتين سنة.

عقد حاجبيه، في المعتاد يعطيه الناس أصغر من عمره كثيرًا، بسبب قصر قامته وجسده الرفيع -الذي يحافظ على تناسقه وبروز عضلاته- ووجهه ذي الملامح الطفولية الوسيمة، بل إنه ربّى ذقنه منذ عامين ليجعل مَن حوله لا يستهينون بملامحه ويعاملونه معاملة طلاب الجامعات، لذا ضربه في مقتل أن تخمن سنه الحقيقية مباشرةً.. كانت المرة الوحيدة التي يأمل أن يخطئ فيها أحد تخمين عمره.

رأت ملامحه ففهمت أنها أصابت التقدير، هزت كتفها في ثقة أغاظته وابتسمت، ليجبر نفسه على أن يقول:

-عرفتِ إزاي؟!

في لعبة التعارف كانت قاعدته الدائمة ألا يترك الطرف الآخر يبهره مهما حدث، لو حافظت على اتزانك ولم تستسلم لألاعيب الطرف الآخر في إبهارك، سيكون الانتصار حليفك حتمًا، لكنه لا يعرف كيف فقد تلك القاعدة معها بتلك السهولة، يشعر بأنه يستسلم لحبالها التي تلقيها بانبهار طفل أبله ينظر إلى حلوى جميلة!

هو يخسر الآن حتمًا...

قالت هي ببساطة وهي تكمل سيرها:

-ساعة ما جيت قعدت على الزرع فضلت باصص على الناس.. أنا وصاحبتي لما قعدنا أول حاجة عملناها مسكنا الموبايل...

بدأ يسير حتى أصبح جانبها، ضايقه أنها سارت دونه وأنه هو مَن لاحقها، تستفزه تلك الفتاة حقًّا.. أكملت وهي تزيح خصلة من شعرها الناعم من أمام عينيها:

-عرفت إنك فوق التلاتين على طول، millennial.. الجيل اللي لسه عنده option يبص على الناس اللي حوله، مش بيشوفهم في شاشة عملوله «لايك» ولا لأ!

قال بتعجب ساخر:

-يا نهار أسود.. إحنا بقينا جيل تاني؟!

ضحكت فأكمل هو:

-أنا لسه خاطب يا جدعان.. أنا لسه عيل صغير زيك!

هزت رأسها نفيًا وضحكت، أشارت إلى نفسها ثانيةً وقالت وهي تغمز له:

-لأ خالص.. إنت نسيت ولا إيه؟ إحنا الجيل اللي بيكبر من بدري قوي.. يعني أنا دلوقتي أكبر منك.

كاد يخبرها أنه يشعر بذلك فعلًا، يشعر بأنه يتعامل مع فتاة أكثر خبرة منه في الحياة، همّ بأن يعلّق لكنها نظرت جانبه وصفقت بيدها في مرح مفاجئ:

-الله.. استاد النادي.. أنا طول عمري نفسي أخُش استاد فاضي.

نظر إلى سور الاستاد الذي يقفان بجانبه، ابتسم بحنان وأومأ برأسه موافقًا، فابتسمت وسارت بمرح تسبقه إلى باب الاستاد المعدني.. نظر لها وفي عينيه نظرة راحة لم تحتل وجهه منذ أعوام.. وسار خلفها...

دون أسباب.. دون تبريرات.. دون تساؤلات...

***

مرت الدقائق بطيئة و«سارة» تقود العربة صامتة، تاركةً الأغاني تدوي بلا هدف...

شعرت بأن هناك شيئًا كدّر روحها منذ أن قبّل يدها.. ونظر لها تلك النظرة.. وقال كلامه عن أنه ما زال يحبها...

لماذا لا يوجد مهرب لأي أنثى إلا وكانت حريته مشروطة؟

إذا ضاقت بها الدنيا وقررت أن تكون نفسها، تجد نفسها تتورط

في قصص مشروطة النهايات، سواء لحبيب أو صديق!

بل إن النهايات محفوظة إلى درجة مملة سخيفة؛ إما ستجد نفسها في قصة حب مباشرة، وإما صداقة قد تتحول إلى حب في أي لحظة.

أين في قاموسها تلك العلاقة الحرة دون خوف وقيد وشرط؟

نظرت إلى «ياسين» نظرة خيبة أمل كبيرة، ظننت للحظة أنه سيفهم هروبها.. سيفهم أنها ذعرت فجأة من ذلك القيد الذي كانت تذهب له بقدميها.

أنها كانت تريد أن تشعر بحريتها دون قيود حتى لو كان هذا سيدمر حياتها كلها فيما بعد.

لماذا -بغبائه- قبّل يدها ونظر لها تلك النظرة العاشقة؟ بتلك الحركة البسيطة أفسد استمتاعها باليوم تمامًا.

زفرت في ضيق لم يلحظه، لكنه قال فجأة مبتسمًا في هدوء:

-عارفة يا بت يا «سارة»...

شعرت بضيق أكثر من جملته، دائمًا ما كان يقول «بت يا «سارة»» عندما كانا معًا، كانت تحبها منه لأنه لا يقولها إلا لمن دخل قلبه واستكان فيه، تجاهلت ضيقها وابتسمت ناظرةً له، فرمقها وابتسم مكملًا حديثه وهو يعيد نظره إلى الطريق:

-وأنا عيل صغير، وكنا بنروح النادي نلعب العربيات المتصادمة، كنت أنا الطفل الوحيد اللي بفضل أهرب من العربيات اللي عاوزة

تخبطني...

عقدت حاجبيها في تعجب، حكى لها تلك القصة من قبل، لكنها تركته يسترسل عسى أن يكسر ذلك الإحساس بالخوف داخلها، في حين أكمل هو ناظرًا إلى الطريق وابتسامته تتسع في حنين غريب:

-كل الناس بتلعب اللعبة دي عشان تخبط بعضها وتضحك، أنا طول عمري كنت بستمتع إني إزاي أبقى حريف لدرجة إني ماخبطش في حد.

وضحك ضحكة طفولية تحبها وهو يكمل بحماس:

-مرة الناس كلها اتغاظت مني، ولاقيت اللي أعرفهم واللي ماعرفهمش بيجروا ورايا نفسهم يخبطوني.. بس برضه ماعرفوش!

نظرت له وقد أنستها حكايته مشاعرها قليلًا، في حين قال هو بشجن لم تفهمه:

-اكتشفت مرة وأنا مكتئب، إن أنا بعمل كده في حياتي من غير ما أعرف.. دايمًا عايش في النص وببعد عن الوجع بكل قوتي.. ماشي في الدنيا بنظرية التفادي.. إزاي أبقى بالذكاء ماخبطش في حد وأوجعه.. وإزاي أبقى حريف قوي لدرجة إني أبعد عن أي حد عاوز يقرب مني.. ويوجعني.. اللي زيي بيحارب حرب عمره عشان يبقى في النص.

وهز رأسه نفيًا معيدًا نظره إلى الطريق:

-بيبقى عادي قوي.. آخره إنه يطلع كومبارس صامت.. عمره ما بيوصل إنه يبقى بطل فيلم!

وابتسم بحزن قائلًا:

-عشان كده تلاقي كل الناس بتحبني وبتحكيلي وواثقة فيا.. عشان لا بخبط فيهم ولا بسيبهم يخبطوا فيا.

لهجته تحولت إلى هدوءٍ جاد، ونظر لها:

-عشان كده عاوزك تطمني؛ أنا مش معاك دلوقتي عشان بحبك.. ولا عشان عاوزنا نرجع لبعض...

سرت قشعريرة مفاجئة في جسدها، كيف يعرف دائمًا ما تفكر فيه بالضبط؟ نسيت هذا الشعور منذ فترة طويلة، أكمل هو معيدًا نظره إلى الطريق الواسع:

-أنا وإنت خبطنا في بعض جامد قوي.. اتقابلنا في يوم صعب بس حبينا بعض فيه.. وأنا عشقتك لما عرفتك أكتر.. وعشان عشقتك.. أصعب إحساس حسيته في حياتي كان وجعي لما سيبتك...

شعرت «سارة» بدمعة في عينيها وهي تنظر له، وقد أكمل بحنانه الهادئ:

-عشان كده مستحيل أسيب نفسي أرجعلك تاني.

وابتسم في طفولة ليضحكها كعادته:

-عشان بقيت حريف قوي في إني أعرف إزاي ماخبطش فيك تاني.

سمعت خفقات قلبها في أذنيها قوية، نسيت كل الضيق الذي اعتراها، هناك مَن يفهمها، «ياسين» الذي لم يخيب ظنها لحظة،

يستمر في فهمها حتى في أصعب حالاتها فهمًا.

ابتسمت وقالت للعند ليس أكثر:

-بس إنت دايمًا بتتريق على بطل الفيلم اللي بيوعد البطلة إنه عمره ما هيحبها ويحبها في الآخر!

اتسعت ابتسامته الحنونة وضحك، قال بصوتٍ عالٍ:

-وإيه المشكلة؟ ما يحب لحد ما يعرف يعني إيه حب حقيقي.. إنت نسيتِ اللي كنت بقولهولك في الحوار ده؟

ابتسمت وسط دموعها وهي تتذكر تعريفه عن الحب، دائمًا ما كان يقول لها إن الحب ليس اثنين تقابلا حتى يبقيا معًا إلى آخر العمر، ما لا يعلمه أحد أن أعظم حب في الدنيا هو ذلك الحب الذي لا ينتظر فيه أحد مقابلًا من الآخر.. حب صافٍ... يفعل العاشق كل شيء من أجل سعادة معشوقه.. دون أن يضع شرط البقاء والتملك.. يكفيه فقط أن معشوقه يعيش سعيدًا راضيًا.. حتى لو لم يكن معه.. حتى لو لم يكن مِلكه.

صمت لحظاتٍ، ثم قال فجأة بحسم:

-أنا اللي هاقول المرة دي بقى.. إيه رأيك النهارده نحب لحد ما نبقى مش عارفين للحب آخر؟

ابتسمت في سعادة وقد استعادت جزءًا من استمتاعها:

-بس ده طلب صعب قوي يتحقق دلوقتي.. هنعمله إزاي ده؟

هز رأسه أن نعم وقال بابتسامة ساخرة:

-يا ربنا على الستات! قال يعني نمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر سهلة قوي.. بس جت على الحاجة اللي أنا قلتها بقت صعبة!

ضحكت بشدة، فقال هو بلا مبالاة:

-إحنا ماشيين يا «سارة».. نسيب الدنيا تقولنا نعمل أي حاجة إزاي.

اتسعت ابتسامتها الهادئة، هزت رأسها وهي تلكمه في كتفه لكمة بسيطة كعادتهما:

-خلاص.. نحب لحد ما نبقى مش لاقيين للحب آخر... أمرك يا سي «ياسين».

ابتسم وهو ينظر لها، في حين داست هي على دواسة الوقود لتزيد من سرعة العربة...

***

السادس

8:50 مساءً

«نواجه لحد ما نبقى مش فاهمين معنى الخوف».

امتلأت الغرفة بالدخان الخفيف الذي يتسلل بين ثنايا كل شيء يلمسه، سعل «علي» سعلة قوية وهو جالس على الأرض مع «يسرا» التي ضحكت بشدة عندما سعل هو.

قال «علي» في عدم تركيز:

-أنا مش حاسس بحاجة على فكرة.

ونظر إلى السيجارة وصمت تمامًا، صمت فترة طويلة دون أن يدرك، ضحكت «يسرا» للمرة الثانية، فالتفت لها في حيرة، ثم نظر إلى السيجارة ثانيةً وقال مكملًا جملته:

-واضح إن السيجارة دي مضروبة!

تأملت بلاهته وضحكت، سحبت السيجارة منه وأخذت نفسًا عميقًا ونفخته في وجهه مبتسمة، لم يبدُ عليه أنه أدرك أنها نفخت الدخان في وجهه، صمت لحظاتٍ ثم قال ببلاهة:

-أنا حران قوي...

ضحكت بقوة للمرة الثانية، وأشارت له أن لا وهي تقول:

-لأ كفاية كده.. ماينفعش تقلع أكتر من كده.

نظر إلى نفسه، فوجئ أنه يجلس عاري الصدر وحافي القدمين، لا يرتدي إلا سروال البذلة ويجلس متربعًا، نظر لها بحيرة وقال:

-إنت قلعتيني إمتى؟!

قالت بعد ضحكة طالت منها دون أن تدري:

-أنا برضه؟! إنت اللي كل شوية تقول حران وتقلع حاجة!

نظر لها بدهشة كأنما يسمع هذا الكلام لأول مرة، وتلفّت حوله، ثم أشار إلى ردائها وقال متسائلًا:

-إنت قلعتِ برضه عشان حرانة؟

انفجرت «يسرا» بالضحك، ثم هزت صدرها في حركة تتقنها الراقصات وغير الراقصات، وقالت بفخر:

-لا يا أخويا دي بدلة الرقص بتاعتي.. كنت جايالك بيها!

قال بصدق دون مزاح:

-يا بختك.. أكيد مش حرانة زيي...

ثم قال وهو يتأملها دون أن يدرك:

-بس جسمك حلو قوي على فكرة.. ليه كل الرقاصات جسمهم حلو؟

ابتسمت «يسرا» وهي تعلم أنه يتساءل بالفعل، ولا يقصدها مثل بقية الرجال، قالت بنبرة خبيرة:

-كل الرقاصات فيهم عيوب زي أي جسم، بس عشان إحنا بنبيِّن جسمنا الرجالة مش بيشوفوا عيوبه!

وأشارت إلى عقلها بإصبعها وهي تقول:

-بيشوفوا جسمنا بدماغهم هم.. بخيالهم.. عشان كده عمرهم ما بيلاقوا عيوب!

أومأ برأسه بجدية كأنما سمع معلومة مهمة، قال باهتمام وهو ينظر لها:

-إنتِ بقى إيه عيوب جسمك؟

ضحكت وقالت ساخرة:

-عندي صدر حادف شمال.

رفع حاجبيه بدهشة، وابتسم قائلًا كأنما وجد شيئًا ما يربط بينهما:

-إيه ده.. أنا برضه بـ...

صاحت فيه ضاحكة:

-بس.. أنا مش عاوزة أعرف.. أنا كنت بهزر يخرب بيتك!

نظر لها نظرة غير فاهمة، وهز رأسه كأنما نسي كل ما حدث من الأساس، تأملته «يسرا» قليلًا، ثم قالت بنبرة هادئة:

-طب إنت فاكر أي حاجة تاني غير إنك حران؟

هز رأسه نفيًا، ثم قال كأنما تذكّر شيئًا ما:

-المفروض إني زعلان عشان حاجة بس مش فاكرها...

أخذت «يسرا» نفسًا آخر، كل هذا ولم يمر أكثر من ربع ساعة منذ أن بدآ الشرب، دماغه خفيف إلى درجة لا تصدقها!

ابتسمت وأعطته السيجارة، يجعلها الحشيش تشعر بأنها خفيفة؛ بلا هموم وذكريات وأفكار سوداء، يطفئ ذلك الجزء من عقلها الذي يجعلها تفكر دائمًا وتهرب دون راحة، أخذ منها السيجارة ونظر لها

نظرة طويلة، ثم قال بحزن:

-كان نفسي أسكر شوية.. بس أنا مش حاسس بحاجة.

ضحكت لاستخدامه لفظ «السكر» في شيء لا يُسكِر، في حين التفت لها قائلًا بصدق كأنما يقولها للمرة الأولى:

-واضح إن السيجارة دي مضروبة!

انفجرت بالضحك، فنظر لها «علي» بعدم فهم، ثم ضحك معها من قلبه...

***

على باب الاستاد المعدني وقف حارس، ينظر إلى «عاصي» و«آية» نظرة صارمة، لم يستطع «عاصي» أن يمنع داخله فكرة أن هؤلاء الناس مهنتهم بائسة جدًا، يلتقون بشتى أنواع البشر ليقولوا لهم فقط «ممنوع».. سلطة سخيفة أن تكون أنت مَن يمنع الناس عن الاستمتاع بلحظات بسيطة في الحياة.

أشار الرجل لهم قبل أن يقتربا كثيرًا، وقال بصوتٍ عالٍ جملةً يقولها دائمًا:

-ممنوع يا فندم.

توقف «عاصي» احترامًا لكلامه، لكن «آية» استمرت في السير بثقة، وهي تبتسم ابتسامتها التي تعلم أنها خلابة، تبعها «عاصي» مرغمًا، يكره النساء اللاتي يظنّنّ أنهن فوق القانون فقط لأن لديهن نوعًا من أنواع الجمال والثقة، وضع يده في جيبه وسار بخطوات لا

مبالية حتى وصلا له، قالت «آية» بعينيها الواسعتين اللتين تجعلان كل الرجال يتقاتلون من أجل نظرة قبولٍ منهما:

-والله مش هنقعد كتير...

شعر بنظرة الحارس تتغير قليلًا ما إن رأى رقتها الملائكية، الرجال بُله حقًا، يبدو عليهم كل شيء حتى لو تصنعوا إخفاء مشاعرهم في صندوق من الفولاذ، تنحنح الرجل المسكين ليحاول استعادة صرامته:

-ممنوع يا فندم، الدخول للأعضاء بس وبمواعيد معينة.

مالت برأسها إلى اليمين قليلًا، وقالت بنظرة طفولية بريئة:

-أنا النهارده عيد ميلادي وطول عمري نفسي أخُش استاد فاضي، وخطيبي عاوز يعملهالي هدية.. بجد مش هنقعد كتير خالص.

لهجتها مُحيِّرة، ابتسم «عاصي» في إعجاب لم يستطع أن يخفيه، نبرة صوتها تعطي للرجل السيطرة كأنه يملكها، كأنها تطلب منه أن ينقذها، لكن خلف نبرة صوتها هناك أمر وتوجيه له لما تريد هي أن تفعل، رفع «عاصي» عينيه إلى أعلى وقد أتى في عقله خاطر مزعج...

هل هو إحدى ضحايا نبرتها وأسلوبها؟

هل هو مَن أراد أن يشعر بالحرية فسار معها أم أنها مَن جعلته يظن أن الحرية في يدها هي؟

ضربت النسمة الباردة وجهه، فابتسم وهز كتفه بلا مبالاة.

حتى لو كان إحدى ضحاياها، فهو لا يهتم على الإطلاق.. يكفي أنه يشعر بأن جزءًا صغيرًا من نفسه القديمة عاد بقوة.. يكفي أنه لا يبرر أفعاله ونواياه لأحد.. لا يوجد مَن يعامله بشكٍّ دائم ويتساءل عن نيته الحقيقية طوال الوقت.

«ريم» لم تفهم أنه عندما قرر أن يكون معها، كان قد ملّ من حياته القديمة بكل علاقاته وتجاوزاته وتفكيره الدائم في الجنس، عندما أحبها كان قرارًا منه أنه يريدها هي فقط دونًا عن كل نساء الدنيا، تقبّله لوجود بعض المسؤوليات كالعمل الدائم في مكان لا يحبه، التزامه بتوفير احتياجات زواجهما القادم طوال سبعة أعوام، الحرب الدائمة المستمرة في كل ثانية، من أجل فقط أن يحتويهما بيت واحد في النهاية.

لكنها كانت صديقته قبل أن يحبها، تعرف كل مصائبه ورغباته واستمتاعه بكل ما فات.. تخبره دائمًا بأنها غير كافية وأنه يشتاق إلى حياته القديمة.. أنها تشعر بثقل روحه واختفاء كل ما كان يميزه.. تتهمه دائمًا بأنه يرغب في المغامرات القديمة.. تشك في كل شيء يفعله كأن الحياة كلها تحولت إلى اتهامات مستمرة بلا معنى...

-رُحت فين؟

قالتها «آية» وهي تطرقع بإصبعها أمام وجهه، ابتسم ونظر لها ليجدها تضحك من قلبها، ضحكتها الصافية الحقيقية أكثر روعة من ضحكتها المزيفة التي تسحر الجميع بها، قالت مشيرةً إلى الحارس:

-عم «عباس» وافق.. يلا بينا...

كان قد فاته حوارهما بسبب شروده، عرفت اسم الرجل وأصبح صديقًا، فتاة مذهلة حقًا، قالت وهي تصفق بيدها كطفلة:

-أنا مبسوطة قوي.. ميرسي يا حبيبي.

ودون مقدمات اندفعت نحوه وتعلقت بذراعيها محيطةً عنقه واحتضنته.

حدث كل شيء بسرعة، لم يستطع أن يمنعها من احتضانه، لم يفهم ماذا تفعل وشعر من داخله بأنه يفعل شيئًا قمة في الخطأ، لكنها همست في أذنه عندما وجدته لا يستجيب لعناقها:

-عشان يصدق إننا مخطوبين بس.

لم يصدقها...

عناقها صادق.. يشعر بروحها تتخلل روحه وتكسر كل ذلك الصخر الذي أحاط قلبه به في سجن محكم، كي يرضي «ريم» أحاط قلبه بحاجز لا يُكسَر.. لم يسمح لنفسه بأن يشعر ولو بشعور بسيط ناحية أي فتاة مهما كانت الإغراءات.. أصبح يتعامل مع كل الإناث كإنسان آلي بلا مشاعر.

لكن عناقها كان صادقًا.

هي تريد أن تحتضنه.

قرر أن يضحك على نفسه ويصدقها.. رمق الحارس ليجده يبتسم في حنان كمن يتابع مسلسلًا، فابتسم رغمًا عنه واستسلم لها.

أحاط ظهرها بذراعيه ببطء، أراح رأسه المتعب وروحه المثقلة

على كتفها.

وضمها له بقوة...

لينطفئ عقله تمامًا ويستكين.

ما إن شعرت هي بضمته، استكانت لحظات، ثم تركته فجأة وابتعدت ضاحكة وهي تغمز له، شعر مع ابتعادها بأن أنفاسه قد ثقلت بغتة، غمزت له «آية» ثانيةً بعينيها وأمسكته من يده تسحبه ناحية الاستاد الواسع.

ما الذي تفعله به تلك الفتاة؟

دون إرادة حقيقية سار وراءها، ولكنه -لأول مرة منذ زمن بعيد- ابتسم ابتسامة صافية من قلبه.. دون أن تكون سببها «ريم».

***

نفخ «محمد إسماعيل» دخان سيجارته في غضب، وهو يراقب «عاصي» يحتضن تلك الفتاة.

كان يقف على تل بعيد يطل على الاستاد من أعلى، دار هو و«إسلام» في النادي كله، حتى وصل إلى تلك التلة العالية ووجد «عاصي» يحتضن فتاة غريبة لا يعرفها، ثم تمسك الفتاة يده ويدخلان الاستاد معًا.

قال بغضب لم يستطع أن يخفيه وهو يشير تجاه «عاصي»:

-إنتوا مافيش حد في شلتكم دي نضيف؟

نظر له «إسلام» نظرة حائرة، لسبب لا يعلمه ضايقه كلام «محمد»،

قال «إسلام» بنبرة جادة لكن حيادية:

-ماحدش عارف ظروف حد يا «إسماعيل».. إحنا صحاب وعشرة عمر وماحدش فينا وسخ...

ألقى «محمد» السيجارة في الأرض وسحقها بقدمه، ورد بلهجة صارمة:

-العروسة صاحبتكم هربت مع صاحبكم الزبالة، وآدي صاحبكم التالت بيخون أخت العريس.. والرابعة جابت من الآخر واشتغلت رقاصة.. إيه القرف اللي إنتوا فيه ده؟!

لم يستطع «إسلام» أن يمنع نفسه من أن يرد بصرامة:

-ماتنساش إن مراتك صاحبتنا برضه!

بعينين تشتعلان نارًا نظر «محمد» إلى «إسلام»، الذي أكمل بهدوء وهو يلقي رصاصته دون رحمة:

-مش عشان مراتك بتخونك تفتكر إننا كلنا خاينين!

لحظة صمت قاتلة مرت، «محمد» بنظرته المخيفة التي تشتعل غضبًا، و«إسلام» الذي ينظر له بهدوء وثقة، ارتعشت يد «محمد» وعاد ينظر إلى «عاصي» والفتاة وهما يسيران على أرض الاستاد معًا.

أخرج «إسلام» علبة سجائره وأخرج منها سيجارتين، عرض واحدة على «محمد» فأخذها دون أن ينظر له، وقف «إسلام» جانبه ونظر له مباشرة، قال بلهجة هادئة:

-إنت وعدتني إنك هتطلقها من شهر.. إيه اللي مخليك مكمل وإنت متأكد إنها خانتك معايا؟!

قال «محمد» وهو يبدو عليه أنه يبذل مجهودًا ليسيطر على أعصابه:

-مش وقت عتاب يا «إسلام» دلوقتي!

قال «إسلام» بنبرة غاضبة لأول مرة:

-أنا عمري ما كنت خاين يا «محمد».. وإنت خلتني أعمل كده عشان إنت كنت شاكك فيها.. ووعدتني إنك لو اتأكدت هتسيبها وترتاح من كل حاجة.

وسأل بصرامة غريبة على موقفه:

-ماسيبتهاش ليه؟!

ظل «محمد» ينظر إلى اللاشيء أمامه، تنهد «إسلام» تنهيدة عميقة، أخذ نفسًا طويلًا من سيجارته، ساد صمت ثقيل لحظاتٍ طالت، قرر «إسلام» أن يكسره ويعود إلى الموضوع الأصلي الذي ضايقه من صديقه، أشار ناحية «عاصي» وقال بهدوء:

-«عاصي» فيه اللي مكفيه.. أنا وإنت مش عارفين هو ليه بيعمل كده.. الأصول ندّيله عذره ونعرف الأول...

ليخرج «محمد» عن صمته وهو يقول بغضب:

-إنتوا حد فيكم يعرف الأصول؟! إنتوا شلة بنت ستين كلب!

وقبل أن ينطق «إسلام» معترضًا، قال «محمد» بغضب:

-وإحنا متفقين إننا مانتكلمش في اللي حصل ده تاني صح؟ المفروض إنك واعدني إنك ماتجيبش سيرة اللي حصل بينك وبين «أمل» ده طول ما إحنا عايشين.. الأصول إنك ماتسمّعنيش الكلمتين دول دلوقتي.. وتتهم مراتي في شمعتها!

فوجئ «إسلام» بغضب «محمد»، تعجب من كلمة «شمعة زوجته» خصوصًا أن «محمد» هو مَن كان حدّثها من هاتفه، وهو مَن رأى صورها، و«إسلام» احترامًا له كان يقف بعيدًا، كيف بعد كل هذا ينكر الأمر؟! لكن قبل أن يعترض التفت له «محمد» مبتسمًا وهو يقول:

-عشان كده يا صاحبي الأصول هو اللي هيحصلك ده...

وبسرعة وقبل أن يستطيع «إسلام» أن يحمي نفسه، لكمه «محمد» لكمة عنيفة غاضبة، أصابت فم «إسلام» بقوة جعلته يتراجع خطوتين إلى الوراء، ليجد قدميه تفقدان اتزانهما بسبب وقوفهما على ذلك التل الصغير من الزرع.

وجد «إسلام» نفسه يقع أرضًا ويتدحرج حتى يصل إلى الأرض الأسمنتية المستوية.

وشعر بالألم في كل ذرة في جسده...

***

تغير مزاج «سارة» تمامًا بعد أن طمأنها «ياسين».

أخذا يمزحان قليلًا، سارت العربة بهما حتى توقفا بسبب زحام جعل الطريق البطيء في الدائري يتوقف تمامًا.

دوّى صوت تلك الآلة الناعمة التي لا يعرفها «ياسين»، في بداية الأغنية التي يعشقها، قالت «سارة» في فرحة وصوت فستانها يصدر صوت خشخشة مع حركتها:

-يااااااااااه...

ابتسم «ياسين» في حنان.

ما زالت تتذكر...

كانت تلك الأغنية هي الأغنية التي كانت دائمًا ما تغنيها له هو بالذات.. كانت موجودة على قائمة الأغاني في هاتفه، ودون أن تنتظر، بدأت «سارة» تغني مع صوت «سيمون» الهادئ:

«خذني.. فإني.. أحب الحياة.. وأعشق في الليل ضوء القمر».

كانت الأغنية ككل شيء يعشقه تحكي قصة؛ مسرحية «كارمن» بطولة «محمد صبحي» و«سيمون»، الفتاة الغجرية التي تعشق الحب ولكنها تعشق الحرية أكثر.

وكعادة مَن يعشق الحرية، هناك مَن يعشقون تقييدهم.

تلك الأغنية غنّتها وهي تعترف لبطل المسرحية بأنها تحبه.. أنها تستسلم...

غنت «سارة»:

«أراك ترتعش مني الشفاه.. ويهتز قلبي ويصحو الشجر..

وأطلق خيالك.. حتى مداه.. ودع عنك خوفي وهذا الحذر..

ففوق حصانك طوق النجاه.. كفارس أحلامي.. المنتظر..».

أهدته إياها بعد أن ظل جانبها بعد وفاة والدها، اعترف لها بأنه يحبها وأنه فقط يرغب في أن يظل جانبها طوال عمره، لتبتسم هي، وتجيبه بتلك الأغنية التي سرقت قلبه من جمالها.. هدأت الموسيقى في الجزء الذي يعشقه، نظر إلى «سارة» ودون أن يدري مدّ يده، لتبتسم «سارة» وتضع يدها في كفه في حركة تلقائية. نظرت في عينيه مباشرةً، أكملت غناء كلمته المفضلة في الأغنية:

-«أذوب بكفيك.. كثلج الجبال.. وأسقط في صدرك كالمطر..».

سرت قشعريرة في جسدها، ذكريات جامحة تجتاح كيانها حتى إن صوتها اهتز وهي تغني، ذكريات كل لحظة أضحكها.. كل ثانية احتضنها فيها وشعر بأن كونه اكتمل، ابتسم في شجن وهي تكمل:

« أنا حرة.. وحبي صريح.. وحبك لي من السماء انحدر..».

قال لها يومًا إنه يكره كلمة «انحدر» في الأغنية، يشعر بأنها أضاعت قيمةً ما وسط روعة الكلمات، الحب لا ينحدر، الحب يسكن في القلب مباشرةً، لتجيبه «سارة» بمنطقها الذي يهزمه دائمًا وأبدًا: «بطّل رخامة واستمتِع»، فيصمت تاركًا إياها تكمل الغناء، وكأن الذكرى جاءت في عقلها أيضًا، ابتسمت وضغطت على يده، ليغمض عينيه بمعنى أن ذكرياتهما واحدة...

«لنا كل هذا.. الكون الفسيح.. وحريتي في حبك.. قدر..

فحبي إليك حريتي.. فإذا ملكت الحب.. الحب انتحر..»

صمتت العربة وصمت قلباهما لحظة حداد على حب كان أعظم من

أن يكتمل.

قال يقطع الصمت كالمعتاد بتعليق سخيف:

-لسه شايف إن آخرها وحش قوي.. يعني إيه الحب انتحر؟ تحسي إنه مالاقاش حاجة يقفل بيها فكتب كده وخلاص!

هزت رأسها وقالت مُزيحةً يدها من كف يده:

-مافيش فايدة فيك!

لم يرُد كعادته، فنظرت له لتجده ينظر إلى الطريق. قالت بتساؤل:

-في إيه؟

انعقد حاجباه في تركيز وهو ينظر أمامه، قال بسرعة:

-وقّفي العربية بسرعة.. أنا هانزل...

التفتت «سارة» لتجد لجنة مرور بعيدة، لم تفهم لماذا توتر «ياسين» بهذا الشكل، ليقول «ياسين»:

-محمد إسماعيل ممكن يكون عمل حاجة.. أنا هاتمشى عادي وهاجيلك بعد اللجنة.

أومأت برأسها موافقة وهي توقف العربة تمامًا، ليخرج «ياسين» مسرعًا ويختفي وسط العربات باتجاه سور الدائري، سارت بالعربة في طابور اللجنة حتى وصلت إلى شرطي يبحث داخل العربة بعينيه. اقترب الشرطي منها ونظر لها من خلال النافذة، لتبتلع ريقها في توتر حاولت أن تخفيه.

ما إن رأى الشرطي «سارة» بفستان زفافها حتى قال بهدوء:

-اركني على جنب لو سمحتِ...

قالت «سارة» في ارتباك:

-ليه يا فندم أنا معايا رخصتي ورخصة العربية!

نظر لها الشرطي لحظاتٍ، ثم قال سؤالًا لم تتوقعه:

-اسم العروسة إيه؟

قالت «سارة» في دهشة:

-«سارة».

انقلبت ملامح الشرطي إلى صرامة شديدة وقال وهو يخبط بيده على العربة:

-اخرجي من العربية لو سمحتِ...

ابتلعت «سارة» ريقها وقلبها يرتجف، خرجت من العربة وهي تسمع الشرطي يصيح بصوتٍ عالٍ لشرطي آخر أعلى رتبة يقف بعيدًا عنهما:

-لقينا العروسة المخطوفة يا فندم.

انتفض جسد «سارة» في خوفٍ من كلمته، هل ما توقعه «ياسين» صحيح؟ قالت «سارة» ما اعتادت أن تقوله طوال صداقتها بزوج «أمل»:

-حضرتك إحنا تبع العقيد «محمد إسماعيل»، مرور التجمع

الخامس...

ابتسم الشرطي بسخرية وقال:

-آه يا حبيبتي ما هو اللي بلغنا إنك مخطوفة!

انقبض قلب «سارة» وهي تتلفت حولها كي تحاول أن تجد «ياسين»، لكن لا أثر له على الإطلاق، شعرت بدموعها تتصاعد إلى عينيها وهي تشعر بوحدةٍ رهيبة، قلقها يتصاعد والشرطي الأعلى رتبة يقترب، ملامحه الساخرة تُنبئ بمصيبةٍ قادمة...

السابع

9:00 مساءً

«نبص للسما لحد ما نبقى مش حاسين بالأرض...».

تأملت «ريم» الساعة، أصبحت التاسعة بالدقيقة.. آخر المهلة التي أعطاها والدها «عبد الوهاب» للجميع، ولم تعد «سارة»، ولم يعد «محمد» و«إسلام» بعد...

شعرت بالقلق على «عاصي» مع بعض الندم، هي السبب في ذلك الشجار الذي حدث، كان يجب أن تصمت تمامًا، تأملت القاعة التي بدأ الرقص يخفت فيها، هناك بعض الأصدقاء الذين أتوا كي يرقصوا ما زالوا يفعلون هذا بإخلاص، شعرت بالامتنان لهم لأنهم يريدون أن يحيوا الفرح حتى تصل العروس، لكن رغم مجهودهم لم يكن هناك عريس أو عروس يرقصان معهم، بدأ النشاط يخفت تدريجيًا ولم يبقَ إلا أربعة أو خمسة يرقصون في حماس، في حين جلس الباقي يتحدثون...

أين ذهب الجميع؟

لماذا تركوها وحيدةً هكذا؟

افتقدت «عاصي» وشعرت بأنها تريد أن تلقي نفسها في حضنه وتعتذر عن كل ما مرّ بهما، ليس فقط على اليوم، تعلم تمامًا أنها لا تتحكم في غيرتها عليه وشكها الدائم فيه، حاولت مرارًا وتكرارًا أن تسيطر على تلك المشاعر داخلها ولا تستطيع، تجد أصغر تصرُّف منه يثير ريبتها، تنطلق فيه كالمدفع متهمةً إياه بكل الأشياء التي تعلم من داخلها أنه لا يفعلها، يصبر عليها ويبرر أفعاله لكن مشاعرها تكون سيطرت عليها فلا ترضى إلا بعد أن تجعله يكره نفسه.

نصحها الكثير -حتى «عاصي»- بأن بتصرفاتها هذه ستجعله يخونها بالفعل.. لا يوجد بشري -سواء ذكر أو أنثى- يتحمل السجن

كثيرًا.. سيجد طريقة يهرب بها منها وسيذهب دون تفكير.. لكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها.

هي تعشقه...

أصبح عالمها الذي تطمئن له، بيتها الذي تسكنه في راحةٍ وصفاء، هو الوحيد الذي يستطيع احتواءها بكل تقلباتها المجنونة، يبتسم في حنان ويتقبلها بعيوبها وغضبها وأسوأ ما فيها، ورغم كل ما يراه يفتح ذراعيه مُرحبًا أن تسكن قلبه.

كيف تحافظ عليه وهي لا تستطيع السيطرة على كل ما بداخلها؟!

قطع أفكارها دخول والدها «عبد الوهاب» العاصف إلى القاعة، خلفه والدتها تحاول اللحاق به، تعرف والدها وتعرف ملامحه عندما ينتوي الشر، نهضت من مقعدها بسرعة واقتربت منه حتى قطعت طريق سيره ووقفت أمامه، نظر لها بعينين غاضبتين وقال بصرامة:

-ابعدي عن وشي يا «ريم» بعد إذنك!

تعلم جيدًا أنها لها دلال عليه أكثر من أي أحد آخر، ربتت على كتفه وقالت بحنان:

-حاضر يا بابا.. بس قولي عاوز تعمل إيه؟

لأول مرة في حياته، تعامل معها بقسوة ودفعها جانبًا بقوة، ومضى متجهًا ناحية أهل العروسة، نظرت له «ريم» غير مصدقة وركضت خلفه هي ووالدتها، حتى وصل هو إلى منضدة «راوية» خالة «سارة» التي تجلس باكية مع زوجها «أحمد»، نظرا إلى «عبد الوهاب» في تساؤل، ليقول بلهجة صارمة:

-أنا كلمت المأذون بتاعنا وهو جاي دلوقتي.

وسحب كرسيًا وجلس عليه، نظر لهم نظرة مباشرة وهو يقول بصرامة:

-عاوزين نناقش إجراءات الطلاق...

ارتسمت الدهشة على ملامح «راوية» وانهارت دموعها أكثر، في حين قال «أحمد» بحدة:

-طلاق إيه بس دلوقتي؟ ماحدش فينا عارف «سارة» جرالها إيه ولا هي فين!

قال الأب بلهجة قاطعة:

-مابقاش يهمني أي حاجة عن بنتكم.. المشكلة دي بتاعتكم.. أنا اللي يخصني إني أخلص من الجوازة دي.

واستطرد دون أن يترك لهما فرصة الرد:

-طبعًا الطلاق هيتم وماحدش هيطالب بأي حقوق.. الاتنين مادخلوش على بعض!

رد «أحمد» وهو يشيح بيده:

-إنت مالك داخل علينا كأنك صاحب حق؟ ماسألتش نفسك «سارة» مشيت ليه وابنك عمل فيها إيه؟!

شعرت «ريم» بأن الوضع يخرج عن السيطرة، تلفّتت حولها، لا يوجد أحد من المقربين سوى أقاربها الذين من ملامحهم يؤيدون

«عبد الوهاب» تمامًا، كل أصدقائها غير موجودين، بدأ بعض الناس يتجمعون حول المنضدة في فضول، لا بد أن يتدخل أحد قبل أن ينفجر الأمر.

قال «عبد الوهاب» بصوتٍ عالٍ هذه المرة:

-حتى لو ابني عمل فيها اللي ما يعمل... مافيش بنت متربية تعمل اللي بنتكم عملته!

نهض «أحمد» منتفضًا وأشاح بإصبعه قائلًا:

-حاسِب على كلامك واحترِم نفسك!

هبّ «عبد الوهاب» من مقعده بدوره، شعرت «ريم» بأنها لا بد أن تفعل شيئًا، تحركت دون تفكير وأمسكت ذراع والدها صائحة:

-بابا عشان خاطري كفاية كده!

ظل «عبد الوهاب» صامتًا، ينظر إلى الخالة وزوجها نظرة مخيفة، قبل أن يعدل بذلته ويقول بصوتٍ حاد:

-المأذون في الطريق.. لما ييجي... نِطلّق.

وأكمل بصرامة مخيفة:

-وبعد كده نشوف مين غلطان!

وأزاح يد ابنته، وصاح بأعلى صوته وهو يسير إلى الخارج:

-وشوفولي الزفت «علي» ده راح فين.. عاوزه قدامي أول ما المأذون ييجي.

ارتجف قلب «ريم» وهي تراه ينصرف كالعاصفة خارج القاعة كلها.

لتنظر «ريم» إلى شاشة هاتفها، إلى الصورة التي التقطتها اليوم للقمر عندما قالوا إن اليوم هو يوم ذلك الحدث الكبير، ووضعت الصورة حائط الخلفية لهاتفها.

ولوهلة شعرت بأنها تريد أن تخاطب ذلك القمر وتخبره ما بها...

***

ضحك «علي» ضحكة طالت أكثر من المعتاد، تراقبه «يسرا» مبتسمةً بحنان وتضحك معه، الأكثر متعة من شرب الحشيش هو رؤية آخر حديث العهد به ويذهب عقله تمامًا.

ضرب جرس هاتفه للمرة الألف منذ نصف ساعة، كانت «ريم» أخته، نظر إلى الهاتف وعبس فجأة، التفت إلى «يسرا» وقال بحيرة:

-مش عاوز أرد...

ضغط على زر ليمنع صوت الجرس المزعج للهاتف، وقال شاردًا بعبوس:

-أكيد فيه مصيبة!

أشارت له «يسرا» ألا يبالي، وقالت مُهوّنةً:

-فُكّك.. مافيش مصيبة تستاهل إنك تشغل بالك بيها.

نظر لها لحظاتٍ بامتنان، ثم حملت نظرته شعورًا آخر أربكها قليلًا، في حين قال هو بجدية:

-كان نفسي أبقى زيك قوي!

للحظة لم تفهم وظنت أنها تخاريف الشرب، لكن نظرته الجادة التي تخترق روحها وتنقل مشاعره إلى قلبها، جعلتها تثبت عينيها في عينيه لحظاتٍ وتصمت، أكمل «علي» وهو لا يزحزح عينيه عن عينيها:

-أنا عارف كل حاجة عن «بحر»...

اتسعت عيناها في صدمة وارتعش جسدها كله...

نظرت له وهي تشعر بأن هناك مَن مد يده وانتزع روحها ليضرب بها الحائط بقوة.

لم يكن يعرف موضوع «بحر» سوى أقرب اثنين لها في الحياة؛ صديق عمرها «ياسين»، و«سارة» التي تلاقت روحاهما وأصبحتا أختين في وقت قصير، مستحيل أن يقول «ياسين» شيئًا.. هل باحت «سارة» بسرٍّ مثل هذا؟ لا تصدق!

أكمل هو ناظرًا إلى روحها:

-طول عمري أنا الأخ الكبير.. الولد الوحيد.. أمل العيلة.. أبويا طول عمره راجل بتاع قوانين والتزام.. شيّلوني مسؤولية من وأنا عيل صغير.. مافيش وقت للعب.. خليك راجل عشان تشيل أختك وأمك لما أنا أتعب.. خليك ضهر وسند لكل الناس اللي حواليك.. الناس مش هتحترمك غير لما تنجح في اللي هم بيحبوه.. كلام الناس بيفرق.. مظهرك بيفرق!

ثم ابتسم ساخرًا وهناك دمعة تظهر في عينيه:

-بس ماحدش علمني إن اللي جوايا هو اللي يفرق!

وأكمل كلامه و«يسرا» تتابعه بنظرة متسائلة:

-فعيشت حياتي كلها بخط مشاعري على جنب.. مش هاحب غير مراتي.. مش هاشرب ولا هاسكر.. هابقى دايمًا رقم واحد في أي موضوع هاخش فيه.. أنا مش مهم، المهم الناس والدنيا اللي حواليا تشوفني ناجح.. أبقى ابن أهلي يتفشخروا بيّ.. أخ مافيش منه اتنين.. زوج رائع وأب مافيش زيه.. وحياة الناس كلها تحسدني عليها.. عشان كده بقيت مهندس بترول.. بسافر وأتغرب بالشهور وبقبض بالدولار!

وأكمل مشيرًا بإصبعه في حيرة كأنما يسأل «يسرا»:

-بس مشكلة الناس اللي زيي إن مافيش حاجة بتحسسنا بالرضا.. دايمًا فيه نجاح أكبر ممكن أوصله.. دايمًا فيه ناس أكتر لازم أرضي نظرتهم ليّ.. مهما وصلت مابحسش بمتعة اللي وصلتله عشان بفكر في المشروع اللي بعده!

وأكمل وهو يمسح على شعره ويتنهد بقوة:

-لما شفت «سارة» مرة في تجمعاتكم مع بعض.. حسيت إنها عكسي تمامًا.. هي واضحة وجريئة وبتعرف إزاي تستمتع.. بتعرف تنسى الدنيا وتفصل.. قلت هي دي اللي هتخلي حياتي أحسن.. هي دي اللي هاعشق أخُش دنيتها وأحس بكل حاجة نقصاني.. هي اللي هتحييني.. كنت عارف إنها لسه سايبة «ياسين» ومحتاجة أكتر حاجة أنا بقدمها.. الأمان.

رغم أن «يسرا» كانت تعلم قصتهما، قررت أن تتركه يتحدث، هو يحتاج إلى هذا أكثر من أي شيء الآن، فقط نظرت إلى القمر المطل من وراء زجاج الشرفة الواسع، ابتسمت للقمر وغمزت له كما اعتادت، في حين أكمل هو دون أن يأخذ باله:

-«سارة» وافقت فعلًا، بس أنا كنت عارف من جوايا إنها ممكن تجري في أي وقت، استعجلت كل حاجة.. لازم نتخطب بسرعة.. لازم الفرح يبقى بعد سبع شهور من الخطوبة.. بقيت بحط قوانيني وبجبرها عليها.. بقفش على الكبيرة والصغيرة عشان تعرف طباعي.. تفرح بس بحساب.. تستمتع بس بإذني.. تبقى براحتها بس ماتضايقنيش.. ما هو أنا مش عايش أرضي الناس وأختار زوجة ماتعجبهمش وماتشرفنيش!

ورفع إصبعه التي اهتزت محذرًا:

-بس وأنا بعمل كده غصب عني، اكتشفت إني بعمل أسوأ حاجة في الدنيا...

ونظر إلى عينيها معترفًا بشيء لم يعترف به لأحد من قبل:

-اكتشفت إني مش عاوز أنسى نفسي وأعيش في دنيتها.. أنا عاوز أقتلها عشان تعرف تدخل دنيتي!

سرت قشعريرة في جسد «يسرا»، في كل حديثها مع «سارة» عن «علي» وأفعاله، كانت «يسرا» تقول نفس ما يقوله هو الآن، حذرت «سارة» مرارًا من تحكُّمه الناعم في شخصيتها، لم تتخيل للحظة أن «علي» يعلم هذا بل ويعترف به أمامها الآن!

هبطت دمعته وهو يكمل:

-مرة اعترفتلها بكده.. قلتلها إني مش عارف أحس بحاجة.. مش عارف أستمتع بأي حاجة.. إن دماغي بقت لعنة ومش عارف أخرج براها.. راحت هي حضنتني وحكيتلي قصتك...

ونظر لها ليقول ما كانت تخشاه من البداية:

-قالت إنها فاهماني.. وإنها هتفضل معايا.. وإني عامل زي «بحر» بالظبط.. أنا عارف هو انتحر ليه.. عارف إنه عاش ومات ومافرقش مع حدا!

لتهبط من عين «يسرا» دمعة لم تستطع أن تكتمها أكثر من ذلك، نظر «علي» إلى السيجارة وأكمل استرساله بشرود:

-أكتر حاجة بحبها فيك.. إنك الوحيدة اللي فرق معاك موته.. لسه عايشة فاكراه.. إنت اللي بتديني أمل إني ممكن أفرق مع حد...

التفت لها وسألها كطفل:

-أنا مش عارف أعمل إيه.. بس عارف إنك الوحيدة اللي فاهماني.. واللي وجعي فارق معاك.. قوليلي.. أعمل إيه؟

لتهبط دموعها أكثر...

***

اقتحمت «أمل» حمام الفندق بسرعة...

ما إن دخلته حتى دارت بعينيها في أركانه مسرعة، سارت بسرعة وأخذت تنظر أسفل فتحات الأبواب المغلقة، ذهبت إلى الحائط

المقابل للباب الذي تحتله نافذة عريضة قليلًا، اقتربت منها ونظرت خلالها، تطل على مكان مظلم لا يوجد به أحد، رفعت رأسها إلى السماء لتنظر إلى القمر لحظاتٍ في حيرة، أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت ساخرة:

-مين المريض اللي حاطت شباك في حمام الستات ده؟!

عادت ونظرت إلى الحمام الواسع ثانية، وعندما تأكدت أن لا أحد موجود في الحمام، دخلت إحدى الكبائن وأغلقت الباب خلفها، وأدارت الرتاج بقوة.

وأخذت نفسًا عميقًا...

أخرجت هاتفها من حقيبتها الصغيرة، فتحت المحادثة بينها وبين «أيمن»...

ابتسمت في عبث وهي ترى أن هناك أكثر من 10 رسائل تركها هو لها.

لا بد أنه يحترق برغبته الآن...

فتحت الرسالة وهي لا تستطيع منع تلك البسمة العابثة على شفتيها، كتبت في سرعة:

-ها يا سيدي.. فضيتلك.. بس قدامي خمس دقايق بس.

رأى الرسالة على الفور فاتسعت ابتسامتها، كتب بسرعة:

-مش هاخد منك دقيقة.

وضعت وجوهًا كثيرة لوشوش صفراء تضحك، ثم كتبت بعدها:

-دي حاجة تكسف قوي، بتقولها وإنت فرحان كده ليه؟!

أرسل لها أكثر من «sticker» لأطفال يضربون بعضهم بعضًا، بمعنى أنه غضب مما تقول، ضحكت ضحكة خافتة، وكتبت:

-معاك.. نفسك تشوف إيه؟

لترى علامة أنه يكتب، ترقبت بلهفة، ثم قرأتها بعينين تلمعان:

-نفسي أشوف كل حاجة فيك بتاعتي.

ابتلعت ريقها، ودون كلمة أخرى، فتحت كاميرا هاتفها...

***

الأسفلت يظل دافئًا حتى لو أصبح الجو أكثر برودة.

ملحوظة لاحظها «إسلام» وجسده كله ملقى على الأسفلت. ارتطامه بالأرض بعد تدحرجه على تلك الهضبة الصغيرة في النادي، جعل جسده يئن مع فمه، الذي تلقّى لكمة من ضابط خبير يعرف أين تؤلم اللكمة بالضبط.

لاحظ السماء، النجوم صافية، القمر بدر ينير السماء، السحب خفيفة...

شعر بأن النجوم والقمر والسحب ينظرون جميعًا إلى الأرض بشفقة، كل هؤلاء البشر الذين تخلوا عن صفة النمل في النظام الإجباري، واختاروا الحياة بحرية عقولهم.. فأصبحت أقدارهم تتصادم بلا رحمة.

في عبثٍ سريالي يتأمله المعجبون ويصفقون من عبقرية عشوائيته...

تذوق الجملة التي دارت في عقله وشعر بأنها جيدة، لا بد أن يستخدمها في روايته القادمة بشكلٍ ما.

معظم أصدقائه حوله الآن كانوا أبطال رواية سابقة له.. كان ما زال جديدًا في مجال الكتابة، عندما اشتهر في وسائل التواصل الاجتماعي بقصة قصيرة اسمها «عن عاهرتي».. أثارت الجدل وقتها.. ووجد لحظتها صاحبة دار نشر معروفة تُدعى «علياء الصواف» تتواصل معه من أجل إصدار رواية... لحظتها لم يكن لديه أفكار حاضرة فكتب رواية عنهم.. عن القصص الحقيقية لكل أصدقائه الذين حوله الآن.

وكانت قصة «أمل» عن تلك الفتاة التي كانت تعشق حبيبها السابق «أيمن» بعد أن تركها في زفافها، وظلت تعشقه حتى وهي مخطوبة لابن عمها المحترم.. «محمد إسماعيل».

استأذن أصدقاؤه جميعًا في أنه سيستعير قصصهم، وافقوا بصدر رحب، لتصدر الرواية في السوق وتحظى بنجاح مقبول. ويصبح «إسلام الحسيني» كاتبًا في دار نشر معه كتاب زملاء ما كان يحلم أن يلتقيهم يومًا.. بل إنه لم يصدق نفسه عندما حدّثه الكاتب الأكثر مبيعًا في الدار والأشهر في مصر، يبارك له ويقول له ملحوظة لم يفهمها «إسلام» حتى الآن...

قال له بصوته العميق المرهق:

-مش وحشة كأول رواية.. بس عيبك إنك لسه بتخاف.. واللي بيخاف يلعب ويتدخل.. عمره ما بيبقى كاتب حقيقي... هاباركلك تاني لما أحس إنك بقيت تستاهل.

وأغلق الهاتف، ليشعر «إسلام» بالفرحة والغيظ في نفس اللحظة.

لأنه لم يُحدِّث «إسلام» ثانيةً في أيٍّ من رواياته التالية.. وشعر «إسلام» بأنه لم يعترف به حتى الآن.

منذ أن هربت «سارة» وكل ما يشغل عقله أن ما يحدث الآن يناسب جزءًا ثانيًا للرواية وعن جدارة.. وها هو راقد على الأرض ينظر إلى القمر بعد ضربة من أقرب أصدقائه.. ليجعله يريد أن يكتب أكثر وأكثر...

ظهر رأس «محمد إسماعيل» يحجب القمر ويقطع أفكاره الأنانية، نظر «محمد» له في صرامة وهو يمد يده له، نظر بجسده الملقى على الأرض إلى اليد الممدودة لحظاتٍ، ثم مد يده وأمسك يد «محمد»، الذي جذبه بقوة هائلة جعلت جسده يعتدل في ثوانٍ، تعجب «إسلام» من تلك القوة، تيقن داخله أنه لو دخل في عراك مع «محمد» سيخرج مهزومًا في ثوانٍ، أخذ ينفض ملابسه من الأتربة التي ملأتها، نظر له «محمد» لحظاتٍ، ثم قال بتقدير حقيقي لم يلاحظ أي قدر من الاستهانة فيه:

-إنت صاحب جدع يا إسلام.. وراجل.

وبجدية فجرت الدهشة داخله مد «محمد» يده له وقال:

-أنا آسف إني مديت إيدي عليك.. حقك عليا.

نظر إلى يد «محمد» وجديته، لم يستطع أن يفهم، صمت لحظاتٍ طويلة جعلت «محمد» يعيد يده ثانيةً جانبه، وينظر له بابتسامة واسعة:

-تحب تاخد حقك؟

لم يفهم «إسلام»، فرفع «محمد» ذقنه، وفتح ذراعيه على آخرهما في استسلام، وقال بقوة:

-خد حقك.. العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم...

وأكمل بقوة أمام عينَي «إسلام» المندهشتين:

-اضربني زي ما ضربتك وصافي يا لبن.

قال «إسلام» بحيرة:

-إنت بتعمل إيه؟ إنت جاي من الجاهلية يا ابني؟

قال «محمد» بجدية وهو يقرب جسده أكثر ليصبح في مرمى لكمة «إسلام»:

-بالعكس.. الرجالة بتحل مشاكلها كده.. أنا جيت على كرامتك.. إنت تاخد حقك.. لو سامحتني هتفضل كرامتك مجروحة.

ثم صاح فجأة بصوتٍ عالٍ:

-اضرب ماتبقاش خرع!

لقد جُن تمامًا!

نظر «إسلام» له في شفقة، لم يكن «محمد» هكذا فيما مضى، كان

قمة في العقل والتحضر.. لكن هناك شيء ما غيّره بالتدريج دون أن يلاحظ أحد.

همّ بأن يربت على كتف صديقه، لكن «محمد» صاح فجأة بغضب:

-اضرب ماتبقاش عيل لا مؤاخذة زي أصحابك!

أغضبت جملته «إسلام»، شعر بالدماء تفور في عقله، ودون أن يفكر شعر بأنه يريد أن يخرسه، مد ذراعه بطولها وهوى بها بسرعة على وجه «محمد»، لكن مع سرعة تفكيره، لم يلحق أن يغلق يده، وكانت المسافة بعيدة أخطأ «إسلام» تقديرها، فلمست أطراف أصابعه ذقن «محمد» لمسة خفيفة.

ساد الصمت لحظةً بينهما، نظر له «محمد» نظرة استنكارية، في حين عاد عقل «إسلام» له، فشعر بالندم وهو ينظر إلى «محمد» آسفًا.

فجأة انفجر «محمد» ضاحكًا، ليبتسم «إسلام» وفمه يؤلمه، هدأت ضحكة «محمد» ووضع يده على كتف «إسلام» كصديقَي عمر، وقال:

-بالقلم؟ ومش عارف تنشن؟! إنت إمتى بقيت بنت أختي كده؟!

نظر «إسلام» إلى الأرض ومشاعره متضاربة، شعر بـ«محمد» يدفعه ليسيرا معًا متجهَين إلى القاعة وهو يقول:

-إنت عمرك ضربت حد قبل كده؟

هز «إسلام» رأسه أن لا وهو يقول بجدية:

-عمري ما شفت إن العنف بيحل حاجة.

ضحك «محمد» باستمتاع حقيقي، وقال بتعجب:

-الله يخرب بيت الكتابة على الكتاب، العنف مش حل؟! إنت عارف لو أنا في القسم وجالي متحرش ولا مجرم ضربته الضربة بتاعتك دي هيعمل إيه؟

نظر له «إسلام» في تساؤل، فقال «محمد» كمن يلقي نكتة:

-هيغتصبني أنا!

قالها وضحك بشدة، ليبتسم «إسلام» رغمًا عنه، ويسير جانب «محمد» عائدَين إلى القاعة.

ولأول مرة يشعر بأنه لا يسير جانب صديق...

بل يسير جانب شخص لا يعرفه على الإطلاق!

***

على غشب ملعب الكرة الناعم في الاستاد.. رقد جسدان من عالمين مختلفين وعمرين مختلفين على ظهرهما.. ينظران إلى القمر في نفس اللحظة...

قالت «آية» بابتسامة واسعة وهي تنظر إلى النجوم في انبهار:

-أنا مافيش مرة باشوف فيها السما إلا وبحس إني مرتاحة ونفسي أمد إيدي ألمسها.

ليبتسم «عاصي» ابتسامة هادئة، وقال بحزن لا يدري مصدره:

-أنا كل مرة بشوفها ببقى عارف قد إيه هي بعيدة.. وإني مهما

قربت مش هاعرف ألمسها!

ضحكت فجأة فنظر لها بطرف عينيه، قالت وهي تهز رأسها بمعنى لا فائدة:

-يخرب بيت كآبتك يا أخي!

عاد بنظره إلى السماء، أدرك واقعية كلمتها داخل صدره، لكنه قال مبررًا كأنما يقنع نفسه ولا يقنعها:

-مش كآبة صدقيني، يمكن فرق السن بس.. العين بتتغير كل ما بتكبر.

قالت بحماس مفاجئ:

-حلوة اللعبة دي.. تعالى نلعبها.. أنا أقولك شايفة الدنيا بعيني إزاي وإنت تقولي شايفها إزاي.

أومأ برأسه إيجابًا وهو يتركها تسحبه كالمعتاد، اعتاد ألا يقاوم معها أي شيء، استسلم دون أن يفكر إلى أين يأخذه هذا الطريق. قالت بعد تفكير بسيط:

-أنا شايفة إن كل واحد ليه حد اتخلق عشانه يقدر يكمل معاه العمر كله.

ليرد بابتسامة وهو يراقب نجمة خافتة:

-أنا شايف إن ده هبل.. اتعلمت إننا مش بالأهمية الكافية إن حد يتخلق عشانك.. إنت بس بتدور على حد مناسب يستحملك.

قالت وابتسامتها تتسع:

-أنا شايفة إن ربنا لما خلق آدم خلقله حوا.. يعني خلق حد عشان حد.. ومعناه إن كل آدم ليه حوا بتاعته.

ليقول هو ببساطة وواقعية تسخر من خيالها:

-وأنا شايف إن الأرض اللي نزلنا عليها كانت واسعة، فحتى لو كل واحد كان مخلوقله واحدة.. تاهوا عن بعض لما اتبعترنا كلنا.. وكلهم لاقوا اللي يناسبهم ويستحمل قرفهم.. فاللي اتخلقوا لبعض خلصوا!

وضحك بسخرية مكملًا:

-المخلوقين لبعض تاهوا في الريباوند والعلاقات الـtoxic...

ضحكت معه ثم ساد الصمت، أعجبته اللعبة فابتسم وهو يبدأ دوره ملقيًا بهجومه عليها:

-أنا شايف إن كل البنات لما بتفكر في الدنيا بتتكلم عن الحب دايمًا!

ابتسمت في إدراك، اللعبة كانت كيف يرى كلٌ منهما الدنيا بعينه ولكنه تحدث عن الحب، هزت كتفها وهي تراقب نجمة ساطعة الضوء:

-وأنا شايفة إني حققت كل حاجة في شغلي وناجحة ومعروفة، فمش فاضلي غير إني أفكر في الحب.

أعجبه أنه جعلها تبرر لنفسها لأول مرة، شعر بالسيطرة على دفة الحديث لأول مرة، قالت فجأة ترد الهجوم بهجوم:

-أنا شايفة إن كل الرجالة بيستخدموا الحب عشان يوصلوا

للـsex...

ضحك من صدمة الكلمة على أذنه منها، قال بلوم:

-عيب يا بنتي تقولي الكلام ده إنت لسه مخلصة رضاعة إمبارح!

ضحكت وهزت كتفها تستفزه:

-شايفة لحد دلوقتي إني أكبر منك.. وإنك مش عارف ترد على واحدة عندها عشرين سنة!

نظر لها لحظاتٍ، ثم عاد بنظره إلى السماء، وقال مكملًا اللعبة بواقعية تقتله:

-وأنا شايف إن كل الستات بيستخدموا الحب عشان يوصلوا للجواز.. فالاتنين بيتمصلحوا على بعض عشان أهداف مالهاش علاقة بالحب أصلًا... الرجالة عاوزين sex والستات عاوزين حد يشيل المسؤولية ويصرف عليهم.. نفس الحاجة!

قالت رافعةً إصبعها إلى السماء تداعب نجمة بعيدة:

-بس الجواز حاجة صح.. كل الناس عاوزة تتجوز.. ربنا محلل الجواز.

ليهز كتفه بلا مبالاة وهو يقول ما يدركه داخل نفسه لأول مرة:

-محلله عشان الـsex برضه.. برواز شرعي عشان تنام مع اللي إنت عاوزه من غير تأنيب ضمير...

نهضت من جلستها على العشب معترضة، قالت باستسخاف:

-لأ طبعا، الجواز علاقة حب لناس عاوزين يفضلوا مع بعض طول عمرهم.. يعملوا عيلة وأولاد. كده كده الـsex بيهدى بعد الجواز.

قال ما يعرف أنه لن يقنع امرأة مهما كان عمرها، وكان يصرخ به طوال عمره:

-ما هو ده أكبر مقلب في التاريخ!

همّ بأن يشرح ما يؤمن به، أن يخبرها أن الحب لم يُخلَق إلا كخدعة نفسية لتقنين الجنس، للحظة شعر بأنه «أحمد العاصي» القديم الذي كان يُحدِّث «ريم» على أنها صديق ذكر كي لا يراها بنظرة جنسية، يطلق عليها «رامي» ويشرح لها فلسفته عن الجنس في المطلق، «عاصي» الذي كان يعشق حريته ويعشق جرأته، يلقبونه برجل يفكر بعضوه الذكري ويفتخر بذلك، ولا يرى في ذلك عيبًا على الإطلاق.. يشعر الآن بذلك «العاصي» القديم يسري في دمائه كأنما لم يقتله من أجل «ريم» منذ سبع سنوات كاملة...

لكنه صمت...

لا يصح أن يستيقظ «عاصي» القديم الآن.

أشاح بيده بمعنى أنه لا فارق، لتنظر «آية» له بنظرتها الخبيرة التي تدرك أكبر من عمرها بكثير، وتقول بصوتٍ خفيض:

-أنا عمري ما شفت حد بيحارب اللي جواه كده!

-عشان أم الدنيا بتقولي إني غلط وسطحي وزبالة لما بتكلم عن ده.. وماحدش فاهم إن...

عضّ على شفتيه في غضب، مانعًا آلاف الكلمات من الصعود، شعر فجأة بقُبلتها الحانية على جبهته، لتسير قشعريرة غريبة في جسده، ويهدأ فجأة.

قالت «آية» وهي تعود ثانيةً وتكمل اللعبة كأنما لم تفعل شيئًا:

-أنا شايفة إن التلاتين فيها حبسة كبيرة قوي.

أغمض عينيه وقال بشجن غريب:

-وأنا شايف إن العشرينات أحلى سن في العمر.. لو عرفنا نعيشه.

رفعت «آية» عينيها وتأملت مساحة الملعب الواسعة، وقالت ما جعل «عاصي» يعقد حاجبيه:

-بس عندك حق.. أنا لما جربته عرفت إنه حاجة تستاهل فعلًا.

لم يفهم «عاصي» للحظة، فنظر إلى السماء في شرود، بداخله أفكار فيها تناقض الدنيا كلها...

وللمرة الثانية مد يده ليلمس نجمة خافتة يعلم أنه لن يقترب منها أبدًا.

***

تركوا «سارة» تنتظر قرابة السبع دقائق، شعرت فيها بتوتر لم تشعر به من قبل...

رفعت رأسها إلى السماء، لتقع عيناها على القمر يتوسط السماء.

وفي لحظة عبقرية لم يدركها أحدهم، توحد قدرها مع جميع

أصدقائها.

ففي نفس اللحظة التي نظرت فيها «ريم» إلى القمر في هاتفها، نظرت له «أمل» من نافذة الحمام، ونظرت «يسرا» له من الطابق السابع في الفندق، وتأمله «إسلام» و«عاصي» وجسداهما ملقيان أرضًا.

في نفس تلك اللحظة، نظرت «سارة» إلى القمر...

نظروا إلى القمر في نفس الوقت، كأنهم يطمئنون على بعضهم بعضًا دون اتفاق سابق.

وهدأ توتر «سارة» لحظاتٍ كأنها استقبلت رسائل أصدقائها وحيرتهم في أقدارهم.

أغمضت عينيها لحظةً وأخذت نفسًا عميقًا، سمعت جلبة جانبها فنظرت تجاه اللجنة...

اقترب ضابط الشرطة منها بخطوات بطيئة، جعلت دقات قلب «سارة» تعلو من التوتر، حاولت النظر إلى النجوم على كتف الرجل لتستنتج رتبته، لكنها لم تكن تعرف أي شيء عن رُتب الشرطة ونجومها، وقفت بثبات وعدلت فستانها ورسمت الثقة على ملامحها، بدا منظرها مضحكًا بفستان زفافها وهي ترسم الثقة، وهناك أمين شرطة يقف جانبها يحاوطها كلصة هاربة، قال لها «عاصي» مرة إن الثقة عامل أساسي في التعامل مع أي شرطي؛ كلما بدوت متوترًا شكوا فيك أكثر.

مدت يدها إلى الرجل وقالت بثبات:

-المهندسة «سارة أبو لمونة».

نظر الضابط إلى يدها في استهانة، لكنه مد يده مبتسمًا بسخرية واضحة:

-العقيد «تامر عبد الستار».

شعرت «سارة» بقدميها ترتجفان من توترها، لكنها حاولت قدر المستطاع أن تخفي مشاعرها، قالت بصوت تغلبت على ارتجافه بصعوبة:

-ممكن أفهم في إيه حضرتك؟ الأمين بيقولي كلام غريب إني مخطوفة؟ مين قال إني عملت حاجة عشان يتبلغ عني.. أنا هنا في عربيتي وبإرادتي وماعملتش حاجة في حد...

بنفس الاستهانة نظر «تامر» لها وبدا أنه يمنع ضحكة، ثم عاد بنظره إلى العربة التي كانوا يفتشونها جيدًا، رمق الأمين بنظرة صارمة، أشار الأمين له أن العربة فارغة تمامًا، فجأةً ابتسم «تامر» بود وقال:

-معلش على اللي الأمين قاله، بس لما اتقالنا الموضوع ماعرفناش نشرحه بطريقة تانية.

لم تفهم «سارة» الرد، هل يعتذر أم يسخر من موقفها؟ قال «تامر» بنفس الود:

-ده مجرد سوء تفاهم.. ماحدش قال خطف ولا حاجة.

ثم عدل هندامه، وأشار إلى مبنى صغير يطلقون عليه كشك

الشرطة، وقال بابتسامة ودودة:

-اتفضلي معايا.

بحثت «سارة» في نظرة قلقة عن «ياسين»، رغم ود «تامر» الظاهري فلهجته تحمل وراء ودها أمرًا، حتى إنه بعدما قالها أدار ظهره وبدأ السير، بلا إرادة حقيقية ذهبت «سارة» خلفه، تحاول إخفاء يديها المرتعشتين.

هبطت دمعتها المحبوسة رغمًا عنها...

رغم أن المكان يبدو صغيرًا من الخارج، فمكتب الضابط كان واسعًا بدرجة مقبولة، جلس خلف المكتب وجلست «سارة» على مقعد جلدي تنظر له بقلق.

كان «تامر» يتحدث في الهاتف يكلم صديقًا له، شعرت «سارة» بأنه يتعمد إطالة حيرتها ليطيل فترة عذابها، لذا ما إن أنهى المكالمة نظر لها وقال ببسمة باردة:

-تشربي حاجة؟

أومأت برأسها أن لا، فقال «تامر» مبتسمًا:

-بقالي سنين شغال الشغلانة دي.. عمر ما واحدة جت شرفتني بفستان فرحها!

قالها وضحك وحده، نظرت له «سارة» وابتسمت مجاملةً، اعتدلت في جلستها وقالت مباشرة:

-بعد إذن حضرتك أنا هافضل هنا كتير؟

خطرت لها فكرة، فقالت مكملةً دون تفكير في أبعاد ما تفعل:

-أنا لازم ألحق الفرح.

نظر لها «تامر» مندهشًا، ثم تحولت بسمته إلى سخرية وقال:

-تلحقي الفرح؟ اللي عندي بيقولوا إنك هربتِ منه مش رايحة ليه!

قالت «سارة» بثقة حتى لا يظهر كذبها:

-حصلت ظروف خارجة عن إرادتي.. اضطريت أمشي.

نظر لها «تامر» بأسلوبه البارد، وقال بسخرية في تلميح لشيء آخر:

-ظروف من إياها ولا إيه؟

شعرت «سارة» بالغضب من تلميحه الفج، واحمرت وجنتاها في ضيق، فقالت متمالكةً أعصابها:

-لو سمحت مافيش داعي لأي تجاوز!

هز «تامر» كتفه في برود وقال مبتسمًا:

-أنا بسأل مش أكتر.. إنت اللي أخدتِ كلامي بمعنى غلط!

بدأت قدم «سارة» تهتز بعصبية، أن تُحدِّث شخصًا ذا سلطةٍ ما يجعلك تشعر بعجز شديد، هو كالطفل الضخم الذي يضربك وهو يعلم أنك لا تستطيع إيذاءه، يستمتع باستفزازك وينتظر اللحظة التي تنفجر فيها حتى يؤذيك لسببٍ وجيه. وضعت «سارة» كل مشاعرها جانبًا حتى لا تعطي «تامر» ما يريده، قالت بهدوء ولكن فضحها اهتزاز قدمها السريع:

-طيب حضرتك ماقلتليش برضه هاقعد هنا كتير؟ مافيش أي سبب قانوني يخليني قاعدة هنا.. الرخص سليمة وأنا قلت لحضرتك إني هنا بإرادتي.. يبقى أقعد ليه؟!

كالمعتاد ابتسم «تامر» بهدوء، أمسك هاتفه بحركة بطيئة وهو يريها الشاشة متعمدًا، ظهر اسم «محمد إسماعيل» على الهاتف، فضغط «تامر» زر الاتصال، وقال وهو ينظر إلى «سارة»:

-حضرتك اللي هيحسم أمرك رد «محمد إسماعيل» بيه عليا.

زادت سرعة اهتزاز قدم «سارة» وهي تنظر إلى الهاتف في قلقٍ لا تدري مصدره...

***

الثامن

9:10 مساءً

«نحكي لحد ما نبقى مش حاسين بوجع».

خرجت «أمل» من حمام الصالة الرئيسية للفندق، عدلت حجابها وهي تنظر حولها، وجدت والد «علي» يقف خارج القاعة غاضبًا، حوله أهل العريس يحاولون تهدئته، ابتسمت «أمل» في سخرية وهي تقول لنفسها إن هذا الرجل تحمّل الكثير، لو لم يلحقوه بأي بادرة أمل سيصاب بشيء ما بالتأكيد.

أمسكت هاتفها المحمول كأنما تذكرت شيئًا ما، دخلت على المحادثة بينها وبين «أيمن» وأخذت تمسح كل الصور العارية التي أرسلتها له من داخل الحمام، توقفت عند صورة ما ونظرت لها قليلًا ثم قالت لنفسها مبتسمة:

-والله أنا قمر!

مسحت الصورة بسرعة ثم مسحت المحادثة كلها، بعثت له كمية صور تكفيه ليلة كاملة، تعلم أنه وغد قذر لن يُحدِّثها ثانيةً ما دام حصل على الصور التي طلبها، معظم الرجال هكذا، يطنون كناموسة سخيفة حولك، تجعل حياتك جحيمًا، ثم فجأة تأخذ قرصتها وتسحب دماءك بقوة هائلة، وتطير ثملةً من السعادة تبحث عن ضحية أخرى تمتص دماءها، تاركةً أثرها بحكةٍ بغيضة تستمر ساعات.

لعن الله الناموس والرجال معًا!

شعرت باهتزاز في حقيبتها مستمر، نظرت إلى هاتفها في يدها في دهشة ولم تجد أي اتصال، عقدت حاجبيها وفتحت حقيبتها الصغيرة لتجد هاتف زوجها يهتز بقوة، تذكرت أنه ترك الهاتف معها عندما رقص مع «علي»، أخرجت الهاتف ووجدت اسم العقيد «تامر

عبد الستار».

ترددت لحظاتٍ، «محمد» يغضب بشدة عندما ترد على هاتفه وخصوصًا على أصدقائه في العمل، لكن شيء ما جعلها تستقبل المكالمة، ابتسمت وقالت:

-«تامر» إزيك؟

في مكتبه ابتسم «تامر» في ارتباك وهو ينظر إلى «سارة» التي تنظر له بتركيز، لا يدرِ ماذا يفعل، لذا نهض بسرعة وقال وهو يخرج من الغرفة مرتطمًا بمنضدة صغيرة في طريقه من تعجُّله:

-أهلًا أهلًا أهلًا...

خرج من الغرفة وأغلق بابها خلفه نظرات «سارة» المندهشة، في حين أكمل «تامر» مبتسمًا ابتسامة غريبة:

-إزيك يا مدام «أمل»، أكلم «محمد» باشا بعد إذنك.

ضحكت «أمل» ضحكة خافتة، بدأت تسير ببطء في الممر مبتعدةً عن عائلة «علي» والقاعة كلها وهي تقول:

-ماتخافش «محمد» مش جمبي.. هو ساب موبايله معايا عشان كان بيرقص من شوية.

ابتسم «تامر» ابتسامة واسعة وظهرت ملامح الارتياح على وجهه، قال بصوتٍ هامس:

-طيب وحشتيني بقى على كده.

كان هذا كل ما تريد أن تسمعه، ابتسمت في ثقة وقالت تحبط أي

طموح لديه إلى أكثر من هذا:

-مش هينفع أطوّل، «محمد» ممكن ييجي في أي وقت وهيتضايق لو شاف الموبايل معايا.

عاد «تامر» يبتسم في ارتباك، قال بسرعة:

-طيب مش هاطول عليك، كل الموضوع إني عاوز «محمد» باشا ضروري.

قالت «أمل» بتركيز عاقدةً حاجبيها:

-خير؟

قال بفخر وهو يشير إلى باب مكتبه كأنما تراه:

-قبضنا على العروسة اللي هربت.. بس الواد اللي معاها هرب ومش لاقيه!

انتفض جسد «أمل» وأمسكت الهاتف أكثر وهي تقول بجدية:

-هي جنبك دلوقتي؟

ليرد «تامر» فاهمًا إياها بطريقة خطأ تمامًا:

-لا ماتخافيش طلعت بره عشان أتكلم براحتي.

فكرت «أمل» قليلًا وقد شعرت بتوتر لا تدري مصدره، قالت بسرعة وهي تهمس دون داعٍ:

-مشّيها يا «تامر» بسرعة.. «محمد» بلّغ عنها وهو مش من حقه يعمل كده.. دول صحاب عمري!

لم يتوقع «تامر» هذا الرد، قال بحيرة:

-بس «محمد» باشا مبلغنا إنهم...

قاطعته «أمل» بلهجة قاطعة، وقد وصلت إلى بهو الفندق الواسع:

-«ياسين» واحد من أجدع الناس اللي ممكن تشوفهم في حياتك.. مش هيعمل العملة دي إلا لو «سارة» هي اللي استنجدت بيه.. أنا ماعرفش اللي حصل بس عشان خاطري يا «تامر» سيبهم يمشوا.

هرش «تامر» رأسه قليلًا، ثم قال بحيرة:

-بس «محمد» لو عرف ها...

قاطعته للمرة الثانية بقوة:

-مش هيعرف حاجة لا مني ولا منك.. مشّيهم بس بسرعة قبل ما حد تاني من عندك يكلمه.

فكر «تامر» قليلًا وهو ينظر حوله، ثم قال بلهجة حاسمة:

-أنا ماقدرش أخلف ليك كلمة، بس برضه ماضمنش حد يبلغ «محمد».. طب اقفلي وأنا هاحل الموضوع.

قالها وأغلق الهاتف بسرعة، نظرت «أمل» إلى الهاتف في غضب لأنه أغلق في وجهها دون أن يخبرها ماذا سيفعل، نظرت إلى الهاتف لحظاتٍ بقلق، فكرت أن تُحدِّثه ثانيةً لكنها سمعت صوتًا خلفها جعلها ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها.

سمعت صوت «محمد» زوجها يقول في برود:

-بتعملي إيه بموبايلي يا «أمل»؟!

التفتت بجسدها كله لترى «محمد» خلفها مباشرةً، جانبه «إسلام الحسيني» وهناك دماء على قميصه وشفته السفلى تجلطت الدماء عليها.

قالت «أمل» بجزع وهي تشير إلى «إسلام»:

-إيه اللي حصل؟

قال «إسلام» بابتسامة متعَبة:

-وقعت على بُقّي.

تجاهلت «أمل» نظرة «محمد» النارية لها، اقتربت بسرعة وأمسكت يد «إسلام» وقادته إلى مقعد قريب، جلس «إسلام» وهو ينقل بصره بين «أمل» و«محمد»، جلست «أمل» على ركبة واحدة وأخرجت مناديل معطرة -ووضعت هاتف «محمد» في حقيبتها في حركة سريعة- ومسحت بها شفة «إسلام» بقلق حقيقي، شعر «إسلام» بإحراج شديد وتعلقت عيناه بـ«محمد» الذي يراقبهما بنظرة تحرقهما الاثنين، أمسك «إسلام» يدها يمنعها مما تفعل، وأمسك المنديل منها وقال مبتسمًا وهو يمسح فمه بنفسه:

-تسلمي يا «أمل» أنا زي الفل.

لم تفهم لماذا يبدو بهذا الخجل والارتباك، عندما وجدت نظرته المعلقة على «محمد» قالت ببساطة وهي تبتسم مشيرةً إلى زوجها:

-مالك يا ابني غريب ليه؟ «محمد» عارف إننا إخوات!

شعر «إسلام» شعورًا قذرًا بتأنيب الضمير بعد جملتها البريئة، هي تظن أنها تخدع زوجها، وزوجها يعلم كل شيء، شعر بحقارته فجأة لأنه سبب في كل ما يحدث، كره كل ما جعله يفعل هذا بها، فقال مبتسمًا وهو ينظر إلى «محمد»:

-أنا فاهم طبعًا.. بس أنا كويس فعلًا.

هزت «أمل» كتفها في استسلام، ونهضت مسرعةً واتجهت إلى زوجها، نظرت له نظرة مُحبة وقالت بصدق:

-وحشتني على فكرة.

ليهوي «محمد» على وجهها بصفعة رن صداها في المكان كله...

***

منذ أن انصرف «تامر» من مكتبه ليحدِّث «أمل»، صمتت «سارة» تمامًا وحدقت في الفراغ بشرود.

كل شيء محبط حولها إلى درجة لا تصدقها...

عندما تركت زفافها لم تفكر في أي شيء، قاومت تعاستها اليوم كله كما نصحتها «يسرا»، لا بد أن يسير اليوم كما تم التخطيط له، كل الأعراف والتقاليد لن توافق على تأجيله مهما حدث.

لكنها لم تحتمل...

نهضت من مقعدها أمام مكتب «تامر» وصدرها يضيق من ضغطة قماش الفستان الأبيض عليه، تصاعدت أنفاسها وهي تتذكر.. تلفَّتت حولها في ذعرٍ حقيقي.

لا تريد أن تكون وحدها الآن.

تريد «ياسين» الآن أن يأتي ويأخذها بعيدًا عن كل شيء...

كعادته...

«ياسين» الذي لا توجد فيه أي مميزات سوى أنه لا يترك شيئًا يوقفه ويستمر.

فقط يستمر...

كانت «سارة» تكره تلك الصفة فيه؛ مهما كانت قوة الشجار بينهما يحافظ على هدوئه وبرود أعصابه وابتسامته، تكون هي في قمة انفعالها وتصرخ فيه، فيربت على كتفها ويقول لها أن تهدأ لأنه في النهاية سيتم حل كل شيء، فلا داعي لقول أشياء تحطم ما بينهما عندما يتصالحان، وكانت تلك الكلمات تجعلها تنفعل أكثر، هي تريده أن يصرخ فيها، صراخه سيجعلها تشعر بأن غضبها كان لسبب مهم وليس لسبب تافه.

لكنها الآن تدرك قيمتها أكثر من أي وقتٍ مضى.

عندما خطبها «علي» الأكبر منها بأكثر من ثلاثة أعوام، ووجدته يتحفظ على كل شيء تفعله؛ ينفعل على الصغيرة قبل الكبيرة، يهدد بالانفصال في أبسط المشكلات ويصرخ على أتفه الأسباب، أدركت ما الذي كان «ياسين» يقدمه.

كان يقدم الأمان على حساب نفسه.. كان يخبرها بأنها مهما قالت وفعلت، لن توجد مشكلة على وجه الأرض ستجعلهما يفترقان عن بعضهما بعضًا.

شعرت بدموعها تبلل وجنتيها وهي تحيط نفسها بذراعيها. نظرت حولها إلى مكتب الضابط الكئيب وشعرت بأنها مسجونة بين حوائطه الصماء.

لماذا تركها «ياسين» وحدها في أشد أوقات احتياجها له؟

تركت دموعها تسيل على وجنتيها، ثم تهبط قطراتٍ كالمطر على الفستان، تشعر بكل شيء يضيق عليها.. اقتحم «تامر» المكتب بسرعة، نظر لها نظرة سريعة مرتبكة، قال بصرامة وقد تخلى عن بروده تمامًا:

-أنا كلمت «محمد إسماعيل»...

التفتت له «سارة» بدموعها ونفَسها القصير، ارتبك «تامر» وهو ينظر لها نظرة حائرة، اقترب ببطء وقال بصوت خافت:

-في إيه؟

مسحت «سارة» دموعها بسرعة، نظرت له نظرة ضعيفة حائرة، ثم تذكرت فجأة تلك اللعبة التي كانت تلعبها مع «ياسين» منذ أن هربت من الفرح، سمعت صوته يدوي في أذنها بطريقته في وزن الكلام:

«نحكي لحد ما نبقى مش حاسين بوجع».

خرجت الكلمات من بين شفتيها دون أن تستطيع أن تتحكم فيها:

-ممكن أحكيلك أنا هربت من الفرح ليه.. بس توعدني إنك تسيبني أعمل اللي أنا عاوزاه؟

كان «تامر» قد قرر تركها منذ مكالمة «أمل»، لكنه قرر أنه سيعيدها

إلى الفرح وأمين شرطة يقود السيارة حتى مكان القاعة، هكذا يوفق بين طلب «أمل» وطلب «محمد إسماعيل»، لكن رؤيته لـ«سارة» في تلك الحالة جعلته لأول مرة يراها بشرًا من لحمٍ ودمٍ، ليست مجرد مشكلة لا بد أن يحلها...

ابتسم بهدوء وقال بنبرة مطمئنة:

-احكيلي...

نظرت له «سارة» لحظاتٍ، ثم انفجرت في البكاء أكثر...

***

-مش عاوز والله...

قالها «عاصي» في تعجب وهو ينظر إلى «آية» المتحمسة وتنظر له نظرة مرحة، ردت وهي يبدو عليها حزن طفولي ممثل تمامًا:

-بطّل رخامة بقى...

كانا في منتصف الاستاد بالضبط، الاستاد خالٍ تمامًا ونسمة البرد تحتوي دفئهما، لحظات تصمت فيها الدنيا وهناك حالة من الهدوء النفسي نادرة الحدوث.

هز «عاصي» رأسه في إصرار أن لا ولكن عينيه فضحتا نظرته الحنون التي ترغب في إرضائها، قالت هي بحماس وهي تقترب منه مُقرِّبةً هاتفها المحمول منه، وكأن رفضه لا يعني شيئًا:

-إنت عشان مش فاهم بس.. ده على التيكتوك م«viral» جدًا، بنرقص أغاني بحركات معينة كده.. اللي عاوز أعمله معاك ده ترند

على الـapp.. اتنين couples مع بعض.. البنت بتشد الولد عشان نفسها ترقص وتنطلق، هو يرفض في الأول، وأول ما الـdrop يخش يرقص معاها رقصة حلوة.

كانت ثريه بالفعل مقاطع لكل مَن فعل ذلك الفيديو قبلهما، أكثر ما أعجبه الموسيقى الحانية في الخلفية بصوت الناي الشجي، ابتسم وقال:

-حنينة المزيكا دي قوي.

ابتسمت وقالت بحماس وهي تشعر بأنها تقترب لإقناعه:

-دي dj kante الأغنية اسمها kul.. وده بيتعمل من 2018 بس مابطلوش يعملوه من كتر ما هو حلو.

قال بسخرية وهو يهز كتفه:

-وأنا أعمل حاجة قديمة كده!

استدرك وهو يشير لها باستهانة:

-إنت ساعتها كان عندك 14 سنة.. يعني آخرك كنت بتسمعي شارك الدودو!

أخرجت له لسانها تستخف بما قال، فابتسم، ثم ابتسمت وقالت كالمسحورة، بحماس طفولي:

-عشان من ساعة ما شفت الترند ده وحلمت أعمله مع حد.. كان في مكان زي هنا.

ثم قالت ببسمتها الواسعة التي تحتوي كل بؤسه في ثوانٍ:

-حظك بقى إن الحد ده طلع إنت.. إنت متخيل لو عملناها في اللوكيشن التحفة ده الفيديو هيبقى حلو إزاي؟

تأمل المكان الواسع، راقته الفكرة، لكن شيء ما داخله يرفض، يشعر بأنه يقدم على شيء خطأ، لم تنتظر هي موافقته، ذهبت راكضةً بفستان السهرة الرقيق الذي ترتديه، غابت لحظاتٍ ثم وجد «عاصي» لدهشته أنها أتت ساحبةً عم «عباس» من يده، والرجل يسير وراءها مبتسمًا في حنان أبوي، جعلته يمسك هاتفها المحمول وشرحت له ما المفروض أن يفعله، فابتسم الرجل بفخر وصوّب الهاتف نحوه بتركيز مبالغ فيه.

سحر إرضائها لعنة...

وقفت بعيدة عنه قليلًا، ضغط عم «عباس» زر التسجيل لتنبعث الموسيقى الحانية من الهاتف، تقمصت «آية» بسرعة دور الحبيبة، نظرت له بحنان شديد وذهبت تسحبه بشقاوتها المحببة ليظهر في كادر الكاميرا، نسي «عاصي» نفسه لحظاتٍ وهو يحدق في عينيها الواسعتين، أشارت هي إلى الكاميرا وتمايلت بجسدها ميلةً خفيفة، فهز هو رأسه رافضًا كما رأى وشرحت هي له، بدا على وجهها الحزن وهي تكمل تمثيلها وتترجاه، فاستسلم هو منصاعًا.

ليدخل إيقاع الأغنية الصاخب فجأة، ما يطلقون عليه الـ«drop»...

فيرقصا هما الاثنان في حركاتٍ بسيطة...

لم يكونا قد اتفقا على حركات معينة، لكن شيء ما في روحيهما تلامس، مدت يدها فأمسكها ليشعر بدفئها، دفء يدها جعل قلبه

يريد المزيد، سحبها له فجأة بحركة فاجأتها لتلتصق بصدره، ما لم تكن «آية» تعلمه أن «عاصي» راقص ماهر منذ صغره، لذا نظرت له مندهشة وهو يتحرك بجسده المتناسق حركات راقصة أكثر تناسقًا، ابتسمت في سعادة ودهشة حقيقيتين وهي تتمايل معه، تلاصق جسداهما بسبب الرقص في أكثر من حركة، نشوة لذيذة لم يفهمها، لم تكن نشوة جنسية، كانت أرق من ذلك بكثير، يشعر فجأة بالاطمئنان لتلامسهما وكأن هناك مَن سقى بذور روحه الميتة، عيناها تستجيبان كأنها أيضًا تشعر بهذا، بل هو على يقين أنها تشعر مثله تمامًا.

تمايل جسداهما وهو ينظر إلى عينيها، في لحظة حرة كاد يقسم إنه لم يشعر بها قبلًا في حياته.

كانت «آية» تعلم أن وقت الفيديو انتهى، لكنها لم ترغب في أن تفسد اللحظة، نظرت له وهي تشعر داخلها بكل ما يشعر هو به، أكملت رقصها معه في فرحة حقيقية، في حين نسي «عاصي» كل شيء عن نفسه، نسي «ريم» وضغطها، نسي اسمه هو شخصيًا، كل ما تذكره هو تلك اللحظة، أنه جزء من تكوين تلك الحالة البديعة.

بل إنه نسي عم «عباس» الذي يصورهما وينظر لهم بحنانٍ أبوي وابتسامةٍ بلهاء...

***

توقع «إسلام» أن ينتفض مذعورًا عندما صفع «محمد» «أمل»، لكن لدهشته ظل جالسًا ينظر له ببرود لم يفهمه...

كانت الصفعة قوية حتى إن «أمل» فقدت توازنها، وقعت أرضًا بعنف، صدرت منها صرخة بسيطة مندهشة، اندهش لها «إسلام» أكثر، تلك صرخة فتاة اعتادت أن تُضرَب، ظلت «أمل» على الأرض تنظر إلى زوجها بثبات، وضعت يدها على خدها الذي علته حمرة أصابعه الغادرة على وجنتها، ظل «محمد» واقفًا ينظر لها بغضب، وقال بصوت هادئ:

-قلتلك مليون مرة ماتمسكيش موبايلي وماترديش على حد!

كان «إسلام» يعلم أن ضربته آلمتها، منذ وقت بسيط ذاق هو شخصيًا ألم قبضة «محمد»، لذا اندهش و«أمل» تنهض بثبات، وتبتسم كأن شيئًا لم يحدث، وتقول بنبرة اعتذار حقيقية:

-حقك عليا، أنا سرحت وافتكرته موبايلي أنا.

ابتسم «محمد» فجأة، وربّت على كتفها قائلًا برضا:

-شاطرة.

واقترب منها واحتضنها، لاحظ «إسلام» اشمئزاز «أمل» في حضنه.. ملامح الحزن التي ارتسمت على وجهها. قال «محمد» بهدوء:

-حقك عليا، إنت عارفة إني لما بتعصب مش بعرف أمسك نفسي.

هزت «أمل» رأسها موافقةً داخل صدره، لم يفهم «إسلام» كيف تكون اليد التي آلمت هي نفس اليد التي تُطمئِن؟ هل يعقل أن يرتاح أحد في حضن مَن يقتل روحه؟ كيف يجد البشر داخلهم ذلك القدر من المصالحة والتأقلم على كل تلك الأخطاء البشعة في حق

أنفسهم؟!

هزة رأس يائسة مع كلمة «هذه هي الدنيا»...

الكلمة التي يرغب في أن ينتزعها من القاموس كله.

قال «محمد» ناظرًا إلى «إسلام» وهو يربّت على كتف «أمل»:

-أنا هاكمل تدوير على «عاصي».. هتيجي معايا؟

نظر له «إسلام» نظرة باردة، كل غضبه الذي حاول أن يتجاهله من لكمة «محمد» منذ قليل صعد داخله الآن، هل يتوقع منه أن يسامحه على لكمته كما فعلت «أمل» زوجته؟ قال ببرود وهو يهز رأسه نفيًا ويشعر بقوة داخله جعلته يقول باستفزاز:

-لأ.. أنا هاقعد هنا مع «أمل» شوية.. وحشاني ومحتاج أتكلم معاها.

اشتعلت عينا «محمد» غضبًا، فقال «إسلام» بنفس النبرة الاستفزازية، معلنًا تحديًا صريحًا:

-إلا بقى لو ده هيضايقك!

اعتدلت «أمل» من عناق «محمد» ونظرت له في حيرة، في حين رد «محمد» ببرود ينبئ بكارثة:

-لأ طبعا أكيد مش هتضايق.. إنتوا إخوات.

أبعد «أمل» عنه، ورمق «إسلام» بنظرة نارية، وانصرف بخطوات واسعة سريعة...

***

اهتزت قدم «ريم» بعصبية، «علي» لا يرد و«عاصي» اختفى فجأة وقد ترك هاتفه معها، و«يسرا» تركت هاتفها مع مساعِدتها، شعرت بأنها وحدها تمامًا وسط الكبار الذين يستعدون لحرب لا يعرف أحد خسائرها، هناك مصيبة تحدث الآن و«علي» لا يدري عنها شيئًا، تلفّتت حولها في القاعة التي جلس فيها جميع مَن بقوا، انصرف معظم المدعوين ولهم الحق، بقي نصف العدد تقريبًا بين فضوليين يريدون أن يعرفوا هل ستعود العروس فعلًا، وأهلٍ يتمسكون بأمل يبتعد عنهم شيئًا فشيئًا...

اقتحم القاعة فجأة والدها «عبد الوهاب» وقد ارتسمت على ملامحه صرامة لا تراها كثيرًا، انقبض قلبها وهي ترى المأذون جانبه يسير مهرولًا في جلبابه، محاولًا اللحاق بخطوات والدها العجولة.. خلفهما أمها التي تبكي كل ما يحدث...

وقف معظم المدعوين وهم يشاهدون ذلك الحدث الجديد، ركضت «ريم» بأقصى سرعة يسمح بها كعب حذائها العالي، اقتربت من والدها الذي لم يلتفت لها وذهب إلى مائدة أهل «سارة»، سحب والدها مقعدًا أمام نظرات زوج خالة «سارة» المستنكرة، أجلس المأذون الذي يراقب كل شيء بنظرة حائرة، وجلس جانبه. وضع يديه المتشابكتين أمامه كما يفعل في الاجتماعات المهمة، وقال بلهجة قاطعة لا تقبل نقاشًا:

-عاوزين نتفق على الطلاق حالًا.. المأذون ده مش هيمشي غير لما يطلّقهم.

ليسود الصمت في القاعة كلها.

وينقبض قلب «ريم» أكثر وأكثر...

***

التاسع

9:20 مساءً

«نسكت لحد ما نبقى مش فاكرين الكلام».

نظر «تامر» إلى «سارة» المنهارة في البكاء...

لم يستطع أن يخفي تأثره بكل ما قالت، شعر بغصة داخل حلقه، أراد أن ينهض ويربِّت على كتفها لكنه صارع ذلك الشعور بشدة، لأن داخله -رغم كل شيء- يرفض هروب عروس في ليلة ذهابها من أجل رجل آخر.

لكن ما قالته «سارة» استثناء...

نهض من مقعده فجأة وخرج من المكتب، داخله قرار واضح أن يعيد «سارة» إلى الفرح بسرعة، مرت ساعة وثلث الساعة منذ أن هربت، أمر «محمد إسماعيل» واضح وصريح، وقرار قلبه الذي عرف معنى الخسارة...

حق كل بشري يتنفس وداعٌ أخير يحترم ألم الفراق.

نظر إلى طابور السيارات الذي يسير ببطء، وأمين الشرطة يوقف عربات عشوائية فيبطئ سيرها أكثر، نظر إلى عربة «سارة» المركونة، يعلم أن «ياسين» يراقب من مكان ما ليطمئن عليها كما أخبرته «سارة» منذ قليل.

ويعلم أيضًا أنه لو أرسل مَن يبحث عنه لن يجده أبدًا.. رغم أن أمر «محمد إسماعيل» صريح... يُحجَز ليلة كاملة حتى يتعلم الأدب والأصول.

يا لبلاهتك يا «إسماعيل»!

ابتسم «تامر» وفتح باب مكتبه الصغير ثانيةً، التفتت له «سارة» وقد هدأ بكاؤها، شعر من نظرتها أن حياتها كلها تتعلق بكلمته،

فابتسم وقال:

-توعديني إنك بعد ما تخلصي ترجعي على الفرح فورًا؟

لم تستوعب «سارة» الكلمة في البداية، تأخر عقلها ثواني، ثم سرت قشعريرة في جسدها، أومأت برأسها ببراءة أن نعم، لتتسع ابتسامة «تامر» ويزيح نفسه من الباب مشيرًا لها أن تخرج، وقال بحنان:

-طيب يلا عشان «ياسين» مستنيك.

عندما سمعت اسمه سرت قشعريرة داخل كيانها كله، نهضت وهي تنظر إلى «تامر» نظرة امتنان، شعرت للحظة بأنها في لقطة من فيلم غير منطقي أن يراه المشاهد دون أن يطلق شبّة ويصيح: «يا للمبالغة!».

لكنها كانت تعيشها...

انطلقت راكضةً من المكتب رغم ثقل الفستان الأبيض الذي يكاد يضيء السماء من تلألؤه، اتجهت إلى عربتها مسرعة، تلفّتت حولها في ذعر وهي لا تعلم كيف تجد «ياسين»، لكنها سمعت صوته يهمس:

-اركبي العربية وافتحي الـ«Lock»...

أدركت أنه يختبئ خلف سور الطريق الأسمنتي في ظلام الليل، دخلت العربة وأشعلت المحرك، لتجده يخرج من خلف السور ويركب بسرعة قائلًا:

-اطلعي بسرعة...

ابتسمت وقلبها تهدأ خفقاته لأول مرة، دمعت عيناها وانطلقت بالعربة بسرعة...

خلفها نظرات «تامر» الحانية في المرآة ترمقهما، ورأت «سارة» ابتسامته الواسعة.

همّ «ياسين» بالكلام، فقالت «سارة» وجسدها كله ما زال يرتجف من كل ما حدث:

-ياسين أنا مش قادرة أتكلم.. أنا كنت محتاجالك قوي وإنت هربت.. زي عادتك.

همّ بالرد عليها، فقالت ما كانت قد حضّرته في عقلها، وهي محبوسة في المكتب:

-أنا عاوزانا نسكت لحد ما نبقى مش فاكرين الكلام.

ونظرت له، وجدت عينيه الحزينتين تنظران لها معتذرتين.. لكنه ابتسم، وضع إصبعه على فمه في معنى أنه سيصمت تمامًا، ثم أمسك يدها وقبّلها.

قالت «سارة» وقلبها يعود لنبضه:

-شكرًا إنك بتفهم.

أمسكت هاتفها، فتحت تطبيق الخرائط وكتبت مكانًا ما، وداست دواسة الوقود أكثر...

لا بد أن تذهب مسرعة، حتى تستطيع العودة.

كما وعدت «تامر عبد الستار»...

***

بدأت «يسرا» تشعر بضيق فستانها، نظرت في مرآة الحمام لحظاتٍ، بدأت مساحيق وجهها تبهت قليلًا، نظرت إلى ساعة هاتفها لتجدها التاسعة والخمس وعشرين دقيقة .

ظل «علي» يتحدث قرابة الربع ساعة...

قال كل شيء عن طفولته، ومثاليته، وندمه، واشتياقه إلى «سارة» وجرحه منها.. واستمعت له «يسرا» في صبرٍ.. واحتواء.

هي تدرك أنه يريد شخصًا يسمعه فقط، فتركته يتحدث.

وجدت أكثر من عشرين مكالمة من «ريم»، أدركت أنها تأخرت كثيرًا أن تعود بـ«علي»، لكن حالة «علي» من الضياع الآن لا تسمح له بأن يهبط لهم، أرادت «يسرا» أن تجعله ينسى قليلًا، ونجحت في ذلك.

ضحكت في سخرية وهي تتذكر منذ قليل عندما نهض وأصر على أن يرقص رقصة تعزّ تدرب عليها من «اليوتيوب» لليلة دخلته، وأصر على أن يجعلها تشاهده إصرارًا غريبًا، ولم يقتنع أنه لا يصح إلا عندما أخبرته أن الوحيدة التي تستحق أن ترى هذا العرض المبهر هي «سارة» زوجته، تعقّل قليلًا وقرر أن ينتظرها.

فتحت باب الحمام لتخرج منه، نظرت مكان «علي» على الأرض وجدته خاليًا، تلفّتت بذعر في الغرفة حتى رأته...

وتوقف قلبها عن الدق لثانيتين...

كان هناك...

يقف على سور الشرفة المعدنية...

في هذا الفندق، يحتل الزجاج حائطًا بأكمله، الشرفة عبارة عن زجاج «ألوميتال» كبير يُفتح يمينًا ويسارًا، خلف الزجاج سور معدني قصير للاستناد عليه، كان «علي» قد أزاح الستار وفتح درفتَي الزجاج الكبير، وصعد على السور بقدمه ليقف عليه، ويسند بيده على درفتَي الزجاج.. دافعًا جسده إلى الأمام قليلًا...

لا يرتدي إلا بنطال بذلة فرحه.. وصامت تمامًا كتمثال...

شهقت «يسرا» ثم كتمت شهقتها بيدها في رعب.

لو فعلت أي شيء مفاجئ له قد يتحرك شبرًا واحدًا يجعله يقع.. اتسعت عيناها في خوف... هل هذا من فعل الحشيش؟ هل يدرك ما يفعل؟

ارتجف جسدها كله واقتربت ببطء.. داخلها صرخة واحدة لا تكف عن الرنين داخل عقلها...

«ليس ثانيةً...!».

شعرت في اقترابها بأنها تتعامل مع قنبلة موقوتة، لو نادت عليه سيلتفت لها وقد يقع، لو لمسته فجأة قد يخاف وينتفض جسده ويقع، لو فعلت أي شيء قد يقع، شعرت بذعر يسيطر على كيانها كله وهي تقترب على أطراف أصابعها، تلفّتت حولها في عجز، كأنما تبحث عن حبل سحري تقذفه على عنقه وتسحبه فجأة، أي شيء ينقذ الموقف...

-أنا حران فشخ!

قالها «علي» فجأة لينتفض جسدها كله، نظر لها بجانب وجهه وطرف عينيه وأكمل مبتسمًا:

-وكنت عاوز أعرف الإحساس ده عامل إزاي...

هدأت قليلًا وهي تدرك من جملته أنه تأثير الحشيش، تلفّتت «يسرا» حولها بعجز، زيفت ابتسامة واسعة تعلمتها سنين رقصها كله، قالت في محاولةٍ منها أن تطيل الحوار قدر المستطاع:

-وإحساس حلو؟

التفت «علي» ثانيةً إلى الفضاء أمامه لينقبض قلب «يسرا»، قال وهو يتأمل أضواء النادي البعيدة في الأسفل بمبانيه والاستاد العريض، خُيل له أنه يرى جسدين يرقصان في منتصف الملعب الأخضر، يظهران كنقطة صغيرة من هذا البعد، لكن فسر ذلك أنها مجرد أوهام الحشيش ليس أكثر، تأمل خلف كل ذلك ظلام الليل الدامس:

-حلو قوي...

قالت بتضرع هذه المرة كمن يعامل طفلًا:

-ممكن يا «علي» تنزل عشان خاطري؟

هز رأسه نفيًا في بساطة، أدركت «يسرا» أن عينيه يقظتان، هو يدرك ما يفعل، وهذا يخيفها أكثر، قال بحزن غريب:

-أنا طول عمري بعمل حاجات عشان خاطر الناس.. ليه ماعملش

حاجة عشان خاطري أنا!

بعد انتحار «بحر»، تعلمت «يسرا» كل شيء عن التعامل مع المنتحر، تعلم أنها لو فعلت أي حركة مفاجئة قد تدفعه إلى أن يأخذ القرار، لا بد أن تجعله يتكلم قليلًا، لا بد أن تشغل عقله قبل أن تفعل أي شيء جنوني.. اقتربت منه بهدوء وقالت:

-على فكرة هتحس نفس الإحساس لو نزلنا ورا السور.. إيه رأيك؟

ليقول بصرامة مفاجئة جعلت قلبها يدرك أن المصيبة ستحدث:

-ماتقربيش يا «يسرا»...

ليتوقف قلبها عن الدق لثانيتين أخريَين...

***

انتهت «أمل» من وضع ضمادة على فم «إسلام» الذي كان شاردًا تمامًا، ما إن انتهت حتى ابتسمت وقالت وهي تغمز:

-بقيت سكسي كده وإنت متعورا

ابتسم وهو يهز رأسه، ونظر لها نظرة تشعر بذنب كبير تجاهها.

لا يعرف كيف أقنعه «محمد إسماعيل» بأن يفعل هذا بصديقة عمره!

«محمد» أكبر منهم بثلاثة أعوام، له هيبته دائمًا وسطهم، خدوم إلى درجة رهيبة، فعندما يتشاجرون مع شخص ما هو و«ياسين» و«عاصي» يهب «محمد» ويذهب لهم لينهي الموضوع في ثوانٍ. أي تسهيلات قانونية لهم في الخدمات الحكومية لا يتأخر ويقدمها

حتى لو سافر معهم لينهيها. أي مرض حتى لو بسيطًا لا بد أن يوجد، فعندما مرضت أم «إسلام» قبل وفاتها مرضًا شديدًا، عرف كيف بعلاقاته أن يدخلها مستشفى الشرطة، ورغم وفاتها لكن آخر أيامها كانت تحظى بأفضل الأطباء، بربع التكلفة، لأن «محمد» أدخلها على أنها خالته هو.

«محمد» كان كالأخ الكبير الذي يعشقه الجميع ويحترمه ويحبه.

لذلك عندما كلمه مرة في منتصف الليل وقال لـ«إسلام» إنه يريده في «خدمة» ذهب «إسلام» إلى مكتبه، وهو مستعد أن يقدم عينيه.

ليخبره «محمد» بأنه يريد أن يُحدِّث زوجته من هاتفه على أنه هو، ليختبر إخلاص «أمل» له، ويتيقن إذا كانت تخونه أم لا...

انقبض قلب «إسلام» وقتها، حاول أن يُعقِّله ويخبره بألا يفعل هذا، ألا يترك شيطان الشك يحرك حياته، وألا يجبر «إسلام» على أن يخون صديقته ويهد بيتًا استضافه أكثر من بيت أهله...

لكن «محمد» لم يسمع.. ويصمت «إسلام» ناظرًا له...

«واللي بيخاف يلعب ويتدخل.. عمره ما بيبقى كاتب حقيقي...».

دوّت الكلمة لحظتها بالصوت العميق المرهِق في عقل «إسلام» كأنها شيطان يستحوذ على رغبات دفينة داخله وظلام لذيذ لم يدرك أنه بداخله بعد.

أعطى «محمد» هاتفه، ولمدة أربع ساعات كاملة، «محمد» يمسك هاتفه ويُحدِّث «أمل»، وكان «إسلام» يمليه الكلام حتى تكون شخصية «إسلام» هي المسيطرة ولا تشك «أمل» في شيء.. بدأ

الكلام أن «إسلام» «مُتعَب» من كل شيء، يشعر بالملل، لا يستطيع أن يجد إلهامًا لروايته الجديدة، لتتحدث «أمل» في البداية وتناقشه بإخلاص، وبدأ اتجاه الكلام يدخل في الجزء الحسي...

لتستجيب «أمل»...

وهنا شعر «إسلام» بأنه أحقر إنسان على وجه البسيطة...

حكت «أمل» عن كيف منذ سنوات لم يلمسها «محمد»، يعاملها باحتقار رهيب في نظراته وكلامه وحتى في أسلوب نومهما معًا عندما كانا في البداية، ثم توقفت الحياة الجنسية بينهما تمامًا، وجه «محمد» وهو يرى هذا الكلام جامد تمامًا، كأنما صدم مشاعره قطار سريع فأصبح جسدًا بلا روح، يكتب ما يمليه عليه «إسلام». حاول «إسلام» التوقف أكثر من مرة، حاول أن يقنعه بأن يكتفي بهذا القدر، لكن «محمد» يقول كلمة واحدة:

-كمّل...

لترسل «أمل» أول صورة لصدرها...

ورغم أن «إسلام» كان يجلس بعيدًا ولا يرى الهاتف، فما إن رأى «محمد» الصورة حتى شهق وارتجف جسده وأغلق شاشة الهاتف بسرعة في فزع، ووضع الهاتف على المكتب، ليستفزه الهاتف برنة الإشعارات، تكسر صمت الغرفة، وتخبره بأن هناك صورًا أكثر من جسد زوجته تُرسَل الآن...

أشار «محمد» إلى الهاتف وقال بابتسامة تكاد تنفجر من عصبيتها:

-ذكية.. بتبعت صور من غير وشها!

احمرار وجهه وغضب عينيه جعلا «إسلام» يلتزم الصمت، ليضحك «محمد» بعصبية ويكمل:

-واضح إنها عندها خبرة في الموضوع!

ليقول «إسلام» بنبرة يحاول أن يجعلها هادئة قدر المستطاع:

-كفاية يا «محمد».. امسح الصور والكلام وهاتلي الموبايل!

أمسك «محمد» هاتف «إسلام»، ارتجفت شفتاه وهو يفتح المحادثة، لم يستطع أن يشاهد الصور لكنه عرف أنها كلها لجسدٍ عارٍ، ضغط على زر المسح وعيناه تدمعان ويداه ترتجفان، ومد يده بالهاتف إلى «إسلام»، نهض «إسلام» وأخذ الهاتف منه، لكن «محمد» ظل ممسكًا بالهاتف، فتعجب «إسلام» ليلتفت له «محمد» بنظرة فيها من الشر ما جعل قلب «إسلام» ينتفض:

-أنا وثقت فيك يا «إسلام».. إنت أنضف واحد في الشلة دي كلها.. بس أنا الثقة عندي غالية.. واللي بيخون ثقتي بفشخ حياته كلها لحد ما يموت!

انعقد حاجبا «إسلام» في غضب من هذا التهديد الواضح، سحب هاتفه من يد «محمد» وقال بنبرة حارب كي تصعد هادئة:

-أنا مقدر اللي إنت فيه.. بس أنا خنت كل حاجة مؤمن بيها عشان إنت ليك أفضال عليا كتير يا «إسماعيل».. الحوار ده ولا كإنه حصل بالنسبالي!

ووضع هاتفه في جيبه، ونظر إلى «محمد» نظرة باردة وهو يكمل:

-ولحد هنا إحنا خالصين.. ماحدش مديون للتاني بحاجة...

***

-مالك يا «إسلام» باصصلي ليه كده؟!

قالتها «أمل» بلهجة عابثة تعيده إلى صالة النادي، حيث يجلس هو و«أمل»...

تأملها لحظاتٍ.. منذ ذلك الموقف وكلما ينظر إلى «أمل» يتذكر ذلك الموقف الحقير، لم يطلقها «محمد» كما وعده، ترك «أمل» على ذمته تحاول دائمًا وأبدًا أن ترضيه وتربي أولاده.

قالت «أمل» بصوتٍ عالٍ هذه المرة وهي تلكزه في كتفه بعد أن جلست على مقعد بجانبه:

-مالك يا ابني في إيه؟!

ليبتسم «إسلام» ويقول بلهجة هادئة:

-أنا بحبك يا «أمل».. إنت عارفة إنت غالية عندي إزاي من زمان.

لتشير «أمل» بيدها أنها لم تفعل شيئًا وتقول ضاحكة:

-هي الشلة دي هتعرف تعمل حاجة من غيري؟ لازم تحبوني!

لترتجف عيناه وتتسع ابتسامته ويقول:

-عشان كده.. عاوز أقولك حاجة.

نظرت له «أمل» بقلق، أمسك كتفها ونظر إلى عينيها مباشرة...

«واللي بيخاف يلعب ويتدخل.. عمره ما بيبقى...».

اختنق صوته رغمًا عنه وهو يقول:

-جوزك عرف كل حاجة بتعمليها من وراه.. بقاله شهر عارف.. وشاف كل حاجة بعينه.

نبرته، ارتجاف صوته، جعلاها تنظر له في رعب، ويدها تضرب صدرها، لتدمع عيناه...

قد لا يستطيع «إسلام» أن يلكم شخصًا آخر... ولا يستطيع أن يؤذي أحدًا...

لكنه قد يقتل نفسه، في سبيل التكفير عن ذنب ارتكبه.. وهذا ذنبه عندما استسلم لوسواس ذلك الكاتب الشهير الذي يعشقه، ويريد أن يصبح كاسرًا لكل القواعد مثله.

تلاقت عيناه بعينَي «أمل» المتسعتين لآخرهما في عدم تصديق، معلنةً بداية حرب من نوعٍ مختلف تمامًا...

***

ضحك «عاصي» من قلبه، وهو يرى الفيديو الذي صوره مع «آية»...

كانت تجلس جانبه على أرض الملعب الكبير، تسند بكتفها إلى كتفه وهي تريه الفيديو على هاتفها، لا يحيطهما بشري بعد انصراف عم «عباس»، ليشعر بأنه انفصل عن العالم كله، ودخل عالمها الشاب الجديد في كل تفاصيله.

عالم فيه من الحيوية ما افتقده منذ عمر مضى...

انتهى الفيديو فابتسم، قالت بمرح:

-بترقص حلو قوي على فكرة!

قال بثقة:

-عارف.

اعتدلت في جلستها وقالت بلهفة وهي تفعل شيئًا ما في هاتفها لم يرَه:

-أنا هانزل الفيديو دلوقتي.

عقد حاجبيه لحظةً ونظر لها بتساؤل:

-تنزليه فين؟

قالت ببساطة:

-التيكتوك.

مد يده في تلقائية ليضعها على الهاتف، نظرت له بعدم فهم، نظر لها بارتباك وهو يكره موقفه، لكنه رفع يده اليمنى بالدبلة التي تحيط إصبعه ثانيةً ويقول:

-إنت نسيتِ؟

نظرت له في عدم فهم أربكه أكثر، هزت كتفها بلا مبالاة وهي تقول:

-وإيه المشكلة؟ ما أنا كمان مصاحبة!

ضربت كلمتها كل القصور التي بناها في خياله عنها، نهض ليصبح

جالسًا على ركبتيه في حركة لم يفهمها هو شخصيًا، قال بدهشة:

-إيه؟!

قالت بتوكيد وهي تزيح يده من على هاتفها:

-أنا مصاحبة.

نظرت إلى السماء لحظاتٍ ولوّحت بيدها:

-بس situation ship سيكا.. يعني مع بعض بس مش بعض.. فاهم؟

لم يكن يعرف ما هي «علاقة الموقف» التي قالتها وترجمها هو بسرعة، ظهر عليه أنه لا يفهم، لكنه رد بسرعة:

-حتى لو.. المخطوبين حاجة تانية.. أنا قربت أتجوز!

نظرت له باستنكار لحظاتٍ، ثم قالت لأول مرة بنبرة جادة قليلًا:

-هو إنت شايف إننا عملنا حاجة غلط؟

أُسقط في يده للحظة، لكنها لحسن حظه أكملت وهي ترفع هاتفها له بنبرة مَن يقول شيئًا بديهيًا:

-إحنا رقصنا رقصة الناس كلها بترقصها.. في مكان عام.. وهنّزلها قدام الناس كلها.. أكاونتي فيه 250 ألف فولور.. مش بنعمل حاجة مستخبية يعني!

لم يعرف بمَ يرد، شعر لأول مرة بخطأ ما كان يُفعَل منذ بداية تعرُّفه بها، قال بحدة ودون تفكير:

-ما هو خطيبتي هتبقى من الناس كلها اللي بتشوف.. وأنا مش قايلها أنا فين وبعمل إيه!

وأشار بيده لها كأنما يستنجد بأي منطق داخل عقلها:

-وصاحبك اللي عامل موقف في العلاقة ده.. ممكن يتضايق!

أدارت عينيها في مقلتيها وهي تنظر إلى أعلى، شعر في حركتها لأول مرة بأنه بالفعل يتحدث مع مراهقة، قالت وهي تهز كتفيها ببساطتها التي تقتله:

-هو واثق فيا.. أنا تيكتوكر.. ده جزء من شغلي.. وهو عارف إني مستحيل أعمل حاجة غلط.

ونظرت له تلك المرة، استعادت ابتسامتها العابثة:

-إنت بقى خطيبتك مش بتثق فيك؟

شعر بالجاذبية تجذبه إلى أسفل، فسقط بجسده في وضع ركوعٍ لا معنى له، نظر لها نظرة حائرة وقال:

-هي واثقة فيا.. بس عارفة كل اللي عملته قبلها.. فبقت بتشك في كل حاجة!

نظرت له لحظاتٍ، رأت كل تلك المشاعر المتناقضة على وجهه وروحه، أغلقت شاشة هاتفها وابتسمت:

-خلاص مش هانزل حاجة.. مش هابوظ المود الحلو اللي بينا.

وأشارت له بإصبعها قائلة بمرح:

-بس خدها مني نصيحة يا ابني من واحدة أكبر منك بجيل كامل.. ماتفضلش مع حد بيشك فيك.. toxic قوي.. ومش هتكملوا!

ارتاح قلبه مع قرارها، لكن كلمتها ضربت قلبه بحقيقة بسيطة تجاهلها سبع سنين كاملة...

***

-بابا والنبي كفاية!

قالتها «ريم» برجاء وهي تضع يدها على كتف والدها، ليزيح يدها بهدوء، نظرت «ريم» إلى أمها التي تنظر لها عاجزةً دامعة العينين.

ليقول الأب بهدوء تام وهو يزيح يدها، ولا يزيح عينيه عن عينَي زوج خالة «سارة»:

-استني يا «ريم» بعد إذنك...

على المنضدة الكبيرة للعريس والعروس التف الجميع، كل القاعة حرفيًا التفت حولهم الآن كأنهم فتحوا «البوفيه» ثانيةً، العيون الفضولية والغاضبة والساخرة، أهل «سارة» في جبهة وأهل «علي» في الناحية الأخرى، حرب على وشك أن تندلع وكل شخص اختار ووقف مع مَن ينتمي ولاؤه له.

والمأذون يتأمل الموقف بعين خبيرة، يبدو عليه التفكير في كل ما يحدث...

نظرت «ريم» إلى باب القاعة الذي انفتح، خفق قلبها أملًا أن «سارة» قد عادت، لكنها وجدت «محمد إسماعيل» يدخل كمن يبحث

عن شيء، لكنه ما إن رأى ما يحدث حتى اقترب بخطوات واسعة وعيناه تبحثان عن أي شخص يعرفه، التقت عيناه بعينَي «ريم» الباكيتين، أشارت له أن يقترب ففعل، مال بأذنه عليها لتقول هامسةً حتى لا يسمعها الأب الذي يجلس أمامهما مباشرةً:

-كل حاجة بتبوظ.. بابا جاب المأذون و«علي» مش عارفة في أنهي أوضة مع «يسرا» ومش بيردوا.. «عاصي» تليفونه معايا ومش عارفة هو فين!

امتعض وجهه لا إراديًا عندما أتت بسيرة «عاصي»، تذكّر رؤياه يحتضن فتاة غريبة وشعر بالشفقة على «ريم» لحظاتٍ، فأومأ برأسه متفهمًا وربّت على كتفها.

نظرت له «ريم» في امتنان، كانت تحتاج إلى شخصٍ ما يساعدها في كل ما يحدث، لكنه لدهشتها وجدته يقف يراقب الموقف دون أن يفعل شيئًا...

تنحنح المأذون ليكسر الهمسات والحوارات الجانبية:

-ممكن حد يفهمني الموضوع بعد إذنكم؟

ليرد «عبد الوهاب» فورًا وهو يشير إلى الخالة وزوجها، بابتسامة منتصرة ساخرة:

-مافيش يا سيدنا الشيخ.. العروسة هربت يوم فرحها بعد كتب كتابها إمبارح.. ماحدش عارف بقى خافت من إيه.. وعاوزين نطلّق يا مولانا.

بصوتٍ جهوري صاح زوج الخالة بصرامة:

-احترِم نفسك يا «عبد الوهاب» وماتزودش في الكلام!

صدرت حركة من الجمع، هناك مَن يتأهب للشجار المحتم وهناك مَن يعترض، رفع المأذون يده وهو يتمتم:

-لا حول ولا قوة إلا بالله.. نهدى يا أستاذ عبد الوهاب.. بعد إذنكم!

نظروا له، شعرت «ريم» بأنه يتحدث ببطء كي يدرس الموقف:

-العريس فين؟

قال «عبد الوهاب» بصرامة:

-مابقاش عريس يا مولانا.

قال المأذون بابتسامة هادئة كي يهدئ الأب قليلًا:

-يا سيدي حقك عليا.. ابنك فين؟

التفت له «عبد الوهاب» بصرامة وهو يكتم انفعاله بصعوبة:

-وهو ماله؟ إحنا جايبينك تطلقهم وأنا وكيله!

تمسّك «محمد إسماعيل» بطرف الخيط، فقال فجأة بصوت مهذب احترامًا لـ«عبد الوهاب»:

-معلش يا عمي بس حضرتك مش معاك تفويض رسمي من «علي» في الطلاق!

التفت له الأب بحركة حادة ونظرة غاضبة، لكن «محمد» لم يرتجف له جفن، والتفت إلى المأذون بابتسامة:

-ولا رأي حضرتك إيه يا مولانا؟

خفق قلب «ريم» في أمل، في حين قال المأذون كمن ليس بيده حيلة:

-طبعًا صح يا ابني.. لازم العريس.. قصدي لازم الزوج والزوجة يبقوا موجودين أو أشوف التوكيل الرسمي بعيني إنهم موكلين الأهل.. غير كده ماينفعش أطلّق!

تنفست «ريم» الصعداء، هي لا تعلم كيف سينتهي ذلك اليوم الغريب، لكنها تعلم تمامًا أن القرار قرار «علي» و«سارة»، ليس من حق أحد التدخل فيه، ساد صمت للحظة، وقبل أن يقول «عبد الوهاب» أي شيء صاحت خالة «سارة» في غضب:

-وهي هروبها مش كفاية؟! إحنا عاوزين نخلص من الجوازة الشؤم دي!

والتفتت إلى المأذون قائلة:

-بنتي ماتعملش كده غير لو الواد ده عمل فيها حاجة.. يلعن أبو الناس واللي يفتكروه بس «سارة» أنا اللي مربياها.. ومش فارق معايا إيه اللي يتقال!

والتفتت إلى «عبد الوهاب» بنظرة احتقار وقالت:

-والأخ اللي هناك ده بدل ما يفكر بنتنا فين ويخاف عليها.. بدل ما يحاول يبقى في مكان أبوها وأمها الله يرحمهم.. كل اللي همه ابنه والفضيحة!

والتقت عيناها بعينَي المأذون اللتين ترجوانها أن تصمت.. ونظرت «ريم» إلى «محمد إسماعيل» الذي زمّ شفتيه...

ثم نظرت إلى ساعتها لتجدها ثواني قبل التاسعة والنصف بالضبط...

لم تكن تعرف أن في نفس تلك الثواني، تنهار «أمل» أمام «إسلام» في بهو الفندق، يقف «علي» على سور الشرفة، خلفه «يسرا» الجازعة، «آية» تنظر إلى «عاصي» بأسف كمن ينظر إلى طفل أخطأ، «سارة» تقود السيارة بسرعة مبتعدةً عن القاعة أكثر، جانبها «ياسين» الذي ظل صامتًا ممسكًا بيدها...

في نفس تلك الثواني انطلقت «راوية» خالة «سارة» كمدفع رشاش تكمل كلامها:

-ده نسب مايشرفناش!

لينفجر كل شيء من جديد...

ويصل عقرب الدقائق إلى الساعة التاسعة والنصف مساءً...

الوصول

وما يليه من دقائق...

العاشر

9:30 مساءً

«نعيش لحظتنا.. لحد ما نبقى مش حاسين إن فيه بكرة».

نظرت سارة إلى الساعة في العربة لتجدها التاسعة والنصف مساءً...

لم يتحدث «ياسين» بكلمة.

جلس بجانبها وتركها تقود، لم يسألها عما حدث داخل مكتب الضابط، ولم تكن تريد أن تتحدث، تعشق صمته وقت كل ما يفعله الآخرون هو الحديث والأسئلة المملة المكررة.. حتى الآن لم يسألها لماذا هربت من زفافها، حتى الآن لم يحاول أن ينصحها بالعودة، يتركها كما تريد أن تكون...

هو موجود وفقط...

مدت يدها ببطء ولمست أصابعه، لم يُبدِ أي رد فعل، لم يبعد يده ولم يلتفت لها، ببطء شديد أمسكت يده وضغطت عليها، ظلت يده ثابتة تحت يدها لا تبادلها العناق، ملأت الدموع عينيها فجأة، شعرت بكتلة من الكلام تثقل صدرها، عندما أرادت أن تلقي برأسها بين ذراعيه ولم تستطع، ووجدت نفسها تقول دون حتى أن تدرك ما الذي تريده، هزت يده قليلًا وقالت بصوت متحشرج:

-«ياسين»...

ابتلعت ريقها، وقالت بابتسامة حزينة:

-أنا لاقيت حاجة تانية هنعملها النهارده...

نظر لها متسائلًا، فقالت:

-هنعيش اللحظة بتاعتنا دلوقتي.. كإننا هنموت ومش هنصحى

بكرة.

رفع إصبعه وهمّ بالاعتراض فصاحت قبل أن يعترض:

-عارفة.. نعيش لحظتنا لحد ما نبقى مش حاسين إن فيه بكرة.

ابتسم في رضا، وقال:

-كل اللي بتحلمي بيه هيتحقق، لحد ما تحسي إنك قادرة ترجعي...

التفت لها بنظرة هادئة تستفزها كما تفعل دائمًا، ابتسمت وسط دموعها وقالت ومشاعرها تتصاعد داخلها وتغمر كيانها كله:

-أنا مش عايزة أرجع الفرح.

وابتلعت ريقها كي تقاوم رغبتها في البكاء، أكملت وهي تقول بعينين تقطران حبًا:

-أنا عاوزة أرجعلك إنت...

ارتجفت عيناه وهو ينظر لها صامتًا، قالت دون أن تفكر:

-عشان خاطري ماتوجعنيش وترد عليا بالأصول والصح.. أنا مش عاوزة الصح.. مش عاوزة أجبر نفسي على حاجة أنا مش طايقاها.. أنا منك وهافضل طول عمري منك إنت بس.. أنا ضعيفة وجبانة وممكن تشوفني ماعنديش كرامة.. بس أنا صحيت على الدنيا لقيتني بحبك.. إنت عارف إني أمي ماتت من زمان.. ويوم ما بابا مات كنت إنت الوحيد اللي جنبي.. إنت اللي فاهم وعارف كل حاجة جوايا.. إنت البيت اللي عاوزة أعيش عمري كله حرة فيه...

همّ بالكلام لكنها أشارت بيدها له أن يصمت، كلامها مرتبك وغير

مرتب وهي تعلم ذلك، قالت بحنان:

-عشان خاطري ماتردش عليا.

وأكملت أمام عينيه الحانيتين:

-زمان وإحنا مع بعض، سألتني سؤال عجبني قوي.. قلتلي لو عرفتِ إنك هتموتي بكرة، إيه آخر حاجة هتعمليها في حياتك.. فاكر إجابتي؟

لمعت عينا «ياسين» بدمعة تريد أن تفر، نقلت عيناه حيرته إلى قلبها، أكملت هي تجيب بابتسامة:

-قلتلك هاعيشه كله في حضنك إنت.. مش هاعوز حاجة من الدنيا تاني.

قالتها وأجهشت في البكاء.. ترى عينَي «ياسين» المتأثرتين بكل حرف تقوله...

-عشان خاطري سيبني أرجعلك.. ماتمشيش تاني.

ساد صمت للحظات، لتصرخ هي فجأة:

-اتكلم مرة واحدة وماتفضلش ساكت كده!

هدّأت سرعة العربة حتى توقفت جانب الطريق، ضغطت زر الانتظار، نظر لها بعجز، وساد الصمت...

بدت حيرة عينيه قاتلة لها، تعلم أنه يحسب كل الحسابات التي يحاول أن يجد إجابات لها داخله، تعوّد هو ألا يؤذي أحدًا، كمثال العربات المتصادمة الذي قاله من قبل، يريد أن يعيش في سلام

ويموت في سلام، لكنها تلك المرة بالذات تريده أن يتحرك، أن يخرج مبتعدًا عن دائرة أمانه من أجلها.

-أنا آسف...

قالها، ودون كلمة أخرى، نظر لها نظرة آسفة معتذرة، ثم فتح باب العربة وخرج منها، خلفه نظرتها المذهولة.. قالت متسائلة وقلبها يشعر بأن هناك مَن يسحقه بقدمه:

-هتعمل إيه؟!

أغلق الباب خلفه وسار مبتعدًا...

هل يرفضها ثانيةً بتلك الطريقة الحقيرة؟

هل يكرر بالضبط ما فعله عندما رفضته خالتها، فهبط من بيتها ورفض أن يُحدّثها أسبوعين كاملين؟!

صمّت دقات قلبها أذنيها فلم تعد تسمع حتى أفكارها، همّت بأن تفتح باب السيارة وتلحقه، لكن تسمّر جسدها...

لماذا تحارب؟

لماذا يتركها كل مَن عشقتهم ذلك العشق المؤلم؟

أمها تركتها وماتت وهي صغيرة، أبوها تركها ومات وهي شابة، «ياسين» تركها عندما رفضوه، والآن يتركها ثانيةً...

لماذا؟!

-سارة...

سمعت صوته الواثق، لفّت رأسها بحدة ونظرت له، لتجده يقف مستندًا إلى نافذة العربة، عيناه الواثقتان اللتان ذكّرتاها بشدة باليوم الذي قضياه معًا، قابلته فيه الثانية عشرة بعد منتصف الليل، كان غريبًا لا تعرفه على الإطلاق، عرض عليها أن يركب العربة معها ليوصلها إلى العاشر من رمضان، قضيا ثماني ساعات كاملة توفي فيها والدها ودفناه معًا، وعندما أعادته إلى بيته، وصعد بالفعل، عاد لها، وجدها تبكي، فركب العربة في صمت ونظر لها نفس تلك النظرة.

فتح باب العربة وركب ثانيةً، وصمت تمامًا، كأنه يقصد أن يعيد تلك الذكرى داخلها، ابتسمت رغمًا عنها وسط دموعها، قالت له ما قالته قبلًا:

-على فين؟

ليشير هو إلى الطريق، وينظر لها بثقة:

-أي مكان إنت رايحاه...

أدركت أنه يقصد بالفعل، فقالت ما قالته قبلًا:

-بتفكر في إيه؟

فيما مضى قال لها إنه يريد أن يقلع عن التدخين، فانتظرت أن يقولها وتضحك، لكنه نظر لها بحب وقال بابتسامة واثقة:

-إني بحبك حب عمري ما حسيته لحد قبل كده...

ارتجف قلبها وهي تشعر بقشعريرة تحتل جسدها كله، وهو يكمل:

-حب يخليني أكسر قواعد الدنيا كلها عشان أفضل جمبك.

والتمعت عيناه ونظر لها قائلًا بابتسامة:

-فهاعيش النهارده لحد ما يبقى مافيش بكرة.

عقد حاجبيه كأنما أدرك خطأه، فقال مفكرًا:

-لحد ما يبقى مش بكرة موجود؟ لأ ثواني .. لحد ما نبقى مش بكرة جاي؟

نظر لها متسائلًا، أمام ابتسامتها التي تتسع، ودموعها العاشقة:

-أنا ليه حاسس إني قلبت مُحن كده.. اللي هو مش أحب ومش أعرف والعيال دي!

صاحت فجأة ضاحكة:

-مش مهم وزن أم الجملة!

وألقت نفسها بين ذراعيه تحتضنه، لتشعر بذراعيه تحيطان جسدها، ويهمس:

-بحبك.. وهاكمل معاكِ...

لتغمض عينيها في استكانة.. وتتسع ابتسامتها لتجعل دموعها تنحرف عن مسارها الطبيعي، وتجف تمامًا.

***

مال جسد «علي» إلى الأمام لدرجة خطيرة، شهقت «يسرا» ثم كتمت شهقتها بفمها...

صاحت بعصبية وقد تبخر كل ما تعلمته عن التعامل مع المنتحرين

من عقلها:

-انزل يا علي كفاية غباوة!

أغمض عينيه وهو يشعر بنشوة لا مثيل لها، قال بصوت هادئ تمامًا:

-أنزل من أنهي ناحية؟

أدركت ما يقصده، فاقتربت خطوتين بعصبية ليصيح هو:

-قلتلك ماتقربيش!

تسمّر جسدها ثانيةً من نبرة صوته، كرهت تلك الحالة التي أصابتها من العجز، قالت بصوتٍ عالٍ:

-إنت بتعمل كده ليه؟ هتستفيد إيه؟ هتموّت نفسك عشان واحدة سابتك ومشيت؟!

لم تعد تدري ما تقول، لم تكن تحب أن تذكر أيًا من أصدقائها بسوء، قالت متضرعة:

-أنا قلتلك ثق فيا.. سارة راجعة راجعة.. سارة ماهربتش.

رغم أنها لم تعد تعرف هل ستعود صديقتها أم لا، كانت واثقة بذلك منذ ساعة ونصف، لكن الآن لا تبشر الأمور بالخير أبدًا، التفت لها «علي» بكتفه، التفاتةً جعلت قلبها ينقبض لأن جسده خرج أكثر إلى الناحية الأخرى من الشرفة.

قال «علي» بهدوء كأن روحه قد استكانت لما يريد أن يفعل:

-الموضوع مابقاش سارة خلاص.. الموضوع بقى 37 سنة عدوا ماعشتهمش!

وقال بنبرة مرحة عكس كل ما هما فيه:

-أعيش اللي جاي ليه؟!

صاحت «يسرا» دون تفكير:

-عشان مافيش حاجة هناك تستاهل تروحلها لو مُت منتحرا!

نظر لها بعدم فهم، فقالت أغرب شيء توقعت أن تقوله:

-لو هتتنيل تنتحر ومش فارق معاك جنة ولا نار.. ماتروحش وإنت محترم كده.. اغلط شوية.. أهو يبقى تستاهل النار!

رأت التعجب على ملامحه وهو ينظر لها، لم يتوقع أن تقول له هذا الكلام، لم تكن هي شخصيًا تتوقع أن تقول ما تقوله، لكنها أكملت بقوة:

-يعني واحد عاش 37 سنة لا عمره شرب ولا سكر ولا عط ولا سرق ولا قتل.. عايش مثالي طول عمره.. تموت موتة تودي المجهود ده على الفاضي ليه؟!

لا تدري هل هو تأثير الحشيش الذي شربته، لكنها تشعر بأن لديها منطقًا ما، أكملت:

-ماتبقاش عامل زي الطالب اللي ذاكر طول السنة وقرر مايحضرش الامتحان.. ما هو يا إما كان خرب الدنيا وسقط.. أو ذاكر ونجح.. لكن يذاكر ويتنكد ويسقط ليه؟!

ابتسم في استهانة، هز رأسه بمرح كأنما يستمتع بكلامها، ثم قال ضاحكًا:

-تصدقي منطق رقاصة فعلًا!

صاحت بغضبٍ حقيقي من كلمته:

-أهو على الأقل بغلط.. وعارفة إني بغلط.. يوم ما هاموت عارفة إيه اللي هيحصل فيا.. بس إنت؟!

أطرق برأسه إلى الأرض، أشار لها بكف يده معتذرًا:

-أنا ماكنش قصدي رقاصة بطريقة وحشة.. أنا قصدي منطق حد جريء.

هدّأها اعتذاره قليلًا، اقتربت ثلاث خطوات وهي تدعو الله ألا يلاحظها. تنهدت عندما شرد هو في السماء ولم يرَها، قالت كمن يُحدّث طفلًا:

-ينفع 37 سنة وتموت عذراء؟! ابن بنوت؟!

ضحك بقوة وارتج جسده رجةً أرعبتها. لاحظت أنه يرخي جسده المستند إلى ضلفتي الشرفة أكثر من اللازم. جسده يميل أكثر إلى الأمام، لا يسند جسده إلا ذراعه المستندة إلى الزجاج، الذي قد ينكسر في أي وقت.

انتهت ضحكته، فاقتربت أكثر، مدت يدها ببطء لتلمس ساقه، وتقول بحنان:

-ممكن تنزل عشان خاطري؟

وكأنما أصابه مس كهربائي، صاح فجأة بصوتٍ عالٍ:

-سيبيني في حالي!

ابتعدت بسرعة وجسدها ينتفض في فزع.. لتجده أخرج جسده أكثر، أخرج ذراعه اليمنى من خلف الزجاج وأصبحت أمامه في الهواء الطلق.

نظرت «يسرا» له في رعب وهي تدرك أن ثلاثة أرباع جسده في الخارج، والربع الأخير يتمسك بذراع واحدة ناحيتها.

رعب جعلها تدرك أنها تخسر المعركة بجدارة الآن...

***

لم تكن «أمل» تعرف مشاعر مَن مات لهم أحد الأقارب من قبل.

عندما توفي والدها كانت صغيرة، فعرفت معاناة الحياة دون أب، لكن لم تحضر ألم موته.

لذلك عندما شعرت بانسحاب روحها من داخلها، وتسمّر جسدها وهي ترى فم «إسلام» يتحرك، قائلًا لها إن زوجها يعرف كل شيء عن ما تفعله هي، أدركت أن ما تشعره هو أقرب إحساس لموت شخص قريب لها.

بل موتها هي نفسها داخلها...

كانت جالسة أمام «إسلام» على ركبتيها، صمتت لحظاتٍ طويلة وهي تنظر إلى «إسلام» نظرة غير فاهمة، قالت في حالة إنكار غريبة:

-عرف إيه؟! أنا مش بعمل حاجة!

وهو رد فعل طفولي بديهي، منذ أن كانت طفلة وعندما تسألها أمها أو أخوها الكبير عن المتسبب في كسر المرآة، تقول في رد فعل تلقائي: «ماعملتش حاجة».. استمرت العادة ولازمتها ولازمت كل أطفال الدنيا حتى الآن.

نظر لها «إسلام» نظرة آسفة، كيف تقول هذا وهي فعلت هذا معه، لكنها قالت بإصرار في حالة من الجمود والذهول:

-أيوه برضه عرف إيه فهّمني؟

ثم ضاقت عيناها وهي تدرك، وتقول كمن يتوقع مصيبة:

-إنت اللي قلتله؟

هز «إسلام» رأسه نافيًا، شعر بقلبه ينقبض وهو يخبرها بالقصة كاملة، كيف أقنعه «محمد» بأن يُحدِّثها من هاتفه، وكيف أن كل ما تظن هي أنها فعلته مع «إسلام» لم يكن مع «إسلام»...

بل كانت عينا زوجها هما اللتان تريان كل شيء...

ضربت «أمل» صدرها أكثر من مرة وهو يحكي.. تتمتم شفتاها بكلمات مثل: «يا لهوي» و«يا نهار أسود»، راقبها ودموعها تسيل بغزارة وتنظر إلى الأرض، لكنه أكمل القصة، قال منهيًا إياها بجملة:

-أنا عارف إني زبالة إني وافقته.. بس هو وعدني إنه يطلقك.. وماعملش كده لحد دلوقتي.

نظرت «أمل» له وهي تبكي...

أدركت بأنها بعد أكثر من مائة وثمانين صورة أرسلتها إلى كل مَن يطلب، الآن ولأول مرة... تشعر بأنها عارية تمامًا...

قالت له ما كانت تقوله لنفسها طوال تلك الفترة، ولم تدرك سخفه إلا وهو يصعد على شفتيها الآن فقط:

-بس أنا ماختنتوش. .ماحدش لمسني غيره.. أنا كنت ببعت صور بس!

كانت تنظر له كطفلة تبرر شيئًا لا يوجد تبرير له... لكنه نظر لها متفهمًا.

بطبيعة الكاتب داخل «إسلام» كان يعلم تمامًا أنها تصدق ما تقول، كتب مرارًا وتكرارًا عن الأبطال الذين يضحكون على أنفسهم بحجج واهية لتبرير كل ما يفعلونه. نظرت «أمل» له منتظرةً منه أن يقول شيئًا، قال بهدوء وهو داخله لا يستطيع أن يستنتج أي شيء مما سيحدث:

-مش مهم دلوقتي إنتِ بتعملي ده ليه.. المهم هتعملي مع «محمد» إيه؟

ارتجف قلب «أمل» وهي ما زالت غير مستوعبة لكل ما يحدث.. لذا نظرت إلى «إسلام» قائلةً بخوف:

-ماعرفش.. بس أنا مش فاهمة هو إزاي ماقتلنيش لحد دلوقتي!

واتسعت عيناها في رعب أكبر وهي تقول:

-ومعنى إنه ماقتلنيش إنه بيحضّر لحاجة أوحش من الموت!

انهارت مقاومتها فجأة فانهارت في بكاءٍ بصوتٍ عالٍ، جعل كل مَن في البهو يلتفتون لهما في عدم فهم...

***

ما إن قالت خالة «سارة» جملة «ده نسب مايشرفش» حتى انفجر كل شيء.. شهقت «ريم» بخوف وهي ترمق أباها الذي اشتعلت عيناه...

نهض «عبد الوهاب» بغضب وضرب المنضدة بقبضته صارخًا:

-إنتم اللي نسب يِعِر!

ليحاوطه «محمد إسماعيل» بسرعة بكلتا يديه يمنع اندفاعه ناحية الخالة وزوج الخالة الذي هبّ واقفًا وهو يصيح:

-يلا يا سيدنا الشيخ خلّصنا من القرف ده!

ليصيح أحد شباب عائلة «علي» بسخرية:

-قرف إيه يا عم.. تلاقي العروسة هربت عشان تبقى رقاصة زي صاحبتها!

صعدت أصوات استنكارية وصياح غير مفهوم يعلو إلى درجة مخيفة تدل على حدوث اشتباك بالأيدي قريبًا...

لينهض المأذون بغضب هذه المرة ويصيح بأعلى صوته:

-هو مافيش أي احترام لوجود شيخ وسطكم ولا إيه؟!

وعلا صوته أكثر في صرامة أبهرت «ريم»:

-إنتم جبتوني هنا حكَم.. يبقى كلمتي هي اللي تمشي.. دي الأصول.. وده الدين.

ونظر إلى «عبد الوهاب» الذي تدرك «ريم» كم يقدس مَن هم أكبر منه سنًّا، وقال بغضب:

-إنت هتكبر عليا يا «عبد الوهاب»؟! أنا اللي مجوزك ومجوز عيلتك كلها، ومطلق أخوك من مراته، ومصالحك على مراتك خمسين مرة.. ولا نسيت؟!

نظر «عبد الوهاب» له وقال بحورة:

-هي غلطت فينا يا سيدنا الـ...

قاطعه المأذون بغضب:

-بس.. قلت بس!

نظر «عبد الوهاب» إلى الشيخ في غضب لثوانٍ، ثم أطرق برأسه وصمت، نظر «محمد إسماعيل» له لحظاتٍ ليطمئن لاستكانته، ثم أرخى قبضته من حول «عبد الوهاب»، ودون مناسبة قبّل كتفه في احترام قبل أن يبتعد خطوتين.

وقف المأذون بهيبته ينظر إلى العائلتين ويقول بصرامة أمام عيونهم التي تحترمه:

-من هنا لحد آخر الليل ماحدش في العيلتين هيكلم التاني.. كلامكم موجّه ليا أنا.. وماحدش هيغلط في التاني طول ما أنا موجود!

والتفت لهم بنبرة لائمة وهو يكمل:

-لو هتسيبوا الشيطان يملا دماغكم.. فأنا مش هافضل في مكان الشيطان موجود فيه.. تختاروا إيه؟

تعجبت «ريم» من أنه يبدو عجوزًا، لكن ليس إلى درجة أنه زوّج أباها. هل يمتهن تلك المهنة منذ أربعين عامًا؟!

ظل المأذون واقفًا بصرامته وهيبته اللتين جعلتا كل الجالسين يصمتون وينظرون له في أسف، فجأة التفت لها المأذون بنظرة اخترقت روحها، وقال بنبرة آمرة:

-«ريم» يا بنتي روحي لـ«علي» هاتيه.. عاوزه هو اللي ييجي يقولي ناوي على إيه.

ونظر إلى «عبد الوهاب» نظرة صارمة وهو يكمل كلامه لـ«ريم»:

-«سارة» من إمبارح بقت أختك يا «ريم».. وبقت في مقام بنت «عبد الوهاب».. ماينفعش نظن فيها سوء أو نطعن في شرفها.. عشان شرفها بقى من شرفكم.

رغم أن كلامه كان موجهًا إلى «ريم»، فنظرته إلى «عبد الوهاب» كانت مفهومة...

ساد صمت تام، وقشعريرة تسري في جسد «ريم» حتى إنها ظلت واقفة، فالتفت لها ثانيةً وصاح:

-يلا يا بنتي.. خمس دقايق وألاقيكم قدامي.

أومأت «ريم» برأسها أن نعم في سرعة، نظرت حولها بسرعة في

حيرة، فاقترب منها «محمد إسماعيل» وهمس:

-المبنى اللي قدامنا على طول الدور الـ7.. غرفة 704.

خرجت مسرعةً من القاعة وهي تركض قدر ما يسمح به فستانها الضيق، رأت في بهو الفندق «إسلام الحسيني» وهناك نزيف في شفته السفلى، وتجلس «أمل» في المقعد الذي أمامه تبكي بحرقة، لم يكن لديها وقت لتسأل فاستمرت في طريقها لتخرج من البهو، نظرت إلى المبنى الذي أمامها.. لا بد أن تمر بطريقين وتسير سبعة أمتار حتى تصل إلى بوابة الفندق نفسه. نظرت إلى يمينها ويسارها عسى أن تلمح «عاصي» لكنها لم تجده، كان هناك فرح يُقام على يسارها في الساحة الخارجية، قالت لنفسها إنها ترغب في تأمُّل ذلك الفرح لأن «عاصي» كان دائمًا يرغب في إقامة فرح في ساحة بلا سقف، لكنها كانت ترفض.

عبرت الشارع الداخلي للنادي في سرعة، نظرت إلى يمينها لتجد الاستاد في آخر الطريق، شعرت بشيء ما يخبرها أن تذهب إلى هناك لكنها تجاهلت الإحساس واستمرت في عبور الطريق الثاني.

سمعت صوتًا لم تميزه، لكنه بدا صيحة رجل غاضب.. سمعتها بشكل صدى بعيد للغاية...

رفعت رأسها إلى الأعلى حيث مبنى الفندق، أخذت تعد الأدوار حتى وصلت إلى الدور السابع.

وهالها ما رأت...

رأت جسدًا عاري الجذع، يرتدي بنطالًا فقط وحذاء، ويقف ومعظم

جسده في الخارج...

جسد أخيها الذي تعشقه...

«علي»...

لم تدرِ بنفسها إلا وهي تطلق صرخة عالية جزعة.. وخلعت حذاءها وهي تركض عائدة إلى القاعة...

لم تجد «إسلام» و«أمل» جالسَين في مكانهما.. أكملت ركضها حتى القاعة وما إن دخلتها حتى صرخت بأعلى ما في صوتها:

-«علي» أخويا هيرمي نفسه من الدور السابع... الحقووونااااا...

ولم تنتظر لترى ما حدث، وركضت بسرعة عائدةً إلى أخيها...

***

الحادي عشر

9:40 مساءً

«نجري لحد ما نبقى مش فاكرين القدر».

قالت «آية» وهما يسيران في المكان المخصص للسير والركض حول الملعب الكبير:

-وفيه حاجة اسمها one night stand... دي اللي هي بيشوفوا بعض.. يعملوا كل حاجة وبعدها مايعرفوش بعض تاني.

ابتسم «عاصي» بسخرية، وهو يسير جانبها...

بعد موقف الفيديو ساد صمت محرج بينهما، بدا أن نيران تلك الحالة الساحرة بينهما بدأت في الخمول، عندما قالت له ألا يكمل علاقته مع مَن يشك فيه دائمًا، صدمته بأرض الواقع بعدما طار معها قليلًا، لذا صمت لحظتها وظل جالسًا على أرض الملعب.. لتنهض هي وتجذبه من يده وتقول:

-تعالى نتمشى شوية.. أحكيلك العلاقات دلوقتي بقى اسمها إيه...

ثم ضحكت ساخرة:

-عشان ترجمتك لـsituation ship إنه راجل موقفني ضحكتني قوي.. حسيتك غلبان كده!

نظر لها باستنكار، ثم استسلم لجذبها.. وبدآ يسيران جانب بعضهما بعضًا...

حكت له عن تلك الـsituation ship.. عندما يدخل الرجل في حياة المرأة، يفعل معها كل شيء يحب الشخص أن يفعله، لكنه لا يريد الاعتراف الرسمي بالحب ولا يرغب في دخول علاقة.. ليقول «عاصي» بنبرة استخفاف:

-معلقها يعني...

لتومئ برأسها إيجابًا توافقه، ثم قالت إن هناك علاقة «friends with benfits».. أصدقاء لا يحبون بعضهم بعضًا لكنهم يتبادلون منافع جنسية لبعضهم بعضًا.. وذكرت له عن حب دون زواج.. وعن العلاقة المفتوحة.. اثنان مرتبطان لكن غير ملتزمين بقيود العلاقة.. وهو يسمع ببلاهة طفل.. حتى انتهت بالـ«one night stand» التي قالتها تختم بها تعليمه.. فيبتسم هو ساخرًا.. لتقول هي مازحة:

-حسّاك معترض!

قال بسخرية، وقد شعر لأول مرة بأنه كبر في السن حقًّا:

-أنا حاسس إنك بتحكيلي فيلم أجنبي رخيص.. وبتقوليلي ده بقى واقعنا.. إحنا مش كده.. ولو بقينا كده فدي كارثة!

همّت بأن تعترض لكنه قال وهو يشيح بيده:

-ناقص تقوليلي إن فيه gays و lesbians عادي في المدارس!

ابتسمت في إحراج وتنحنحت، لينظر لها مستنكرًا، فقالت رافعةً أربع أصابع:

-كان عندنا في الـig فيه 3 gays و 1 lesbian...

ثم هزت كتفها وقالت:

-إنتم مش كده.. بس إحنا كده وبقينا كده.. عشان عينينا فتحت على كل حاجة بدري قوي.

نظر لها غير مصدق، شعر بأنها مفصولة عن واقعهم بشكلٍ ما، شعر

بأنه يتحدث مع فئة أخرى منعزلة عن الفئات المتوسطة التي ينتمي لها، قال وهو يسير:

-واحد صاحبي كان قال إفّيه كده، إنت من Egypt مش من مصر بتاعتنا صح؟

تأبطت ذراعه في حركة تلقائية وهي تضحك، وتقول:

-لأ.. مش بقول على الطعمية green burger لسه.. إنت اللي مش فاهم إننا كلنا بقينا كده!

هز رأسه في حالة إنكار، هو لا يريد أن يصدق، طوال عمره هو و«ياسين» و«إسلام» و«يسرا» و«أمل» و«سارة» ينتمون إلى تلك الطبقة العظمى من المجتمع...

الطبقة التي تعيش حياة مريحة لكن لا تستطيع امتلاك شيء على الإطلاق، يذهب إلى عمله ويعود ليجلس في بيت أحد أصدقائه، أو المقهى البلدي الذي يضمهم ويحتويهم.. الحياة العادية.. بلا أدنى مبالغات.

ما تخبره به تلك الفتاة أن الجيل القادم منهم، من الطبقة التي ينتمي لها، سيكون الطبيعي في حياتهم هو قمة المبالغات في حياته حاليًا.

-إيييييييه...

صاح بها وهي تلوح بيدها أمام وجهه، ليفيق من شروده وينظر لها، فقالت بابتسامة:

-إنت ماسمعتنيش؟

نظر لها غير فاهم، فقالت وهي توقفه عن السير:

-كنت بقولك إنك عاجبني.

نظر لها بعدم فهم، فاقتربت منه واحتضنته، شعر بدفء جسدها فاحتواها بذراعيه في عدم فهم، ليجدها تهمس في أذنه برقة، وأنفاسها الدافئة تلمس أذنه ورقبته:

-إيه رأيك تبقى my one night stand ... أنا عمري ما كنت مع واحد تلاتيني قبل كده.

كل شيء في روحه كان يريد أن يدفعها وينهرها على ما تقول.

لكن جسده استسلم تمامًا لذلك الدفء، وضمها بذراعيه أكثر.

في تناقض لن يفهمه إلا «عاصي» بكل ما يحمله من مشاعر...

***

عندما مرت «ريم» راكضة جانب «إسلام» و«أمل» ورمقتهما، شعرت «أمل» بتهديد مفاجئ فقالت لـ«إسلام» باكية:

-أنا مش هاقدر أقعد هنا وهو في القاعة جوه.. أنا خايفة.. تعالى نتمشى.

أومأ برأسه إيجابًا وهو ينهض بالفعل، سارا جانب بعضهما بعضًا وخرجا من الفندق...

ساد صمت دقائق طويلة وهما يسيران بلا هدف، ليقطع «إسلام»

الصمت ويسألها:

-بتفكري في إيه؟

قالت وهي تنظر أمامها وتسير كجثة هامدة:

-العيال...!

لم يخطر بباله قط أولادهما.. تلك الكارثة التي ربطت مصائرهم ببعضهم بعضًا، لجيل تعلّم أن ينجب قبل أن يفكر.. دمعت عيناها وقالت:

-أنا روحي فيهم.. ولو هو بيرقدلي بقاله شهر.. يبقى ناوي ياخدهم مني!

تسارعت أنفاسها وهي تتوقف عن السير، أمسكت ذراع «إسلام» وقالت وهي توشك على البكاء:

-هي الصور دي عنده؟ يعني هو مخليهم عنده؟

صمت «إسلام» قليلًا ليتذكر، ثم قال بثقة:

-لأ.. عشان كانوا على موبايلي وهو مسحهم بنفسه.. ومابعتهمش في حتة.

زفرت بقوة للحظات في راحة لم يفهمها، فقال:

-بس كده كده إنت مش بتبعتي حاجة بوشك صح؟

أومأت برأسها أن نعم، ثم قالت وقد عادت جثة هامدة:

-مالهاش علاقة.. لو كنت شفت كنت عرفت إن فيه علامات مميزة.

أكملا سيرهما، قبل أن تتوقف فجأة، واستدارت تجاه القاعة قائلة:

-أنا لازم أنهي الموضوع ده.. لازم أقوله إني عرفت.

أمسك ذراعها موقفًا إياها وقال محذرًا:

-«أمل».. «محمد» من ساعتها فيه حاجة مش مظبوطة!

ابتسمت في مرارة ونظرت له:

-لأ.. هو طول عمره كده.. بس أنا بس اللي كنت بشوف ده.

ودون كلمة أخرى سارا معًا عائدَين إلى القاعة، شعر «إسلام» بحقة ما في سيرها، لم يفهم ما تنتويه، لكنه يعلم أن «محمد إسماعيل» سيعتبره هو الخائن الذي أفشى السر، لذا استعد لمعركة يعلم أنها ستحدث لا محالة.

لاحظ قبل دخول القاعة أن هناك جلبة ما أمام الفندق لكنه لم يبالِ، سارا إلى القاعة ودخلاها، ليجداها فارغة تمامًا...

نظرا إلى بعضهما بعضًا في حيرة، سألت «أمل» أحد العاملين هناك بصوتٍ رن صداه في القاعة الخالية:

-هو إيه اللي حصل؟ فين الناس؟!

قال العامل وهو يهرش رأسه بلا مبالاة:

-بيقولوا العريس بينتحر في الفندق.

ضربت «أمل» صدرها للمرة الألف في تلك الليلة، ونظرت إلى «إسلام» الذي فهم سبب تلك الجلبة أمام الفندق.

ودون كلمة انطلق راكضًا، خلفه «أمل»، تجاه الفندق...

***

نظر «علي» إلى تجمُّع العائلتين تحته، كان يراهم لكن لم يميز فيهم أحدًا من تلك المسافة، عرف رأس والده الأصلع ورداء أمه بحجابها.

ميّز في البداية أخته «ريم»، عندما صاح ببلاهة يناديها، ليجدها تنظر له وتصرخ ثم تركض إلى القاعة، فأدرك أنه ما كان يجب أن يفعل ذلك.

لقد جذب الأنظار له دون داعٍ...

رأى حشود الناس في الأسفل، منهم فضوليون اجتمعوا بسبب ذلك الأحمق -»علي»- الذي قرر أن يشعر بالحرية ولو لدقائق بسيطة...

قال بصوتٍ غاضب:

-هم ليه متجمعين تحت كده؟!

ثم صرخ بأعلى صوته:

-امشوا من هنا مش عاوز حد تحت.. عاوز أبقى لوحدي!

كانت «يسرا» متخشبة منذ أن انفعل عليها.. لكنها قالت متضرعة:

-يا «علي» عشان خاطري...

سمعها «علي» لكنه تجاهل كلامها، صاح بأعلى صوته:

-كلكم ولاد كلب.. بتمثلوا إني فارق معاكم.. بس إنتم جايين تتفرجوا على العريس اللي اتجنن بعد ما مراته سابته!

وصرخ وهو يميل إلى الأمام لتشهق «يسرا» ويشهق معها كل مَن يقف بالأسفل:

-أنا أعقل واحد فيكم.. أنا مش مجنووووون...

كان لا يدري هل كل ما يفعله من تأثير الحشيش بعقله، أم أنه قرر ألا يتظاهر بشيء بعد الآن، فظهرت شخصية دفنها كثيرًا!

سمعت «يسرا» طرقات عنيفة على الباب، همّت بأن تذهب لكن التفت لها «علي» وصاح فيها:

-ماتفتحيش الباب...

تجمدت «يسرا» مكانها، ليسمعا صوتًا غاضبًا يأتي من خلف الباب:

-يا فندم إحنا أمن الفندق.. من فضلك افتح وإلا فتحنا بالمفتاح بتاعنا.

قال «علي» بصوتٍ عالٍ كي يسمعه الجميع:

-قوليلهم لو حد دخل أقسم بالله هارمي نفسي!

ونظر إلى الخارج وصاح بأعلى ما في صوته:

-سيبوني في حالي.. عاوز أبقى لوحدي من غير ما أشيل هم حد!

نظرت «يسرا» إلى «علي» الذي يتأرجح جيئةً وذهابًا، الموقف يخرج عن السيطرة تمامًا، نظرت إلى الباب بخوف، كل ما في عقلها أننا لسنا في بلد أجنبي، عندما يهدد أحد بالانتحار تأتي فرقة صاعقة متخفية وينقذونه بطرق احترافية.. نحن في مصر؛ العند سيد الموقف.. سيفتحون الباب ويركضون عليه ليجذبوه من قفاه

ويصفعوه لأنه فكر أن يقتل نفسه!

لذا خفق قلبها وهي تراقب الباب، تخشى أن يُفتَح، صاحت فجأة:

-أنا معاه جوه.. ماحدش يفتح الباب!

سمعت همهمات خلف الباب، وصاح شخص من الواضح أنه مدير الأمن في الفندق:

-يا فندم ده فندق محترم ماينفعش يحصل فيه الكلام ده.. يعني إيه عاوز يرمي نفسه؟! إحنا عيال صغيرة؟! مش أول ولا آخر واحد مراته خانته يعني!

شعرت «يسرا» بأنها تريد أن تفتح الباب فقط لتصفعه على وجهه من غبائه، صاح «علي» كما توقعت هي:

أنا راجل «***».. أنا عاوزها وهي خاينة.. هاتولي مراتي يا ولاد الكلب!

تعجبت «يسرا» من طلبه، لا تعلم أن «علي» أيضًا تعجب من الطلب، لكن لسانه سبقه وقالها دون أن يفهم ما يقوله، نظر إلى التجمع في الأسفل وصاح ثانيةً:

-مش عاوز حد تحت...

لتدرك «يسرا» أنها عاجزة تمامًا...

***

نظرت «ريم» إلى أخيها في جزع...

تجمع ما تبقى من العائلتين أسفل شرفة «علي» في الدور السابع، خرّت الأم وجلست على الأرض وهي تبكي، نظر «عبد الوهاب» إلى أعلى في جمود، أخذ المأذون يبسمل ويحوقل بصوتٍ عالٍ، حالة من الخوف سيطرت على الموقف وجميعهم يرون خطورة وقفته على الشرفة.

كانوا يسمعون صراخه الذي يصلهم ضعيفًا، لكنهم يسمعونه.

فجأة وجدت «محمد إسماعيل» يمسكها من كتفها، وهو يقول بصيغة آمرة:

-قولي لكل شباب عيلتك يجيبوا ملايات الفندق من المغسلة ويربطوها، عاوزكم تعملوا ملاية كبيرة.

نظرت له في عدم فهم، قالت بنبرة باكية:

-هتعمل إيه؟

قال بهدوء لكن نبرة حاسمة:

-هاتصرف...

أتت «أمل» خلفها «إسلام» من خلف الجمع يقتحمان الزحام حتى وصلا له، لدهشة «إسلام» وجد «أمل» تحتضن «محمد» وتقول بقلق:

-في إيه يا «محمد»؟ «علي» بيعمل كده ليه؟!

دفعها «محمد» في احتقار وقال بصرامة:

-وقته المحن ده؟!

والتفت إلى «ريم» و«إسلام» و«أمل» التي تلقّت الدّفعة وعادت لتقترب منه ثانيةً كأن شيئًا لم يكن، وقال بلهجته الآمرة:

-اجمعوا الملايات.. إحنا خدنا كورسات نفسية كتير للتعامل مع الموقف ده.. بس احتياطي لو كل حاجة باظت.. عاوزه يقع على حاجة تستحمل وقعته.

ارتجفت «ريم» من كلمته، في حين صاحت «أمل» بتلقائية:

-فال الله ولا فالك!

نظر لها بصرامة، وهمّ بتركهم ليدخل الفندق، فقال «إسلام» بقلق:

-استنى جاي معاك...

ليرمقه «محمد» بنظرة صارمة، ويقول بصوتٍ بارد:

-لأ خليك إنت مع الحريم وهم بيعملوا الملايات.

نظر له «إسلام» نظرة غاضبة، في حين لم يبالِ «محمد» وتركهم واتجه ناحية الفندق في خطوات سريعة...

***

نظرت «سارة» إلى ساعة العربة لتجدها اقتربت من التاسعة والخمس وأربعين دقيقة، نظرت إلى تطبيق الخرائط والمسار الأزرق أمامها. يخبرها التطبيق أن أمامها ثلث ساعة حتى تصل إلى وجهتها.

منذ أن اعترفا بمشاعرهما لبعضهما بعضًا، ورغبتهما في العودة، وضع «ياسين» يده على ظهرها، ومال بجسده ليضع رأسه على

كتفها، لتشعر بتلك الحركة البسيطة أنهما عادا إلى بعضهما بعضًا. قالت هامسة وهي تقود بتركيز:

-إنت مؤمن بالقدر؟

صمت «ياسين» لحظاتٍ يفكر، ثم سأل بهدوء:

-فيه ناس بتقول إن القدر معناه ربنا.. وناس قصدها القدر اللي هو الحاجة المكتوبة علينا.. إنتِ قصدك إيه؟!

قالت بهدوء وبنبرة حانية:

-المكتوب.. أكيد مش قصدي ربنا.

هز رأسه بتفهم، ثم هز كتفه بلا مبالاة استفزتها:

-مؤمن بيه أكيد.

قالت بحيرة حقيقية، لم تشاركها إلا معه طوال فترة علاقتهما، مهما كانت أفكارها سوداء، كانت تحكيها معه دون قيود:

-ليه يبقى مكتوبلي أكتب كتابي إمبارح، وأنا مكتوبلي أهرب النهارده من الفرح؟

رفع رأسه إلى السماء وقال:

-ربنا وحده اللي يعلم.

قالت بضيق لم تستطع أن تخفيه:

-أنا ماكنتش عاوزة أكتب كتابي.. هم اللي أصروا.. «علي» قال عشان فقرة كتب الكتاب في الفرح بتبقى هرجلة.. بس أنا ماكنتش

عاوزة!

وأكملت وهي تعض على شفتيها:

-أهو دلوقتي ماكنش زماني اسمي متجوزة راجل تاني!

ابتسم «ياسين» بسخرية لم ترَها، لكن شعرت بها:

-يعني لو كنت مخطوبة وهربتِ كان عادي؟ الاتنين أوسخ من بعض يا «سارة» مش فارقة.

شعرت بالضيق يثقل صدرها للمرة الثانية، قالت وهي تنظر إلى الطريق المظلم إلا من أعمدة إنارة توفيرية لا تضيء إلا القليل:

-تفتكر إيه اللي بيحصل هناك دلوقتي؟

صمت «ياسين» وقتًا طويلًا، فقالت هي:

-تفتكر مكتوبلهم إيه دلوقتي؟

رد بصوته العميق الذي تحبه:

-عدّى ساعتين إلا ربع.. في مصر الأفراح اللي بيقولوا هتبدأ الساعة تمانية فتبدأ عشرة عادي.. فأعتقد الناس لسه مستنياكي.

وفكر قليلًا وأبعد رأسه عن كتفها، ثم أكمل كأنما يستمتع باللعبة:

-«علي» هيقعد في أوضته يعيط عشان الإيجو بتاعه هينقح عليه.. «أمل» و«محمد إسماعيل» هيروّحوا عشان العيال.. «إسلام» هيفضل قاعد عشان اللي بيحصل ده محتوى حلو لروايته الجاية.. «عاصي» هيقترح يتجوز «ريم» ويستغل الفرح المعمول كده كده.

وقال بسخرية بعد أن ضحكت ضحكة قصيرة:

-«يسرا» هتحاسبك على اليوم اللي جت ترقص فيه مجاملة، إنتِ بعتيها وهي كنسلت فرح ابن رجل أعمال كبير عشانك.. فهتقولك عاوزة فلوسي يا بنت الكلب.

ضحكت «سارة» من براءة خياله، كأنما يتعمد أن يرسم صورة تطمئنها، قالت بابتسامة هادئة:

-أنا عاوزة نجري.. لحد ما نبقى مش فاكرين القدر.

قبّلها في خدها في حركة لم تتوقعها، وقال بنبرة احتوت روحها:

-معاك لآخر الدنيا...

ليخفق قلبها في عشق ظنت أنها نسيته يومًا، لتكتشف أنه لم يقِل ولو لدرجة واحدة...

***

الثاني عشر

9:50 مساءً

«نتلاقى لحد ما نبقى مش قادرين نبعد».

لم يستطع «عاصي» أن يرد على طلب «آية»...

استكان في حضنها قليلًا، ثم أبعدها برفق وهو يبتسم ابتسامة هادئة.. نظرت له بعينيها الساحرتين اللتين تأمران وتعطيانك السيطرة في نفس الوقت.

تعوّد الرفض منذ أن خطب، ليس لأن «ريم» تجبره، بل لأنه يكره الخيانة، ابتسم ابتسامة واسعة قائلًا:

-إحنا بعيد قوي عن بعض في الدماغ.. وأنا مش هاقدر أعمل ده!

رفع عينيه إلى أعلى ليحاول أن يجد طريقة مهذبة يرفض بها، لكن وقعت عيناه على ذلك الشاب الذي يقف في شرفة الدور السابع، يلوح بيده ويصرخ...

وانتفض قلبه...

قال دون إدراك منه:

-أحيه ده «علي»!

التفتت «آية» تجاه ما ينظر له، لتشهق في خوف وتتراجع خطوتين إلى الوراء، قالت وهي تضع يدها على فمها:

-إنت تعرفه؟

قال وهو يتحرك بجسده راكضًا في اتجاه بوابة الاستاد:

-ده العريس...

صاحت «آية» فيه وهي تحث السير وراءه:

-استنى أنا جاية معاك.

لكنه لم يعبأ بها، وانطلق يركض في ذعر لم يشعر به من قبل...

***

ضربت الفكرة عقل «سارة» وهي تقود، فالتفتت إلى «ياسين» الذي ينظر إلى النافذة كعادته في تأمُّل كل شيء حوله، قالت له بقلق مفاجئ:

-هو إحنا هنتجوز؟

رأت رأسه يتراجع إلى الوراء في مفاجأة، كمن لم يتوقع هذا السؤال، التفت لها ببطء وقال بطريقته الحريصة التي تكرهها:

-ليه بتسألي السؤال ده دلوقتي؟

قالت بقلق لا تعلم متى احتل قلبها:

-أنا دلوقتي ست متجوزة.. هتطلق من «علي» لما أرجع.. بس بعدها إيه؟ هنرجع متصاحبين؟ أكيد لأ!

شعرت بسخافة كلامها الواقعي، كانا في حالة من الحرية لم تعِش مثلها من قبل، لماذا يضرب عقلها كل تلك التساؤلات عن العالم الواقعي السخيف ببروده ومنطقيته البلهاء؟!

ألم تكن خائفة منذ ساعة أن يظن «ياسين» أنها هربت معه لأنها تحبه؟ واستنكرت ذلك بشدة؟ كيف الآن تسأله هل يريد أن يتزوجها أم لا؟!

قالت لها «أمل» مرارًا أن هذه هي طبيعة برجها الجوزائي، كل

شيء وتناقضه، لكنها كانت تكره الأبراج طوال عمرها ولا تؤمن بها، لكن ذلك التناقض الغريب داخلها جعلها تتساءل فعلًا هل هي برج الجوزاء أم مجرد مريضة نفسيًا لا بد أن تبحث عن علاج؟!

قال «ياسين» بهدوء ونبرة حاول أن يجعلها مرحة:

-إحنا جوه المود بتاعنا دلوقتي.. نسيب قدام لقدام.

وقال بلهجة خاصة يُذكّرها بلعبتهما:

-إيه رأيك نتلاقى لحد ما نبقى مش عارفين نبعد؟

لم يصبح بالها رائقًا كي تفهم الجملة، شعرت كأن مشاعرها قطار يريد أن يسير على قضبان القلق المهلكة...

نظرت له ولم تعد تعبأ بأنها تقود العربة، تأملت ملامحه التي تفتقدها الآن أكثر من أي شيء في العالم، وقد بدأ صوتها في التحشرج وهي تقاوم انهيارها في البكاء، سالت دموعها والتفتت إلى الطريق ثانية، وهي تكمل:

-يوم ما خالتي رفضتك وإنت سيبتني بعدها نزلت من نظري جدًا.. كنت فاكرة إنك هتحارب أكتر عشاني.. إنك مش هتستغنى عني بسهولة كده.. بس كرامتي خليتني أسكت.. قلت يبقى إنت فعلًا ماتستاهلش.. دُست على قلبي وعلى كل حاجة فيا وقلت هاستحمل.. بعدها بسنتين «علي» اتقدملي وقلت لنفسي الحاجة اللي كل البنات بتقولها لنفسها.. هو بيحبني وهيراعيني وأنا كده كده قلبي مات.. وافقت.. وماقدرتش أعيش بعدها.

التفتت له وقالت:

-دلوقتي لو أنا سبت كل حاجة عشانك.. هتقولي برضهماينفعش أتقدم تاني؟

صمت لحظاتٍ مفكرًا، نظر لها بعينين حزينتين يثقلهما الألم، قال بهدوء:

-إنت عارفة إنه مش هينفع يا «سارة» أروحلهم تاني.. كل حاجة خلصت.. خلينا في دلوقتي أحسن.. ونفكر في الباقي بعدين.

قال الجملة بنفس اللهجة والطريقة التي سمعتها منه قبلًا، عندما حدّثته بعد رفض خالتها وزوج خالتها القاسي له، حدّثته بانهيار، ليرد عليها ذلك الرد الماسخ السخيف، شعرت «سارة» بغضب رهيب وهو يكمل نفس الجملة التي كسرتها مئات المرات من قبل:

-أنا هافضل موجودلك أي وقت تحتاجيني فيه.. بس مش هينفع أبقى موجود بالطريقة اللي إنت عاوزاني بيها!

انهارت دموعها أكثر، لا تعرف هل تلعن عناده أم تسب غباءها!

ضغطت دواسة الوقود أكثر بعصبية الدنيا، ليلتفت هو إلى النافذة كأن شيئًا لم يكن...

***

كرهت «يسرا» ذلك الإحساس بالعجز.. لم يتحدث أمن الفندق خلف الباب ثانية، لكنها تسمع همساتهم.

نظرت إلى الغرفة وشعرت بالاختناق، مرّ قرابة النصف ساعة على هذا الوضع العبثي الذي أصبحا فيه.

نظرت إلى «علي» الذي يدندن لحنًا ما لم تميزه «يسرا»، جسده يقف على السور الرفيع، يستند بنصف جسد فقط إلى درفة الزجاج.

تذكرت «بحر»، كل كلمة قالها.. تذكرت تلك اللحظة التي نامت فيها وهو يخبرها بحنان أنها ملاكه الحارس.. لتستيقظ على رنة هاتفها، وهناك مَن يخبرها أن صاحب هذا الهاتف انتحر!

لماذا يضعها القدر في هذا الموقف اللعين ثانية؟!

صاح فجأة «علي» بصوتٍ عالٍ:

-يسرا..؟

التفتت له بجسدها كله واقتربت خطوتين، لو مدت ذراعها فقط ستستطيع أن تمسك بنطاله، لكن ماذا لو كانت ردة فعله دفاعية ويفقد اتزانه ويسقط؟

قالت بصوت متوتر:

-نعم يا علي؟

قال وهو يتأمل تجمُّع البشر في الأسفل، يراهم يربطون أشياء بيضاء ببعضها بعضًا لم يميزها:

-هي أغنية لون عيونك دي كانت بتاعتهم صح؟

عضت «يسرا» على شفتها السفلى في غيظ، حذرت «سارة» الغبية من أن تضع تلك الأغنية في حفل زفافها، لكن «سارة» أصرت، وهي العروس...

قالت محاولةً لتغيير الموضوع:

-سارة ماهربتش مع ياسين يا علي.. صدقني!

قال بنبرة باردة، فاقدة للحياة، لكن صارمة:

-كانت بتاعتهم؟

الحل السهل هو الكذب، دائمًا هو الحل الأسهل، قالت بنبرة لا مبالية:

-مش فاكرة.. بس ماعتقدش.. كانوا بيحبوا أغنية اسمها «خذني» بتاعة سيمون في مسرحية كارمن.

التفت لها بجانب وجهه، رأت بسمته الساخرة اللامبالية، وقال بنفس النبرة الميتة:

-بقيتِ بتكدبي عليا أهه إنت كمان.. بقيتِ زيهم!

وأكمل بحسرة حقيقية:

-أنا كنت مصدقك.. لما قلتِ إنها ماهربتش معاه صدقتك.. بس أديك بتكدبي أهه!

ونظر لها بحزن مكملًا:

-سارة أول ما اتقدمتلها سمّعتهالي، قالتلي إنها كانت أغنيتهم بس هي طول عمرها نفسها ترقص عليها في فرحها.. فمش مهم هي أغنية مين المهم إنها ترقص عليها.

زادت نبضات «يسرا» داخلها، يا لـ«سارة» اللعينة وصراحتها المطلقة، أكمل وقد دمعت عيناه دمعة بسيطة وهو يكمل:

-يبقى هي هربت معاه وإنت بتكدبي!

يكفي هذا...

يكفي كل هذا...

أقسمت لنفسها إنها لن تسمح لمخلوق تعرفه بأن يشعر بكل هذا الألم وتتركه وحده...

شعرت بغضب يملأ كيانها كله، أخذت منضدة صغيرة في الغرفة، واقتربت هذه المرة بسرعة، وضعت المنضدة ووقفت فوقها، لم يستطع أن يأخذ رد فعل من سرعتها، بطء استيعابه بسبب الحشيش جعله يتلقى المعلومات بشكل أبطأ.

قال بقلق:

-بتعملي إيه؟

أحاطت بجسده من الخلف وقربت جسدها منه، انتفض جسده وفقد توازنه للحظة، لكنها حافظت على اتزانه، معظم جسده في الخارج معتمدًا بذراع واحدة على درفة الزجاج الألوميتال، بكلتا ذراعيها أحاطت به وقالت بصرامة:

-«علي».. أنا مالحقتش بحر قبل كده.. ومش ناوية حد تاني في حياتي يموّت نفسه وأنا موجودة جمبه.

ونظرت له نظرة صارمة، وقالت بجدية شعر بها تخترق قلبه من صدقها:

-أنا مش هاعرف أشدك لورا لإنك أتقل مني بكتير.. بس دلوقتي

ثقلنا واحد.. فقرارك...

وأكملت بقوة:

-قررت تعيش.. سيبني أشدك ورا وماتقاومش.. قررت تموت.. ارمي نفسك لقدام.. بس هاقع معاك.

شعر بذراعيها تكبلان صدره العاري كالفولاذ، سمع شهقات وصراخ مَن بالأسفل...

لتكمل «يسرا» هامسةً في أذنه من الخلف:

-قرارك...

لينظر «علي» حوله ولا يدري ما يفعل...

وتتشبث «يسرا» به أكثر، على ملامحها تصميم مَن لن يتراجع عن قراره أبدًا...

***

توتر الموقف كله عندما رأت «ريم» بالأسفل تلك اليد التي أحاطت صدر «علي»، واختل توازنهما لحظةً قبل أن يعودا للثبات ثانيةً...

صرخت في جميع مَن حولها بصوتٍ عالٍ وهي تبكي:

-افردوا الملاية بسرعة...

بدأ الجمع يتفرق ودائرة الملاءة تتسع. قالت «أمل» جانبها ممسكةً بأطراف الملاءة وهي تنظر إلى أعلى برعب:

-هي يسرا معاه؟

لم تعبأ «ريم» بالرد وهي تنظر إلى الشكل البدائي للملاءة...

بعد أمر «محمد إسماعيل» الصارم لإدارة الفندق، أتوا بملاءات كثيرة بالفعل، ليعكف الشباب كلهم على ربط أطرافها معًا، عندما حدث ما حدث بالأعلى، فردوها لتكتشف «ريم» كم هي ضعيفة.

مجرد مجموعة من الملاءات تم ربط طرفها بملاءة أخرى بربطة ضعيفة، ستتمزق فور وقوع «علي» عليها.

انقبض قلبها وهي تفكر في وقوع «علي» وبدأت تبكي.

تراجع الجمع ليفردوا الملاءة.. ليكتشفوا أنها لا تزيد على ثلاثة أمتار في شكل دائري. قال «إسلام» بقلق:

-دي هتكفي؟

-إيه اللي حصل؟

خفق قلبها وهي تسمع صوت «عاصي» بجانبها، التفتت له بكيانها كله وتركت نفسها تنهار قائلة:

-الحقنا يا «عاصي»...

ألقت نفسها بين ذراعيه، لكنها ظلت ممسكةً بطرف الملاءة كأن حياة «علي» تعتمد عليها، تركها «عاصي» قليلًا بين ذراعيه وهو يتأمل الموقف في حيرة، نظر إلى «إسلام» وقال بصرامة:

-فين «محمد»؟

قبل أن يرد «إسلام» قالت «أمل» بسرعة:

-سابنا وراح مع أمن الفندق.

قالت «آية» متدخلةً فيما لا يعينها وهي تشير إلى الملاءة:

-بس دي مش هتعمل حاجة يا «عاصي»!

توقفت «ريم» عن البكاء واسم «عاصي» يرن في أذنها، تركت كتف «عاصي» والتفّت برأسها لتجد «آية» بفستانها المكشوف تنظر إلى خطيبها، أجاب «عاصي» وهو ينظر إلى الملاءة نظرة حائرة، وقال:

-مافيش غير حل واحد هنعرف بيه...

ربّت بذراعه على كتف «ريم» التي نظرت له غير فاهمة، تركها وابتعد بجسده عدة خطوات، قال لـ«إسلام» بلهجة آمرة:

-إسلام معلش أقَف موطي شوية عاوز أشوف حاجة.

لم يفهم «إسلام» لكنه امتثل لأمر «عاصي» وسند بيده إلى ركبته مُحنيًا ظهره قليلًا، تراجع «عاصي» خطوتين إلى الوراء تتابعه نظراتهم المتسائلة، ليركض فجأة بسرعة ويعتلي كتف «إسلام» بيده، فيزداد علو قفزته، ثم يترك جسده يتجاوز «إسلام» ويقع بثقله كله على الملاءة.

لتتمزق إحدى الملاءات المربوطة ربطةً ضعيفة تحت ثقل جسده، ويقع على الأرض.

سقط الأمل في قلوب الجميع مع سقطته.. نظرت دائرة الشباب التي تمسك أطراف الملاءة إلى بعضهم بعضًا في حيرة...

كان اختبارًا واقعيًا من مسافة لا تزيد على متر من السقوط...

أثبت فشلهم جميعًا.

شعرت «ريم» بإحباط غير طبيعي.

نهض «عاصي» وهو ينفض القماش الذي تكوّم عليه بعد وقوعه، نظر لهم نظرة يائسة، نظر إلى «آية» وقال:

-مش هتعمل حاجة لأ.

أغضبه للحظة أن «آية» كانت تمسك هاتفها تصور ما يحدث، وتصعد بالكاميرا لتصور «علي»، لكن لم يكن الآن وقتًا لهذا.

صرخت «أمل» فجأة وهي تنظر إلى أعلى...

دارت رؤوس الجميع لينظروا إلى أعلى، ليجدوا «محمد إسماعيل» يفتح باب الشرفة الكبير للغرفة المجاورة لغرفة «علي»، يعتلي السور ويجلس عليه...

وينظر إلى «علي» الذي التفت له...

ليدركوا جميعًا أن عبث الموقف لن ينتهي في تلك الليلة أبدًا!

***

عندما صعد «محمد إسماعيل» مع أمن الفندق إلى الغرفة، ترك مدير الأمن يُحدّث «يسرا» من خلال الباب.

كان يخشى أن يتحدث فيسمع «علي» صوته ويخشى غضبه أو يتأثر بأي شكل من الأشكال.

لذا عندما باءت محاولات مدير الأمن بالفشل، اقترب منه وأخذه

من ذراعه وقال له هامسًا:

-فيه حد في الغرف اللي حوالينا؟

قال مدير الأمن بلهجة عملية:

-لا.. هنا جناح العرايس.. والفرح التاني مش حاجزين ليلة هنا.

ابتسم «إسماعيل» في هدوء وقال بلهجة آمرة:

-افتحولي الأوضة اللي جمبه.. أنا هاتصرف.. ومش عاوز حد يخش معايا.

أطرق مدير الأمن مفكرًا، ثم أشار إلى فرد أمن كان معهما، ليُخرِج المفتاح العام للغرف، واتجه إلى الغرفة المجاورة ومرّر الكارت بها، لتفتح الغرفة الخالية.

دلفها «محمد» وأغلق الباب خلفه، ذهب مباشرةً إلى الشرفة الزجاجية التي تحتل الحائط بأكمله، فتح الستارة، ثم فتح الدرفة المجاورة للحائط الملتصق بغرفة «علي».

أخرج رأسه ليجد جسد «علي» الواقف على السور بقدمه ويُخرِج جسده إلى درجة خطرة جدًا.

أدرك «محمد» أنه لن يستطيع أن يُحدِّث «علي» وجسده داخل الغرفة، نظر إلى الأسفل ليجد تجمُّع الأهل والفضوليين في الأسفل.. المنظر مخيف بالفعل...

ذهب بسرعة وجذب المنضدة الصغيرة وألصقها بالسور، أخذ نفسًا عميقًا وصعد بجسده وهو يمسك بالزجاج جيدًا، أخرج قدميه وأراح

مؤخرته على المنضدة.

ضرب الهواء البارد صدره وسمع صدى صرخة زوجته لكنه لم يبالِ، نظر جانبه إلى اليسار حتى لا يرى مَن هم بالأسفل.

لتستقبله نظرة «علي» المذعورة، وهو يسأله:

-إنت بتعمل إيه؟!

وأكمل بغضب:

-إنتوا كلكوا قررتوا تنتحروا معايا فجأة؟!

وصرخ:

-سيبوني في حالي!

لاحظ «محمد» ذراع «يسرا» التي تحيطه، لمح جسدها الملتصق به من الخلف.

يا لجرأة تلك الفتاة!

لاحظ عينَي «علي» الحمراوين كالدم، والتقط أنفه تلك الرائحة المميزة، نظر إلى «علي» باستنكار وقال:

-إنت محشش؟

صاح «علي» بانزعاج:

-مالكش فيه!

لتصيح «يسرا» بصوتٍ عالٍ وهي تحيط جسده:

-آه.. شرب جوبين.

أدرك «محمد» أن الوضع أسوأ مما توقع، في عقله «علي» كان حبيبًا مجروحًا يحاول الانتحار، الآن هو حبيب مجروح يلعب الحشيش بعقله... ارتجفت قدما «محمد» وهو يشعر بالجاذبية تثقل حذاءه فجأة، لا يدرك مَن بالأسفل كم يبدو المنظر مرعبًا من أعلى، أن يستمر «علي» واقفًا كل تلك الفترة دون خوف، معناه أنه لم يعد يبالي بشيء بالفعل.

أخذ «محمد» نفسًا عميقًا، ثم ابتسم ولوّح بذراع واحدة، لأن الأخرى تسند جسده خلف الزجاج:

-أنا لاقيتك مش سامعني تحت قلت أطلع أكلمك فوق شوية.

ثم نظر حوله وقال بابتسامة مرحة، يتحدث ببساطة كأنه يجلس على مقهى، وليس على ارتفاع سبعة طوابق:

-بس المنظر حلو فعلًا.. فهمت ليه إنت واقف كده.

تعجب «علي» من تلك الطريقة البسيطة في الكلام، ليلتفت له «محمد» ويقول بابتسامة طيبة:

-أنا عارف صاحبي.. أنا وإنت قرّبنا من بعض قوي عشان سن بعض.. وكنا مستنضفين بعض وسط الشلة الوسخة دي.

ضحك بعد أن سبّ الشلة، لينظر له «علي» متسائلًا، فيبتسم «محمد» ويكمل:

-أنا عارف إنك مش عاوز تنتحر.. وعارف إن اللي شربته مخلي

الموضوع سهل حبتين.. بس أنا عارف دماغك يا «علي».

شعر «علي» بأن نبرته الطيبة تخترق روحه وتوقظ شخصًا داخله كان قد نسيه، بدا صوت «محمد» واثقًا وهو ينظر له قائلًا بابتسامة حانية:

-وعارف إنك مسامح «سارة» من جواك.

وابتسم وهو ينظر إلى صديقه نظرة امتنان ويقول:

-ده إنت اللي بتقنعني أسامح «أمل» بعد ما شُفتها بتخونّي بعيني.. وأنا براجع نفسي من ساعتها عشان بثق في دماغك.

ارتجف جسد «يسرا» وهي تسمع تلك المعلومة لأول مرة؛ «محمد» يعلم بخيانة «أمل»؟!

أكمل «محمد» وهو يشير إلى البشر المتجمعين بالأسفل وقال:

-أنا عارف إنك عاوز تغمض عينيك وتفتحهم تلاقي كل ده اختفى.. صح؟

أومأ «علي» برأسه أن نعم، ودموعه تظهر في عينيه، فقال «محمد» بهدوء:

-انزل مع «يسرا».. ووعد مني كل ده هيخلص.. مش هاخلي حد يخشلك الأوضة غيري أنا و«يسرا».. وأنا اتأكدت بنفسي إن «سارة» هترجع.. ولما هترجع...

اتسعت ابتسامته الطيبة وهو يكمل:

-هانسيبكم تتكلموا مع بعض، وقرارك إنت في النهاية ماحدش

هيتدخل فيه.

وأشار إلى الناس في الأسفل، أمام عينَي «علي» اللتين تسمعانه باهتمام:

-بس عشان خاطر أهلك.. وعشان خاطر كل الناس اللي بتحبك...

وأشار إلى نفسه مكملًا:

-وعشان خاطر صاحبك اللي بيحق في دماغك.. ماتعملش كده فينا إحنا...

وابتسم وهناك دمعة تظهر في عينه:

-يا صاحبي إنت غالي عندنا قوي.

دمعت عينا «علي» في تأثر، ولم يعلم بدموع «يسرا» أيضًا في ظهره من كلام «محمد».

أومأ «علي» برأسه موافقًا في طيبة كطفلٍ أدرك خطأه. ابتسم «محمد» في أمل، وصاح بصوتٍ عالٍ كي تسمعه «يسرا»:

-سيبيه يا «يسرا» وشديه معاك.. هو إداني كلمة خلاص.

تنفست «يسرا» الصعداء وارتجاف جسدها يهدأ، أعادت ثقل جسدها وارتكازه لقدميها على المنضدة، تراجعت خطوتين إلى الوراء وهي تتشبث بذراعه بيد، وباليد الأخرى تمسك طرف بنطاله.

شعر «علي» بالاطمئنان من وعد «محمد» له.. يعلم جيدًا كم يقدس «محمد» وعوده.. السبب الوحيد الذي جعله لا يطلق زوجة خائنة هو وعده لـ«علي» ألا يفعل ذلك.. وأن يعطيها فرصة أن تتوب وتعترف

له وحدها.

شعر بابتعاد جسد «يسرا» عنه، نظر إلى «محمد» نظرة متشككة، ليطمئنه «محمد» بابتسامة واثقة طيبة، ابتسم «علي» له ودار بجسده كي يعود إلى الغرفة ثانيةً.

لكنه لم يكن يدرك بأبعاد عقله المُغيّب شمك السور الرفيع، فأخطأ تقدير وضع قدمه وهو يستدير.. ليشعر فجأةً بعدم اتزانٍ مفاجئ...

رأى عينَي «يسرا» المذعورتين وهي تنتفض وتتشبث بذراعه التي فلتت منها وهو يُلوِّح بيده.. وشعر بجسده يهوي...

دون أي شيءٍ يمنعه...

***



الثالث عشر

10:00 مساءً

«نتخانق لحد ما نبقى مش فاكرين زعل».

شيءٌ ما خطأ...

شعرت «سارة» بانقباض قلبها، نظرت إلى الساعة لتجدها العاشرة.. مرّت ساعتان منذ أن تركت الزفاف.

لكنها فجأة شعرت بانقباض روحها، لم تعرف سببه، ففسرته بسبب آخر حوار دار بينها وبين «ياسين» الذي صمت تمامًا بعد آخر جملة قالها...

بدأت تشعر بالندم...

بدأ عقلها يمارس تلك الخدعة القذرة.. أن يجعلها تتذكر كل مشكلات علاقتهما معًا...

بدأت تتذكر كم كان عنيدًا، بطيئًا، سلبيًا!

كلما تناقشا في شيء كان يصر على أن قواعده وقوانينه هي الأصلح، عندما يفكر في قرار كان يأخذ وقتًا أطول من الحياة كي يأخذه، ولم يكن يستطيع أن يواجه، بل كان يؤجل كل شيء حتى يحل نفسه بنفسه.

رغم حنانه، وفهمه لها ولكل تفاصيلها، فإنها كانت تكره تلك الصفات فيه كراهية عمياء.

لذا عندما قال ما قال الآن، شعرت للمرة الألف بأنه يريد أن يتركها كالمعتاد.. وشعرت بالندم لقلبها الذي راهن عليه بكل ما يملك.

فجأة أتت في عقلها خاطرة، شعرت بسببها بموجة من الغضب تعتريها، فالتفتت له وقالت بحدة:

-ثانية واحدة.. إنت مش مصدق إني مش راجعة صح؟

لم يرُد عليها وظل ينظر أمامه إلى الطريق، قالت فجأة وهي تضحك ساخرة، مدركةً كل شيء مرة واحدة:

-إنت كل ده واخدني على قد عقلي.. بتسايسني... عارف إني مجنونة، ومستنيني أعقل وأقولك عاوزة أرجع.. صح؟

صمت لحظاتٍ طويلة...

ودون كلمة أومأ برأسه ببطء أن نعم.

شعرت بخيطٍ من النيران يخترق قلبها، كأنه تلقّى رصاصة قاتلة، نظرت له نظرة مستنكرة، ليقول هو دون أن ينظر لها:

-«سارة».. إنت دلوقتي ست متجوزة.. وجوزك مستنيك.

صرخت دون أن تستطيع أن تتحكم في نفسها:

-اسكت.. اسكت!

لكنه أكمل دون أن يبالي بصرختها:

-لما لاقيتك بتجريلي من القاعة، عرفت إنك في حالة ماينفعش معاها عقل.. وأنا واعدك من زمان إني في ضهرك مهما حصل.

وابتسم ابتسامة حانية وهو يقول:

-قلت إيه المشكلة إننا نسرق من الزمن شوية وقت.. أطمنك فيهم لحد ما تعرفي ترجعيله!

ثم نظر لها نظرة حزينة وهو يكمل:

-عشان أنا وإنت عارفين إن الصح والأصول إنك ترجعي.

ارتجفت شفتاها رغمًا عنها، بكت كثيرًا في تلك الليلة إلى درجة ظنت فيها أن دموعها قد جفت، لم تعد تستطيع البكاء...

قالت هامسةً بنبرة رجاء كرهتها في صوتها:

-بس أنا مش عاوزة أرجع.. عاوزة أفضل معاك.

وضربت صدرها بقبضتها وهي تكمل:

-أنا من حقي أختار.. ليه ماحدش فيكم سايبني أختار!

قال ببرود قتل روحها:

-ما إنت اخترتِ «علي» يا «سارة».. ماحدش ضربك على إيدك!

قالت صائحةً كي تخترق حوائط عناده الصلبة:

-ودلوقتي بختارك إنت!

وبانفعال أمسكت هاتفها، أغلقت تطبيق الخرائط الذي أعلن عن اقتراب وصولهما إلى وجهتهما، وفتحت رقم «علي» وهي تكمل:

-مش مصدق؟ أنا هاكلمه بنفسي أقوله إني مش راجعة.

اعتدل «ياسين» في جلسته ونظر لها بحدة وهو يقول:

-«سارة» بلاش جنان.. كفاية اللي عملتيه في الراجل لحد دلوقتي!

صرخت وهي تضغط زر اتصال:

-مالكش دعوة!

ووضعت الهاتف جانبها، ليصدر صوت جرس الاتصال في سماعات العربة...

***

ولو كانت الدقائق تُغير حيوات البشر، فالثواني قد تُغير مصائر العالم أجمع...

رأت «يسرا» جسد «علي» يتأرجح أمامها.

رأت يده تفلت من يدها وهو يلوح بها كي يمنع نفسه من السقوط.

وشعرت بكل شيء يسير بالتصوير البطيء.

إلا هي...

كانت يدها الأخرى ما زالت معلقة بطرف بنطاله، لذا قبضت على البنطال بقوة لا تعرف أنها تملكها، وشعرت بجسدها ينسحب معه إلى أسفل.

لكنها -عكس «علي»- لديها شيء يمنعها من السقوط... السور المعدني المفرغ الذي يشبه قضبان السجن المعدنية في شكله، والذي كان يقف عليه.

تحركت في غريزة للبقاء لم تدرك أنها بداخلها.. اندفعت بسرعة أم يكاد ابنها يموت أمامها.. جذبت نفسها له بقبضتها المحيطة بالبنطال، وقفزت لتمسك قدمه بكل جسدها.. ليهوي جسد «علي» ويجذبها معه.

لكنها رمت بجسدها أمام السور، فارتطم جسدها به وتوقف

اندفاعها.

كما توقف سقوط «علي» الذي دار جسده كله وارتطم بالمبنى في عنف، ورأسه إلى أسفل.

ويفقد الوعي تمامًا...

وتوقف الزمن، و«يسرا» داخل الغرفة جسدها كله ملتصق بقضبان السور، تحيط ساقًا واحدة لـ«علي» بيديها الاثنتين كأنها تحتضنه، في حين تدلى «علي» كجثة هامدة رأسه إلى أسفل ملتصقًا بالسور من الخارج، كل ما يمنعه من السقوط هو ذراعا «يسرا» الخارجتان من بين قضبان السور المعدنية.

خرت «نجوى» على الأرض وصرخت «ريم» و«أمل» بأعلى ما في صوتهما.. وضع «عبد الوهاب» يده على قلبه.

ودون تفكير مالت «يسرا» بجسدها لتجلس على الأرض، وتُمرِّر يدها الحرة بين السور لتحيط بذراعها ساقه وتملكها جيدًا.

صرخت بكل ما فيها وهي تشعر به يفلت من ذراعيها:

-مش هاعرف أمسكه كتير...

سمعت شهقات وصراخ مَن بالأسفل، لتصرخ وثقل جسده يكاد يحطم ذراعيها:

-حد يلحقنا...

وبكت كطفلة صغيرة وهي تصرخ ثانيةً، وكل ذرة في جسدها تؤلمها، تشعر بقضبان السور تكاد تقسمها نصفين استجابةً لثقل

«علي» الذي تشعر بجسده يتزحزح إلى الأسفل ببطء من بين ذراعيها:

-مش هاعرف أمسكه كتير...

سمعت صوت باب الغرفة يُفتَح بعنف...

منذ أن رأى «محمد إسماعيل» ما حدث عاد إلى الغرفة وركض بأقصى سرعته، ليخرج إلى الأمن ويأمرهم صارخًا بأن يفتحوا الباب، ما إن مرّر الرجل الكارت في الباب حتى دفعه «محمد»...

رأى «يسرا» جالسة، جسدها كله ملتصق بالسور حتى وجهها، يداها تخرجان من بين السور، وتضم قدم «علي» على السور بذراعيها.

ركض ناحيتها هو ورجال الأمن جميعًا، وصل لها وهو يدرك أن فتحة الدرفة أصغر من أن يقف جانبها ويستطيع أن يملك «علي»، قال بلهجة آمرة:

-حد يستناه في الدور اللي تحت...

صرخت «يسرا» برعب:

-هيقع مني...

أمسك «محمد» المنضدة التي كانت تقف «يسرا» عليها، ألقاها بكل قوته على زجاج الدرفة الأخرى فانكسرت...

وقف وبكل ثقله مال وأمسك قدم «علي» جانب «يسرا» ليمنع سقوطه، تشارك معه رجلان آخران، فثبت جسد «علي» تمامًا، حاول رجلان آخران أن يمسكاه لكن جسد «يسرا» منعهما، فصاح بها

«محمد»:

-وسّعي يا «يسرا» خلاص إحنا ماسكينه.. سيبي الناس تعرف تمسكه.

لتهز رأسها وهي تبكي بصوتٍ عالٍ:

-لأ.. هيقع مني!

نظر الرجل إلى «محمد» كأنه يستأذنه، فأومأ له «محمد» أن نعم، فأمسك الرجل جسد «يسرا» التي انتفضت في ذعر وتشبثت به أكثر قائلةً بهستيريا:

-بتعملوا إيه إنتم هتموتوه.. هيقع!

جذبها الرجل بقوته، فاضطرت إلى أن تترك قدم «علي» من ألم ذراعها، حملها الرجل وألقاها على الفراش، في حين تدخّل الثاني ووقف مكانها وأمسك قدم «علي» معهم.

وببطء تعاون الرجال الأربعة ليسحبوه ببطء خلفهم صرخات «يسرا» الخائفة...

مرت الدقائق بطيئة، وجسد «علي» يصعد ببطء وحرص.. حتى رفعوا جسده فاقد الوعي... وسقطوا به جميعًا داخل الغرفة.

لم تصدق «يسرا» عينيها وهي تراه راقدًا فوق الرجال الأربعة.

مسح «محمد» عرقه بذراعه وهو مستلقٍ أرضًا.. ثم اعتدل ونهض وهو ينظر إلى جسد صديقه «علي» الذي بدأ يفتح عينيه ويهمس:

-في إيه...

ليضرب جرس هاتف «علي»...

نظرت «يسرا» إلى الهاتف في خوف، ولم تصدق عندما رأت اسم «سارة» جانبه «my wife» يظهر، خلفه صورتها هي و«علي» يحتضنان بعضهما بعضًا...

شعرت بالخوف، وأمسكت الهاتف، نظرت ببطء إلى «علي» الذي ينظر إلى ما حوله بذهول، حمدت الله أنه لم يرَ هاتفه، لكنها لم تستطع أن ترتاح قليلًا، عندما نظرت إلى «محمد» وجدته ينظر إلى الهاتف معها...

ويرتسم غضب الدنيا على وجهه...

***

صفق الجميع في فرحة وعدم تصديق عندما اختفى عن نظرهم جسد «علي»، بعد لحظات من الرعب لم يصدقوا أنهم قد يمرون بها.

التف الجمع حول الأب الباكي يهنئونه، في حين انشغل «عبد الوهاب» بمحاولة إفاقة زوجته التي رقدت جانبها «ريم» و«أمل» و«عاصي» و«إسلام»...

«ريم» كانت تبكي من الفرحة، تضرب وجه أمها ضرباتٍ خفيفة وهي تقول:

-فوقي يا ماما «علي» عايش.

انتفضت الأم بعد سماعها الجملة، اعتدلت وهي تنظر لهم ليتنفسوا الصعداء...

قال «عبد الوهاب» بصرامة:

-أنا طالعله.

ومد يده إلى الأم قائلًا بصرامة:

-يلا يا نجوى...

أمسكت «نجوى» يده واستندت إلى ابنتها «ريم»، تحركوا تجاه الفندق، أشار «عبد الوهاب» إلى الأهل وقال بصرامة:

-شكرًا لوقفتكم جمبنا.. يا ريت ترجعوا القاعة عشان لمتنا هنا مش حلوة.. إحنا هنطلعله عشان نتمّ إجراءات الطلاق.

وأكمل بسخط وصوت خفيض لم يسمعه إلا «نجوى» و«ريم»:

-عشان شغل المراهقين والانتحار والهبل ده مابينفعش معايا يا علي!

نظرت له «ريم» بقلق، نظرت حولها لتجد «أمل» و«عاصي» و«إسلام» وتلك الفتاة التي لا تعرفها يقفون يتحدثون معًا، توقعت أن تتعلق عينا «عاصي» القلقتان بها ويأتي يسألها ما بها، لكنه كان يُحدِّث «إسلام» بتركيز ولم ينظر لها لحظة.

رغبت أن تذهب له وتطلب منه أن يأتي معها، لكنها شعرت بأن الموقف أكبر من كل ما تفكر فيه.. فابتسمت في حزن، وهي تشعر بالوحدة للمرة الألف في تلك الليلة.

وتسير مع أبيها وأمها...

***

-هاتيها أرد عليها.

قالها «محمد» بصرامة، فتشبثت «يسرا» بالهاتف وهي تنظر له، كانت تريد أن تقول أي شيء، لكن تؤلمها حنجرتها، وحالتها النفسية التي تمر بها تجعلها غير قادرة على التفكير السليم.. بل غير قادرة على التفكير في الأساس.

انتهى جرس الهاتف، فتنفست الصعداء. اعتدل «علي»، ورجال الأمن وقفوا جميعًا في منتصف الغرفة، نظر «علي» إلى «محمد» في رجاء، فهم «محمد» نظرته وقال لرجال الأمن بلهجة صارمة:

-يا ريت تتفضلوا بره... وماتسمحوش لحد يخش.

قال مدير الأمن بنبرة اعتراضية:

-بس يا فندم...

صاح «محمد» بنبرة قاطعة، بثت الرعب في جسد مدير الأمن رغم أن «محمد» -في حقيقة الأمر- لا يملك أي سلطة عليه:

-هنتكلم بعدين.. دلوقتي كله يطلع بره.

أومأ مدير أمن الفندق برأسه أن نعم، وأشار إلى رجاله أن يخرجوا معه، ليتحركوا جميعًا ويتركوا «محمد» و«يسرا» و«علي» داخل الغرفة.

قال «محمد» بابتسامة وهو يحتضن «علي»:

-حمد لله على السلامة يا صاحبي.

استسلم «علي» لعناقه بابتسامة مرهَقة، لم يكن يتذكر شيئًا؛ بالنسبة له كل ما حدث أنه شعر بجسده يهوي، ثم أظلمت الدنيا، ليستيقظ ويجد تحته أربعة رجال، في كابوس لا يحلم به أكثر الرجال شذوذًا.

ابتسم للخاطرة التي أتت في عقله، شعر بأنه بدأ يفيق قليلًا من تلك الحالة التي كان فيها، فهمس وهو يربِّت على ظهر «محمد»:

-أنا من غيرك كنت رُحت في داهية!

نظر «محمد» إلى «يسرا» باحترام، وقال وهو يشير لها:

-من غيرها كان زمانًا بنلم عضمك في الشارع.. اشكرها هي.

نظر لها «علي» نظرة امتنان، جعلت وجنتَي «يسرا» تحمران خجلًا، همَّت بأن تقول شيئًا، لكن ضرب جرس هاتف «علي» ثانيةً بين يديها...

بنفس تلك الرنة المميزة...

خفق قلب «علي» وهو يقترب من «يسرا» مادًّا يده:

-دي سارة.. هاتي التليفون.

اكفهر وجه «محمد» وهو ينظر غاضبًا إلى «يسرا» ويشير برأسه ألا تفعل، ابتسمت «يسرا» وقالت:

-مش وقته يا «علي» إنت في إيه ولا في إيه؟!

اقترب منها أكثر بعدم فهم وقال بلهفة:

-يا بنتي هاتي التليفون.. هي عاملة خاصية إن لو حد كلمها هيلاقيه مقفول.. هي اللي تتكلم بس.. لو قفلت مش هنعرف نوصلها.

ونظر لهما بحيرة قائلًا:

-في إيه أنا مش فاهم.. مش إنتوا قلتوا إنها مش مع ياسين؟!

ابتلعت «يسرا» ريقها، نظرت إلى «محمد» بعجز، ثم أعطت الهاتف لـ«علي»، الذي ما إن رأى صورتهما حتى ابتسم بلهفة.

استقبل المكالمة وسار مبتعدًا عنهما قليلًا، سمع صوت الطريق واضحًا، هي ما زالت في السيارة، قال في حنان:

-ألو.. إنت فين يا سارة؟

ساد صمت للحظاتٍ، قبل أن يسمع صوتها الباكي يقول:

-إزيك يا علي.. فيه حاجة عاوزة أقولهالك.. بس ماتزعلش مني.

لينقبض قلبه بعد ثوانٍ من الراحة المزيفة...

***

الرابع عشر

10:10 مساءً

«نبالغ لحد ما نبقى مش راضيين بأي حل وسط».

تحولت ساعة العربة الرقمية من العاشرة وتسع دقائق إلى العاشرة وعشر دقائق، و«سارة» تنظر إلى عينَي «ياسين» الذي ينظر لها بغضب، ويدوي صوت «علي» في سماعات العربة، يقول بلهفة:

-عاوزة تقوليلي إيه يا «سارة».. ماتخافيش.. أنا ممكن أسمع منك أي حاجة.

أومأ لها «ياسين» بألا تقول شيئًا، ارتجفت شفتاها وهي تسمع صوته الذي كان على عكس توقعاتها تمامًا...

كانت تتوقع «علي» الذي اعتادته.. غاضبًا.. يلوم بتلك الطريقة الأبوية التي تكرهها.. توقعت أن ينفجر فيها أو يمارس الصمت العقابي، لكنه كان يتحدث بلهفة وحنان صادق.

في غرفته في الفندق وقف «علي» يمسك هاتفه ويقربه من أذنه.. ينظر إلى الزجاج المكسور للشرفة.. دليل أن هناك مَن أنقذه منذ ثوانٍ من موت محتوم.. نظر إلى عينَي «محمد» الغاضبتين وعينَي «يسرا» الخائفتين وهما يتابعانه، قال وهو يعطيهما ظهره في حركة لا إرادية، يريد أن يسمع صوت «سارة» ثانية، فقال بلهفة:

-أنا آسف على كل اللي حصل مني قبل كده.. أنا كنت بضغط جامد.. كنت عاوز أغيرك وأنا نفسي مش عارف ليه!

وأكمل بحنان وهو يقترب من الشرفة:

-أنا ماكنتش الراجل اللي وعدتك إني أبقاه...

ظلت «سارة» في العربة تنظر إلى عينَي «ياسين» والطريق، تسمع صوته ولا تستطيع أن تتحدث، شعرت بالذنب يثقل روحها ويكمم

شفتيها عن الحديث، لكنها شعرت بضرورة أن تقول له كل شيء، كسرت القيود التي تكبل روحها وصاحت فجأة:

-«علي».. اسمعني...

وانتزعت عينيها من عينَي «ياسين» الذي بدأ يحرك يده رافضًا، نظرت إلى الطريق أمامها وقالت بهدوء:

-أنا مش عاوزة أبقى مراتك.. أنا مش هاقدر أكمل...

شعر «علي» بأن هناك مَن انتزع روحه من جسده، تسمّر جسده وهو يقف عند سور الشرفة، تحركت «يسرا» بقلق لتتجه له، لكن يد «محمد إسماعيل» أوقفتها، نظرت له متسائلة، فقال بيقين وهو ينظر إلى «علي»:

-مش هيعملها تاني...

نظر «محمد» لها لحظةً، قال بحسم:

-أنا هاطلع بره عشان لو أهل علي طلعوا...

ثم قال بحسرة:

-هاحاول أمنعهم عشان وعدت «علي».. دي خناقة تانية دي.

وأشار إلى «علي» الذي صمت تمامًا:

-خليك معاه.. ماتسيبهوش لحظة.. وأنا هابعدهم.

عدل من سترته كأنما يجهز للمعركة، واتجه إلى باب الغرفة وخرج منها، ليخرج «علي» من صمته ويقول بنبرة جامدة:

-بس «يسرا» أكدتلي إنك راجعة!

ارتعش جسد «سارة» وهي تتذكر لأول مرة «يسرا».. «يسرا» التي تعلم بكل شيء.. بل إنها هي مَن أجبرتها أن تستمر في تلك التمثيلية التي لم تستطع أن تحتمل تمثليها أكثر من ذلك.

قالت بصوتٍ مرتعش، وهي لا تضمن ردة فعله:

-هي ماغلطتش.. أنا هارجع.. ماتمشيش.

نظر «علي» حوله في حيرة، لم يعد يفهم شيئًا، قبل أن يرد عليها، قالت «سارة» بصوتٍ مرتجف من ثقل الجملة، التي لم تتخيل أنها ستقولها في عمر التاسعة والعشرين قط:

-أنا هارجع عشان تطلقني.

أغمض «علي» عينيه في ألم، هز «ياسين» رأسه بمعنى فقدان الأمل جانبها، لتكمل هي أمام صمت «علي»:

-أنا هاخلص مشوار كان لازم أعمله.. وهاجي كمان نص ساعة.. ساعة إلا ربع.. عشان نتمّم إجراءات الطلاق.

سالت دمعة من عين «علي»، لم يصدق أنه يسمع ذلك الكلام ممن عشقها وبنى مستقبلًا كاملًا في خياله معها، قال فجأة سؤالًا ندم بعد قوله:

-إنت مع «ياسين» دلوقتي صح؟

نظرت «يسرا» إلى «علي» بقلق وتركيز عندما سأل السؤال، سارت تجاهه علّها تسمع رد «سارة».

في العربة نظر «ياسين» إلى «سارة» تلك المرة بتهديد، أشار لها أن تقول لا بحدة، نظرت له دامعة العينين، ونظرت إلى الطريق بثبات، ثم قالت:

-آه...

توقف قلب «علي» عن الدق لثانية، في حين ضرب «ياسين» ساقه في عصبية، مستنكرًا ما تقول، راقبته «سارة» وابتسمت في حنين كمن ينظر إلى طفل، ثم نظرت «سارة» إلى الطريق وأكملت بنفس الثقة:

-ومش عاوزة أكون غير معاه.

لم تكن «يسرا» تحتاج إلى أن تسمع رد «سارة»، تهدلت كتفا «علي» وسالت دموعه أكثر، أغمض عينيه، وقال بصوت قوي شعرت «يسرا» بالإعجاب لأنه لا يُظهِر فيه أي قدر من الضعف أو اللين، عكس ما يشعر تمامًا:

-تمام يا «سارة».. ومافيش راجل يقبل إنه يسمع كلامك ده ويكمل!

وقال بحسم وهو يعدل قامته ويرفع رأسه:

-هاستناك عشان نطلق.. مش هاطلق غيابي.. المأذون كده كده هنا.. وأنا هابلغهم إن دي رغبتك.

ودون أن ينتظر ردًا، أغلق المكالمة ووقف ثابتًا.. ينظر إلى اللاشيء...

اقتربت «يسرا» بحرص، لكن جسدها انتفض بقوة عندما صرخ

«علي» فجأة، وألقى بالهاتف من الشرفة...

ليطير الهاتف ويسقط من على ارتفاع سبعة طوابق.. ويتهشم على الأرض جانب قدم «عاصي» و«آية» و«إسلام» تمامًا.

قالت «يسرا» بصوتٍ مرتجف:

-أنا مش هاخبي عليك أكتر من كده.. أنا هاقولك كل حاجة...

نظر لها «علي» نظرة غير فاهمة، فقالت «يسرا» وجسدها كله يرتجف:

-إنت عارف إن أبو «سارة» مات صح؟ وهي راحتله بس مالحقتوش.. هي حكيتلك صح؟

نظر لها «علي» في عدم فهم، داخله مشاعر متناقضة، ما علاقة ما قالته «سارة» بما تريد أن تحكيه «يسرا» الآن؟!

دمعت عينا «يسرا» وانطلقت تحكي كل شيء...

***

خرج «محمد إسماعيل» من الباب، ليجد «عبد الوهاب» و«نجوى» و«ريم» و«أمل» يسيرون بسرعة تجاهه من آخر الممر...

همس إلى رجال الأمن حوله:

-ماتخلوش حد يخش.. بس ماتقلوش أدبكم على حد.

أومأوا برؤوسهم أن نعم في هدوء، رمق «أمل» زوجته بنظرة مشمئزة، كلما يراها يشعر بأنه يريد أن يصفعها كي تفيق، وكلما

صفعها بالفعل لا تهتدي، بل تظل غارقة في ظلامها كأنها عشقته.

نظرت له «أمل» وقد اعتادت تلك النظرة منه، لكنها الآن تعرف سببها، شعرت بقلبها يرتجف مع كل خطوة من اقترابها، لكنها -ولا تدري لماذا- لم تعد تشعر بالخوف!

شعرت بأنه كان يخدعها طوال تلك الفترة، فلماذا لا تستمر في لعب دور الجاهلة حتى تعرف كل ما يخطط له.. في مكر لم تعرف أنه داخلها إلا الآن.

كم تكره برجها اللعين!

ما إن اقتربت حتى فعلت ما هو متوقع منها أن تفعله، اقتربت منه وضمته لها وقالت بنبرة خائفة:

-إنت بطل.. بس كنت مرعوبة عليك.. إوعى تعمل فيا كده تاني.

ربّت على كتفها ولم يزد عليها، جذبته «نجوى» دون كلمة وهي تبكي، ابتسم «محمد» في حنان، رأى دموع «ريم» وعينيها اللتين تشكرانه فابتسم لها، قالت «نجوى»:

-ربنا يحميك يا حبيبي ويخليك لعيالك ولصحابك سند وضهر ليهم دايمًا.

ترك عناقها، «نجوى» والدة «علي» و«ريم»، المرأة الستينية التي كانت بمثابة أمٍّ لكل الشلة، وأكلوا من يدها الكثير من أشهى المأكولات، تعاملهم جميعًا كـ«علي» ابنها دون تفريق، ابتسم لها وقال:

-ربنا يخليك لينا يا أمي.

ظل «عبد الوهاب» واقفًا، ينظر بملامحه المتزنة، اعتدل «محمد» وهو ينظر إلى «عبد الوهاب» الذي وقف أمامه ونظر له نظرة احترام وامتنان:

-أنا عمري ما هنسالك الجميلة دي يا «محمد».. إنت أنقذت ابني من نفسه.

نظر له «محمد» نظرة تقدير، وقال بنبرة هادئة:

-لولا «يسرا» ماكنتش عمري هالحقه.. «يسرا» هي اللي لحقته.

وبلومٍ خفيف ربّت على كتف «عبد الوهاب» وقال:

-فايدة الرقص بقى.. الرقاصة طلع عندها عضلات تستحمل تشيل ابنك.

بدا على وجه «عبد الوهاب» الضيق، احتضن «محمد» الذي قبّل كتف «عبد الوهاب» في تقدير، قال «عبد الوهاب» بهدوء:

-هاشكرها لما أدخلّها.. مع إني عمري ما هاشوف اللي اختارت تعمله في حياتها ده صح.. ولا هاشوفها زي الأفلام بقى رقاصة ونضيفة وكده!

وقال وهو ينظر إلى عينَي «محمد» بعد انتهاء العناق السريع:

-اللي ترخص نفسها ماتزعلش لما الناس تشوفها رخيصة.. «يسرا» دي واحدة منكم.. وكانت زي بنتي.. بس عمري ما هارضى على اللي بتعمله، عاوز بقى تشوفني رجعي ومتخلف.. معلش يا سيدي.. قريب هنسيبلكم الدنيا بدماغكم الملعوب فيها دي.. لحد ما ربنا هو اللي

يحسم مين فينا صح.

أومأ «محمد» برأسه متفهمًا، لم يستطع أن يأمل فيما هو أكثر من الشكر، قال بعد نحنحة محرجة:

-معاك يا عمي في كل حاجة قلتها.. إلا حاجة واحدة بس...

ونظر لهم وهو يتوقع الكارثة في رد فعلهم:

-أنا وعدت «علي» إن ماحدش هيدخله.. دي الحاجة الوحيدة اللي خليته يرجع في قراره.

شهقت الأم، اعتدل «عبد الوهاب» وظهر الغضب يحتل وجهه، ليشير له «محمد» بنبرة اعتذار حاول أن يجعلها مهذبة قدر المستطاع:

-والله العظيم أنا مش هاخالف ليك كلمة.. بس أنا إديته وعد رجالة.. وحضرتك ماترضاليش بعد ما هو وثق فيا ورجع عن قراره.. إني أطلع عيل قدامه وأدخّلكم عليه!

وربّت على كتف «عبد الوهاب» الذي نظر له نظرة مفكرة:

-ابنك راجل.. وهو جوه بيكلم «سارة».. هي راجعة في الطريق.. ساعتها هياخد قراره.

نظر «عبد الوهاب» له نظرة صارمة، ساد صمت مشحون لدقائق، قبل أن يطرق «عبد الوهاب» وينظر إلى الأرض، ثم قال:

-إنت طول عمرك راجل يا «محمد».. وبعد اللي عملته أنا مش هاصغرك قدامه.. بس مش هامشي من هنا غير لما أكلمه.. عشان

مافيش أصلًا حاجة اسمها ياخد قراره.. هو هيطلق يعني هيطلق!

وأشار إلى الغرفة مكملًا:

-خش بقى هدّيه.. اتكلم معاه.. بس لازم هو يسترجل زيك.. ويطلع يكلمني راجل لراجل.

سمعوا جميعًا صرخة «علي» بالداخل؛ انتفضت الأم ونظرت «ريم» إلى الداخل بقلق. ابتسم «محمد» في توتر، ثم قال:

-شكرًا يا عمي.. أنا هادخله.

ودون كلمة فتح باب الغرفة وأغلقها وراءه...

***

انتفض جسد «آية» وصرخت صرخة قصيرة، عندما تهشم الهاتف جانب قدمها. أمسكها «عاصي» من كتفها وأبعدها قليلًا لأن الهاتف سقط جانب قدمها مباشرةً.

نظر «إسلام» إلى تلك الحركة العفوية، ثم نظر إلى الهاتف وقال:

-ده تليفون «علي»!

أومأ «عاصي» برأسه مؤيدًا، ابتسمت «آية» ابتسامة هادئة وقالت:

-فين أيام نوكيا.. كان بيقع من الدور العشرين ومايتكسرش!

ضحك «عاصي» ضحكة قصيرة وقال مشيرًا لها باستنكار:

-أيام نوكيا كنت إنت لسه فكرة في دماغ أمك وأبوكِ!

صاحت معترضة وهي تضحك:

-مش للدرجة دي.. كان عندي سنتين مثلًا.

راقبهما «إسلام» بنظرة استمتاع ساخرة، كمن يراقب فيلمًا مسليًا.. التفتا له وتنحنح «عاصي» بإحراج، وقال وهو يشير لهما:

-«آية».. قابلتها من ساعتين بس بقينا أصحاب خلاص.

مد «إسلام» يده، لتبتسم «آية» وتسلم عليه، قال «إسلام» بسخرية لم يستطع أن يكتمها:

-«أحمد» ابن اختي كان بييجي يقولي كده برضه بعد ما يرجع من النادي.. أنا قابلت «جنى» في الـplayground وبقينا best friends.

ضحكت «آية» في حين نظر «عاصي» إلى «إسلام» بلوم، فاتسعت ابتسامة «إسلام»، قال «عاصي» يكمل التعارف:

-وده يا ستي «إسلام الحسيني».. كاتب شديد قوي في السوق.

وأشار إلى صدره وهو يكمل بنفس سخرية «إسلام»:

-أكل عيشه إنه يكتب عننا وينزل روايات تجيبله فلوس!

ضحكت «آية» وهي تقول بحماس:

-إيه الروايات اللي نزلتها؟

قال «عاصي» بفخر قبل أن يرد «إسلام»:

-بضع ساعات...

التفتت له «آية» في عدم فهم وقالت متسائلة:

-بيض وإيه؟!

ضحك «إسلام» من الخطأ الذي يقع فيه كل مَن يسمع الاسم، دائمًا ما يسمعونها «بيض» ولا يدري لماذا، صحح لها «عاصي» الاسم، فقالت «آية» فجأة:

-إيه ده أنا عارفاها!

ثم قالت متذكرة:

-بس كانت نازلة مع رواية تانية لكاتب مشهور قوي.. فاشتريت الرواية التانية.

وهي ثاني كلمة يسمعها «إسلام» كثيرًا، عندما فرح بانضمامه إلى دار النشر المعروفة، وجد ميعاد نزول روايته هو نفس ميعاد نزول رواية أشهر كاتب في نفس الدار، وعندما حدّث «علياء» مديرة النشر أن هذا ظلم له، قالت له بنبرة حزينة ألا يقلق، فهي آخر رواية ستصدر لذلك الكاتب. لم يفهم ما علاقة أنها آخر رواية بالظلم الذي سيتعرض له ككاتب شاب في أول رواية له. في روايته التي سبقتها بعام حقق مبيعات هائلة وتحولت إلى مسلسل لمجرد أنها عن امرأة تنتقم من الرجال!

لكنه تقبّل الأمر...

وعند صدور الروايتين معًا، أدرك «إسلام» أنه لن يحقق شيئًا أمام تلك الرواية التي لم يقرأ في جنونها شيئًا.. وأدرك معنى جملته:

«عمره ما بيبقى كاتب حقيقي...».

وأقسم يومًا ما أن يتنصر على ذلك الكاتب، حتى لو قضى عمره يسعى لذلك.

تجاهل «إسلام» أفكاره وهو يتأمل «آية» وقال بحيرة:

-بس إنت ملامحك مش غريبة عليا.. أنا شفتك في حتة قبل كده؟

ارتبكت «آية» ارتباكًا لاحظه «إسلام» بعينيه الخبيرتين، في حين قال «عاصي» بابتسامة:

-بتقول إنها «تيكتوكر».

دق جرس ما في عقل «إسلام»، دائمًا ما يختلف شكلهم عن الواقع بسبب كثرة ما يطلقون عليه «فلاتر»، لكن ملامحها الجذابة لا يخطئها أحد، اعتدل في وقفته وأشار لها قائلًا:

-ثانية.. إنت الـ...

قاطعته بارتباك وقالت بسرعة:

-لا والله مش بقول كبسوا كبسوا.. أنا محتوايا أنضف من كده بكتير.

ثم التفتت إلى «عاصي» مبتسمة ابتسامتها الساحرة وقالت:

-«عاصي» أنا لازم أتحرك.. تيجي معايا؟

نظر لها «عاصي» بابتسامة بدت لـ«إسلام» بلهاء جدًا، همّ بأن يقول شيئًا لـ«عاصي»، لكنه وجد مَن يربِّت على كتفه من الخلف، التفت ليجد «أمل» تنظر له نظرة خائفة، قالت:

-عاوزاك ضروري.

نظر لها «عاصي» لحظاتٍ، ثم نظر إلى «آية» التي ابتعدت خطوات قصيرة في استعداد للانصراف بالفعل، ربّت على كتف «إسلام» وقال «عاصي» بسرعة:

-طب معلش يا «إسلام» هاروح عشر دقايق وجاي تاني.. ابقى طمنّي.

التفت إلى «عاصي» بسرعة وأمسك ذراعه وقال بصرامة:

-استنى عشان فيه حاجة مهمة عاوز أقولهالك.

لم يرَ «عاصي» نظرة «آية» القلقة خلفه، ابتسم وقال بهدوء وثقة:

-خليك مع «أمل» عشان شكلها عاوزاك في حوار.. وأنا عاوز ألحق أروح وآجي قبل ما «ريم» تنزل عشان أكيد محتاجاني.

قال «إسلام» وهو ينظر إلى عينَي «عاصي» مباشرةً:

-بقولك استنى...

جذبه ليقترب منه، اقترب «عاصي» منه ليهمس «إسلام» في أذنه:

-أنا مش فاكر قوي هي كانت بتعمل إيه.. مش عارف إذا كانت هي ولا لأ.. بس هي بتعمل حاجة من حاجات بنات التيكتوك دول.. خد بالك!

اعتدل «عاصي» لحظةً، نظر فيها إلى «إسلام» بغضب، وقال بنبرة صارمة:

-مش وقته يا «إسلام».. لما أرجعلك!

قالها وتركه، خلفه نظرات «إسلام» الغاضبة، اقترب من «آية» التي نظرت له بتقرُّب، ما إن أصبح جانبها سألته:

-قالك إيه؟

قال بهدوء يكتم داخله غضب:

-ماقالش حاجة.. كان بيقولي أخليني جنب خطيبتي.

سارت بسرعة نسبية جانبه بسبب سرعة خطوته الغاضبة، قالت بهدوء:

-استنى...

توقف وهو ينظر لها متسائلًا، أخرجت من حقيبتها كارت غرفة الفندق، قالت بهدوء:

-اللي حاصل ده مخلي الناس كلها متوترة.. دي أوضتنا أنا والبنات.. بس كلهم في الفرح دلوقتي.. أنا معايا نسخة تانية...

نظر إلى الكارت وأخذه منها متسائلًا، فابتسمت وقالت:

-هاطلع.. وحصّلني بعدها بخمس دقايق.. هنتكلم فوق براحتنا أكتر.

وقبل أن يرفض، طبعت قبلة حانية على خده، وقالت بضحكتها التي تسحره:

-هاستناك.. ماتتأخرش.

واستدارت لتسير بخطوات سريعة.. تاركةً إياه في حيرة أكبر من حياته كلها...

***

لم تتحدث «سارة» و«ياسين» بكلمة بعد أن أغلقت المكالمة مع «علي»...

ظلت دموعها تؤنسها في الطريق، سارت مع تطبيق الخرائط، تنظر له كل فترة، ثم تسرق نظرة إلى «ياسين» الذي صمت كقبر.

كانت في منتصف طريق العين السخنة، لكنها دخلت طريقًا جانبيًا صغيرًا كما أخبرها التطبيق أن تذهب، بدا المكان مظلمًا قليلًا، لكنها هدأت سرعة عربتها قليلًا حتى وجدت تلك اليافطة الكبيرة.

ولأول مرة يتحدث «ياسين» قائلًا وهو يقرأ اليافطة:

-دي مقابر!

كُتب على اليافطة «مقابر القاهرة الجديدة طريق السخنة».. ابتسمت «سارة» ابتسامة مريرة، وقالت:

-آه.. مقابر عيلتنا هنا برضه.. أبويا.. وأمي.. وكل الناس اللي راحت.

صمت «ياسين» وهو ينظر لها بتعاطف، دخلت «سارة» بالعربة من البوابة الحديدية الكبيرة، سارت مع تطبيق الخرائط داخل المقابر حتى وصلت إلى مقبرة تبدو نظيفة.. فخمة.

قالت «سارة» بعينين دامعتين:

-أنا عمري ما حبيت المكان ده!

شعرت بيد «ياسين» تربت على كتفها، التفتت له وابتسمت وسط دموعها.. أسعدها قليلًا أنه تخلى عن غضبه تقديرًا لحالتها الآن.

ودون كلمة خرجت من باب العربة.

وفي مشهد غريب لمن ينظر له من بعيد.. اقتربت عروسة شابة في فستان زفافها المتلألئ.. من مقبرة كئيبة مظلمة تنتهي الحياة داخلها ولا تعود أبدًا.

رأت سيدة عجوزًا ترتدي السواد، تبكي أمام المقبرة وهي تقرأ القرآن، ربّتت «سارة» على كتفها، فالتفتت لها السيدة وشهقت من المفاجأة، نظرت إلى فستان زفافها واتسعت عيناها في حنان، قالت بصوت متهدج:

-يا حبيبتي...

واحتضنتها وهي تبكي. بكت «سارة» في حضنها وظلت تربّت على كتف السيدة العجوز مُهوِّنةً.

قالت السيدة العجوز وسط دموعها:

-والله أصيلة... والله العظيم أصيلة زي باباك الله يرحمه.. كانت سيرته طيبة ودايما بيتحكي عنه بالخير.

بكت «سارة» أكثر، قبّلتها السيدة في خدها، وأشارت إلى الداخل قائلة:

-خُشيله سلِّمي عليه.. هيفرح قوي لما يشوفك عروسة.. كان بيحلم يشوفك قمر كده.

وربّتت على كتفها مكملةً:

-خُشي طمنيه عليكِ...

ابتسمت «سارة» وسط دموعها، ثم نظرت إلى المقبرة بخوف...

وبخطواتٍ بطيئة، دخلت المقبرة، خلفها «ياسين» يضع يده على ظهرها كي يدعمها.

كما يفعل دومًا...

***

الخامس عشر

10:20 مساءً

«نعيش لحد ما نبقى مش عارفين نموت».

مرت الدقائق بطيئة على «عاصي»...

ظل ينظر إلى الكارت لحظاتٍ طويلة...

يسير خطوات بسيطة ناحية الفندق، ثم يتوقف.. ثم يسير ثانيةً...

لا يملأ عقله سوى ابتسامتها المتفهمة لكل الألم داخله.. ابتسامتها التي تحتوي عقله.

لماذا يا «ريم»؟!

كان يدرك أنه من السخف أن يلوم «ريم» على ذلك الاختيار الواضح تمامًا أمامه.

أن يدخل دائرة دخلها ملايين الرجال قبله، ويصبح الرجل الخائن.

أم يظل الرجل الذي عشق امرأة واحدة، وبقي مخلصًا لها حتى الممات؟

سار بخطوات سريعة ناحية الفندق، رأى في طريقه «أمل» و«محمد» و«إسلام» يتحدثون، شعر بأن هناك شيئًا ما بينهم لكنه لم يكن في بالٍ رائق ليسمع، صعد إلى الدور السابع بالمصعد، ما إن خرج منه حتى رأى «ريم» وأباها وأمها في الخارج.. اقترب قليلًا وقال بصوتٍ خفيض:

-«ريم»...

التفتوا له جميعهم، فأشار «عاصي» بإحراج لهم، ذهبت «ريم» له فابتعد بها إلى آخر الممر ووقفا في ممر لا يراها أهلها فيه، وقال بسرعة:

-عاملة إيه؟

قرّبها منه كي يحتضنها، لكنها دفعته بحدة بعيدًا عنها، نظر لها متسائلًا، فقالت وهي تهمس بحدة:

-جاي تفتكرني دلوقتي؟ إنت سايبني كل ده لوحدي وجاي تفتكر بعد الهنا بسنة؟!

نظر لها نظرة معتذرة، لم يكن يريد أكثر من أن يشعر بعناقها، يريد أن يخبرها بأنه يريد أن يظل يختارها طوال عمره، قال بنبرة معتذرة:

-حقك عليا...

همّ باحتضانها ثانيةً، لكنها أبعدته بذراعها للمرة الثانية، قالت بكل شحنة المشاعر التي شعرتها في الساعتين السابقتين:

-إنت مابتفكرش غير في نفسك.. اختفيت بعد ما «علي» ضربك كإنك بتعاقبني أنا!

قال مُهوِّنًا عليها بنظرة حانية، وهو يمسح على ذراعها بحنان كي يجعلها تشعر به قليلًا:

-والله ما كنت بعاقبك أنا كنت...

قاطعته وهي لا تستطيع السيطرة على نفسها:

-وجيت وأخويا بيموت معاك واحدة ماعرفهاش عمّال تكلمها؟ مين دي بقى إن شاء الله؟

قال محاولًا تجنُّب مواجهة ليس وقتها الآن:

-مش وقته بكل اللي بيحصل ده يا «ريم».. أنا جيت أقولك إني بحبك.. وإني آسف.

قالت بحدة:

-ماتغيرش الموضوع يا «عاصي».. مين دي؟

نظر لها نظرة حائرة...

هناك لحظة فاصلة في حياة أي رجل، لحظة اختيار بين أن يظل صادقًا مع مَن يحب إلى الأبد، أو يكذب عليه ما تبقى له من عمر.

وأقسم «عاصي» إنه عندما تأتي تلك اللحظة، سيختار اختيارًا واحدًا دائمًا وأبدًا.

لذا نظر في عينيها اللتين يعشقهما وقال بهدوء:

-دي واحدة قابلتها من الفرح اللي جمبنا.. اتعرفنا على بعض واتكلمنا شوية.

اتسعت عينا «ريم» في ذهول، بل شعر «عاصي» بأن نظرتها الجزعة تلك كأنها ضبطته متلبسًا، لكنه أكمل ما بدأه:

-بنت عندها عشرين سنة.. اسمها «آية».. سلّمنا على بعض وفضلنا نتكلم ونتمشى في النادي.. كان عندي فضول أعرف العيال دول بيفكروا في إيه.. ماعملناش حاجة.. صورت معايا فيديو كده تيكتوك وخلاص.. روحنا الاستاد ورقصنا في الفيديو ده.. بس كده.

نظرت «ريم» له نظرة بها من الشك ما يقتله، شعر بأنه سيعيد نفس الشجار الذي دخله معها آلاف المرات، قال برجاء لم تفهمه:

-عشان خاطري أنا محتاجك المرة دي تصدقيني.. ماحصلش أي حاجة تاني.

ابتسمت «ريم» ابتسامة ساخرة، ببطء مدت يدها لتضعها على وجنته، وقالت بعينين دامعتين:

-والروج اللي على خدك ده طبع الحسن؟!

أغمض «عاصي» عينيه وهو يلعن نفسه أنه نسي تلك التفصيلة، قال وهو يعلم أنها ستُكذِّبه:

-هي من الناس اللي بتسلم وتبوس عادي.. أنا نسيت التفصيلة دي بس مش عشان أخبي.. عشان نسيتها.

دمعت عينا «ريم»، شعرت بعالمها كله ينهار، كيف يخبرها بكل هذا وأخوها كان سيموت منذ لحظات قليلة؟! كرامتها جعلتها تنظر له في احتقار، وتقول:

-هيفضل الوسخ وسخ طول عمره يا «عاصي»!

نظر لها باستنكار، كانت أول مرة في حياتها تتلفظ بلفظ صعب كهذا لتصفه، دائمًا ما كانت تحترمه.. اقترب منها وقال بصدق:

-أنا اخترت أقولك كل حاجة...

لتبتسم ساخرةً، نظرت إلى الممر كأنها لا تطيق أن تنظر إلى وجهه:

-معلش يا حبيبي أنا وحشة!

كتمت دموعها واعتدلت، تركته وهي تذهب إلى آخر الممر حيث

ينتظرها أهلها:

-بعدين يا «عاصي».. دلوقتي عاوزة أطّمن على أخويا اللي كان هيموّت نفسه.

ونظرت له بخيبة أمل وهي تكمل:

-بعدها نرجع نشوف إزاي كل حاجة كنت خايفة منها.. حصلت قدام عيني.

نظر لها «عاصي» بغضب، شعر بأنه أمام جدار صلد لا يتزحزح.

وراقبها وهي تنصرف عائدة.. وأخرج الكارت ثانيةً من جيبه.

ونظر له...

***

كان هناك شيء ما غير منطقي في كل ما يحدث...

لكن ما إن أخبرته «يسرا» بكل شيء، حتى شعر «علي» بأن هناك تفسيرًا منطقيًا ما لكل ما تفعله «سارة»...

تعجبت من تلك الحالة من السكون التي احتلت كيانه، في منتصف حكايتها دخل عليهما «محمد» وأخبره بأن أباه ينتظره في الخارج وسألهما عن مصدر تلك الصرخة، لكنه لم يعبأ وقال له أن يتركه هو و«يسرا» وحدهما، وسيخرج إلى أهله عندما تنتهي.

تردد «محمد» قليلًا ثم انصرف لتكمل له «يسرا»...

حتى انتهت...

وشعر بكل شيء يهدأ داخله.

قال وهو يشعر بألم «سارة» يحتل كيانه هو:

-وهي ليه ماقالتليش إنها رايحة تزوره؟

قالت «يسرا» بعينين دامعتين:

-عشان حست إنك مش هتفهم.

نهض من مقعده وقال بغضب:

-ليه؟ هو أنا حيوان؟!

وضغط على صدره بإصبعه وقال:

-أنا كنت هاخليها تروحله وأروح معاها!

نظرت له «يسرا» بندم وقالت:

-أنا اللي قلتلها بلاش.. قلتلها إن عندها وقت الدنيا كله بعد الفرح ولا حتى بكرة ولا بعده.. بس بلاش تنكد على نفسها وعليك.. بس هي كانت حالتها صعبة وعندها anxiety.. عشان كده لما هربت ماقالتليش.. بس أنا حاسة إنها فضلت تجبر نفسها لحد ما الدنيا باظت ومشيت قبل دخلة الفرح.

نظر حوله في حيرة، سار في الغرفة يفكر قليلًا، تتابعه نظرات «يسرا» التي شعرت بالندم لأنها باحت بشيء أقسمت لـ«سارة» إنها لن تخبره لأحد.

توقف «علي» عن السير لحظات وقال لها بعدم فهم:

-طب هي ليه قالتلي إن «ياسين» معاها في العربية وإنها عاوزة تطلّق وتفضل معاه؟!

أُسقط في يد «يسرا»، لم تسمع المحادثة ولم تكن تدرك أن «سارة» كانت بتلك القسوة، نظرت له بحيرة وقالت:

-دي أنا فعلًا ماعرفهاش.. أنا افتكرتها فعلًا جالها panic!

ثم قالت بحيرة أكبر وهي تنظر إلى عينَي «علي» المتسائلتين:

-بس الست مننا لما بتحس إن كل حاجة بتضغط عليها... بتفرقع يا «علي».. بترمي كل حاجة، وكل اللي بتبقى عاوزاه إنها تسيب كل اللي ضاغط عليها ده.

وأكملت أمام عينيه غير المرتاحتين لكلامها:

-ماتنساش إن «ياسين» هو اللي كان جمبها يوم وفاة باباها.. وفضل جمبها من ساعتها.

أطرق «علي» برأسه لحظاتٍ، ثم ذهب إلى الحمام في سرعة، تابعته «يسرا» بعدم فهم، لتجده يخرج وهو يرتدي قميصه ويربط أزراره، ثم يتجه إلى الباب وعلى وجهه تصميم ما. سألته «يسرا»:

-هتعمل إيه؟

لم يُجِبها وهو يفتح الباب، رأت «يسرا» «ريم» و«نجوى» والدته، «ريم» يبدو عليها شيء ما مختلف، في حين كان «عبد الوهاب» يقف مستندًا إلى الحائط أمام الغرفة.

نظروا جميعًا إلى «علي» الذي بادلهم النظر.. احتضنته أمه وأخته

وهما تبكيان.

في حين ظل «عبد الوهاب» واقفًا ينظر له...

أبعد «علي» أمه وأخته عنه برفق. وتأمل الأب...

تبادلا نظرة طويلة، نظرة تشابهت في جيناتها الوراثية، واختلفت في قسوتها وصرامتها تمامًا.

قال «علي» بهدوء:

-«سارة» كلمتني.. وأنا فهمت هي عملت كده ليه.. لما تيجي هتحكيلكم كل حاجة.

وأكمل ما خافت «يسرا» أن يقوله:

-وأنا مش هاطلّق.. «سارة» محتاجانا جمبها دلوقتي أكتر من أي وقت تاني.

نظرة الأب جعلت «يسرا» ترتجف رغمًا عنها...

***

هبط «محمد» من الفندق، ليجد «أمل» واقفة مع «إسلام» فيما يبدو حوارًا مهمًا...

شعر بالغضب داخله، فاقترب بخطوات سريعة، انتبه له «إسلام» في حين كانت «أمل» لا تراه لأنها تعطيه ظهرها، رأى «محمد» عينَي «إسلام» تنبهان «أمل» لاقترابه، فابتسم ساخرًا وقال بصوتٍ عالٍ:

-بتحذرها من إيه؟ هو فيه حاجة مستخبية عليا ولا إيه؟!

لم يفهم بعد لماذا تغير «إسلام» فجأة.. هل هو بالضعف الكافي كي ينقلب عليه بسبب «لكمة» بسيطة؟!

«إسلام» أكثر رجولة من ذلك بكثير...

لكن نظرته اختلفت، وهناك شيء ما غاضب بداخله.

بعد جملته التفتت «أمل» بسرعة، وابتسمت بارتباك وهي تراه، وقالت:

-لا طبعًا مافيش حاجة مستخبية.. أنا عمري ما خبيت عليك حاجة يا حبيبي.

تعلقت عينا «محمد» بعينَي «إسلام» المتحديتين.. قال وهو يحيط «أمل» بذراعه:

-طب بعد إذنك يا إسلام عاوز أقول لمراتي كلمتين.

تردد «إسلام» لحظات وهو ينظر إلى «أمل» بقلق، نظرت «أمل» إلى «إسلام» بارتباك وهي تميل برأسها على كتف زوجها وتلصق رأسها به، قالت لـ«محمد»:

-طبعًا يا حبيبي.. أكيد محتاج ترتاح بعد اللي عملته مع «علي» فوق.. كنت بطلنا كلنا.

قال «محمد» بابتسامة وهو يضغط على جسد «أمل» إلى درجة آلمتها ويقربها منه أكثر:

-معلش يا حبيبتي أصل «إسلام» بقاله فترة ماعملش رواية جديدة.. كل رواياته اللي بعد بتاعتنا وقعت.. فتلاقيه عاوز ينط في

حياتنا يغش شوية أحداث تاني!

لم تزد «أمل»، غمزت لـ«إسلام» وهي تعلم أن رأس «محمد» فوقها فلن يراها، لكن «إسلام» اعتدل في وقفته ورد ساخرًا:

-لا يا «إسماعيل» ماتقلقش.. قصتكم بقت عادية قوي.. اتنين متجوزين ومخلفين عيلين والزوج عنيف شوية وبيضرب مراته!

ورفع يده وحك الإبهام بالسبابة كمن يتذوق شيئًا، وأكمل بسخرية:

-مابقاش فيها حاجة حراقة تعجب القراء!

ثم فكر قليلًا واتسعت ابتسامته المتحدية وهو يقول:

-أو فيه.. بس عيب قوي أكتب عنه!

انعقد حاجبا «محمد» في غضب شديد، و«أمل» ترد بعصبية:

-يعني إيه فيه بس عيب؟ إنت بتهرتل يا «إسلام»؟!

لم تكن تريد أن تقول هذا، لكن هذا ما يحتمه عليها دورها الآن، نظر لها «إسلام» لحظة، ثم نظر إلى «محمد» الغاضب، وكأنما قرر أن يرفع راية الاستسلام فجأة، هدأت عيناه ورفع يديه إلى أعلى وأحنى رأسه قليلًا وهو يقول:

-أنا آسف.. ماكنش قصدي هزاري يتفهم غلط كده.. حقكم عليا.

وابتسم ابتسامة هادئة وهو يقول:

-أنا هاسيبكم براحتكم.

وأدار ظهره وسار ببطء مبتعدًا، شعرت «أمل» بأن جزءًا كبيرًا من

الأمان ذهب معه، رغم أنها بين ذراعَي زوجها الذي لا تعرف ما يضمر لها من شر حتى الآن...

-اطّمنتِ على العيال؟

قالها «محمد» بهدوء، فنظرت له وهي تترك عناقه المزيف الذي كان يعلن ملكية ما، وقالت:

-مش إنت قلتلي إنهم ناموا؟

قال لها بلا مبالاة:

-أي أم محترمة هتكلم الست اللي قاعدة معاهم تطمن عليهم حتى لو ناموا.. مش يمكن صحيوا ومحتاجين حاجة؟

قالت بغضب حقيقي تشعر به عندما يتحدث عن رعايتها لأطفالها بالسوء:

-أنا أم وبعشق عيالي يا «محمد».. ماتقولش الكلمتين دول!

قال بسخرية وهو ينظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها، باستهانة جعلتها تشعر بأنه ينظر إلى عاهرة:

-ماشي يا أعظم أم في الدنيا.. عاوزك تبقي مركزة معاهم أكتر من كده عشان هم دول الحاجة الوحيدة اللي رابطة بيني وبينك لحد دلوقتي.

لم تتفاجأ من كلمته، قالها مرارًا وتكرارًا من قبل، لكنها لأول مرة تشعر بأن هناك فرصة سهلة لوضع حل لكل شيء. لذا اعتدلت فجأة، وقالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرةً:

-لو هم فعلًا الحاجة الوحيدة اللي بتربطنا.. يبقى طلقني يا «محمد»...

نظر لها «محمد» متفاجئًا، لم يتوقع هذا الهجوم الحاد، لكنها أشارت إلى القاعة وقالت بصرامة:

-المأذون هنا.. لو شايف إن الحاجة الوحيدة اللي بتربط بينا هي العيال.. تعالى نتطلق حالًا.. ومش عاوزة منك حاجة غير عيالي!

في المعتاد كانت تستمع إلى كلماته السامة وتنظر له بتقبُّل وتعتذر...

نظر إلى تلك النظرة الجادة في عينيها وأدرك كل شيء فجأة...

لقد أخبرها «إسلام» اللعين بكل شيء...

***

وقفت «سارة» خلفها «ياسين» ينظران إلى شاهد القبر في صمت...

دمعت عينا «سارة» لكنها كانت تبتسم، وقالت بحنين:

-وحشتني.

التفتت إلى «ياسين» في حيرة، لتجده ينظر لها بحنين وعيناه تدمعان دمعة لم تفهمها، عادت بنظرها إلى القبر، وقالت:

-كان نفسي تبقى معايا قوي.

انحنت لتجلس على ركبتيها، تشعر بأن كل ما تفعله بلا جدوى حقيقية...

لا تدري هل تلك الرغبة المُلحة في المجيء، كانت بسبب افتقادها له، أم لرغبتها الحقيقية في الهروب؟!

قالت بصوت خفيض وبنبرة لائمة:

-إنت وحش قوي على فكرة.. إنت سيبتني من زمان.. بس أنا كنت عارفة أعيش.

ابتلعت ريقها وهي تكمل:

-بس حاسة النهارده إنك سيبتني في أكتر يوم كنت محتاجاك فيه تبقى جمبي.. وفي ضهري.. كان نفسي أمشي جمبك قدام الناس كلها.. بدل ما أنا كنت لوحدي وبيقولوا عليا البنت اليتيمة اللي مالهاش حد أهه!

وابتسمت تكمل لومها غير المنطقي:

-كنت واعدني إن حتى لو الدنيا كانت صعبة.. حتى لو شُفنا أسوأ حاجة فيها.. هتفضل في ضهري تسلمني لعريسي.

وهزت رأسها قائلة:

-كنت بتكدب ليه؟

بدت كطفلة وهي تكمل حائرة:

-إنت كنت ضهري وأبويا وأمي وأخويا.. تسيبني كل ده لوحدي؟ إنت ماعندكش رحمة؟ تسيبني في الدنيا دي لوحدي كده؟!

بكت فجأة وقالت:

-عارفة إنه غصب عنك.. بس أنا زعلانة قوي منك.. وزعلانة من ربنا إنه ماخلكش ليا شوية كمان.. وماعوضنيش عنك بحد.. حتى لو خدك مني.. كان يرجعك بس تسلمني لعريسي وتمشي.

انهارت في البكاء، مال «ياسين» على ركبته واحتضنها من ظهرها، بكت أكثر كطفلة تائهة...

ظل «ياسين» يمسح على ظهرها، فمالت برأسها على كتفه، وظلت تبكي دون توقف...

كأن ضغط كل الساعات الماضية ينفجر الآن فقط...

قال «ياسين» هامسًا وهو يحتويها:

-أنا موجود أهه.. أنا بحبك.. أنا عوض ربنا يا «سارة».. ومش هاروح في حتة.

لتقول وسط بكائها:

-كداب.. إنت كنت عاوزني أرجع الفرح وتسيبني.. كفاية كدب!

وانهارت في البكاء أكثر...

***

وقف «عاصي» أمام باب غرفة «آية».

أخذ نفسًا عميقًا، زفره في قوة...

هز رأسه أن لا بعنف، سار خطوات مبتعدًا، ثم دوّت كلمة «ريم» في أذنه:

«الوسخ هيفضل طول عمره وسخ».

توقف عن السير، عض على شفتيه في ألم، ثم عاد إلى باب الغرفة ثانية.

ودون تفكير، مرّر الكارت على الرتاج، لينير نور أخضر وينفتح الباب.

دلف الغرفة المظلمة قليلًا، سار قليلًا بخطوات بطيئة، ثم قال بصوت هادئ:

-«آية»...

أنيرت الأضواء فجأة إلى درجة جعلت «عاصي» يغمض عينيه بقوة، سمع جلبة وأصواتًا لأناس كثيرة لم يفهمها، فتح عينيه ليجد أمامه خمس فتيات في عمر «آية»، جميعهن يصوِّبن هواتفهن ناحيته، وتقف «آية» تمسك هاتفها وتصوبه ناحيته، وتصيح بصوتٍ عالٍ أزعجه:

-أخيرًا.. ده أنا شكيت إنك فعلًا راجل نضيف يا جدع!

نظر لها «عاصي» بعدم فهم، لتصيح «آية» بصوت إذاعي وهي تنظر إلى عينيه بتحدٍّ:

-إزيكم وأهلًا بيكم في سلسلة «راجل خاين part 74».. والنهارده رقم قياسي يا بنات...

ورفعت إصبعين اثنتين ووضعتهما أمام الكاميرا وهي تكمل:

-أقنعته يخون خطيبته في ساعتين ونص بس!

ضحكت الفتيات ضحكات ساخرة وهن ينظرن له...

شعر «عاصي» بأنه في لعبة عبثية، نظر لها غير مصدق، أدارت الهاتف وجعلت الكاميرا في وضع السيلفي، لتظهر هي في الكادر وهو خلفها من بعيد ينظر لها كالأبله، قالت للكاميرا وهي تكمل:

-طبعًا هتعمل زيهم وتقول إنك كنت جاي ترفضني.. بس معلش بقى خلاص.. اتقفشت واللي كان كان...

واقتربت منه بظهرها كي تجعله يظهر في الكاميرا أكثر، وهي تكمل بقسوة لم يتخيل «عاصي» للحظة أنها تملكها:

-تحب تقول إيه لخطيبتك المسكينة؟

نظر إلى الكاميرا وقد استوعب كل ما يحدث له الآن...

ولدهشتهن جميعًا ابتسم بسخرية مريرة...

***

السادس عشر

10:30 مساء

«نحتار لحد ما يبقي مش جوانا يقين».

ظل «عبد الوهاب» ينظر إلى «علي» نظرة متفحصة لفترة طويلة..

ارتبك «علي» من تلك النظرة التي تخترق روحه، لا يخاف من صراخ أبيه، لكن أكثر ما يخشاه هو صمته...

قال «عبد الوهاب» فجأة بابتسامة:

-هي دي ريحة حشيش اللي طالعة من أوضتك؟

قالها وهو يتحرك بثبات ليقرب رأسه من «علي»، سبّ «علي» داخله، ألن تختفي رائحة ذلك الحشيش اللعين أبدًا؟! اقترب الأب وهو ينظر إلى عينيه، كان حديث العهد بالمخدر فلم يكن يعلم أن احمرار العينين يفضح كل شيء، لذا نظر في عينَي «عبد الوهاب» بثقة ظنًّا منه أنه ينفي بصدق، وقال:

-لا.. حشيش إيه بس اللي...

قبل أن يكمل جملته، صفعه «عبد الوهاب» صفعة رجت جسده كله...

صفعة لم يتوقعها، فوجد نفسه يسقط على رجل الأمن الذي أمسكه كي يمنعه من السقوط.

صرخت «ريم» فزعةً، في حين انتفضت «نجوى» وأمسكت يد «عبد الوهاب» تمنعه من مزيد من الضرب، اعتدل «علي» مستندًا إلى رجل الأمن وهو ينظر له معتذرًا، نظر إلى «عبد الوهاب» غير مصدق، لم يضربه أو يُهِنه طوال السبعة وثلاثين عامًا.

قال «عبد الوهاب» بنبرة صارمة، وهو يزيح يد «نجوى» عن يده:

-إنت شكلك اتهطلت على كبر يا «علي»!

لم ينطق؛ شعر بالنيران في وجنته، وهناك صفير في أذنه أزعجه، أكمل الأب وهو ينظر له:

-إنت هتطلّق يعني هتطلّق، أنا سيبتك بحريتك كتير قوي.

وأشار إلى الغرفة مكملًا:

-أنا أهون عليا تنط من هنا تاني.. على إنك تفضحنا الفضيحة دي!

صاح «علي» بغضب:

-فضيحة إني مش عاوز أطلّق مراتي؟!

رد «عبد الوهاب» الصيحة بصيحة أعلى:

-لا يا برم.. الفضحية إنك مش عاوز تطلّق واحدة مش عاوزاك.. هربت منك في الفرح عشان مش طايقة حتى تروح معاك!

واقترب وهو ينظر له باحتقار:

-أنا أول مرة أحس إنها عندها حق!

صاحت «نجوى» وهي تضع يدها على صدر ابنها:

-كفاية يا «عبد الوهاب»!

قال وهو يفقد السيطرة على أعصابه تمامًا:

-لا مش كفاية.. خليه يفوق بدل ما هو مش فاهم هو بيعمل إيه!

قال «علي» بإصرار غريب:

-أنا فايق.. إنتم اللي مش فاهمين حاجة!

ابتسم الأب باستهانة فجأة، قال بهدوء يتناقض تمامًا مع ثورته السابقة:

-أنا فهمت الغلط فين...

وأكمل أمام عينَي ابنه الحمراوين:

-إني كنت بعاملك قبل كده على إنك راجل!

وضرب بسبابته على صدره وهو يكمل:

-بس أنا هاصلح غلطتي.. وهارجع أعاملك على قد مقامك يا «علي».. عيل صغير شبطان في لعبة ومش فارق معاه أي حاجة في الدنيا!

قالها، وتركهم وهو يسير بخطوات ثابتة، خلفه نظرات «علي» اليائسة من أن يفهمه أي بشري حوله الآن...

***

توقعت «أمل» كل ردود الفعل عندما طلبت منه الطلاق...

توقعت أن يثور، أن يصفعها، أن يؤذيها بكلمات تجعلها تريد أن تقتل نفسها.

لكنها لم تتوقع قط أن يضحك!

عندما أخبرته أن يطلقها، شرد قليلًا، ثم بدا عليه تعبير عجيب كمن يقاوم ضحكة.

ثم انفجر ضاحكًا فجأة!

نظرت له «أمل» غير فاهمة، وهو يضحك ضحكة تردد صداها أمام الفندق، حتى إن بعض الناس حولهم التفوا لينظروا له في دهشة.

هدأت ضحكته، التقط أنفاسه بصعوبة وهو يمسح دمعة فلتت من عينيه، قالت بحدة لم تستطع أن تكتمها:

-طلاقنا مضحكك قوي كده؟

نظر لها لحظات نظرة مستهزئة، ثم قال:

-آه...

وانفجر في الضحك مرة ثانية، وهو يمسك بطنه، فنظرت له «أمل» في قلق.

هدأت ضحكته ثانية، وهو يرفع يده معتذرًا أمام وجهها القلق، وقال:

-معلش والله.. بس ماكنتش متخيل إنك هتطلبي الطلاق عشان أنا قلت إنك مش أم كويسة!

ضحك ثانيةً ضحكة سريعة، ثم كتمها تلك المرة، وقال ببسمة:

-يعني توقعت تقولي إنك عاوزة تطلقي عشان أنا راجل زبالة مثلًا.. عشان بضربك!

ولوّح في السماء بسخرية وهو يكمل:

-تيجي تقوليلي معلش يا «محمد» أنا ست وسخة وبخونك..

فطلقني عشان إنت ماتستاهلنيش!

ارتجف كيانها كله وهي تسمعه لأول مرة يواجهها بخيانتها صراحةً، لم تستطع أن تنبس بكلمة، في حين فلتت منه ضحكة أخرى، لكن تلك المرة هربت دمعة حقيقية من عينيه كانت تختبئ وسط ضحكه الساخر:

-لكن طلقني عشان بتقول إني أم مش كويسة.. جديدة!

وامتدت يده فجأة لتمسك ذراعها بقوة رهيبة آلمتها، انقلبت هيئته إلى صرامة أرعبتها، جذبها له وقال بهمسٍ غاضب:

-تطلقي إيه يا روح أمك.. إنت قدامك سنين عمرك كلها تدفعي تمن اللي عملتيه فيا!

آلمتها ذراعها بشدة من قبضته، قالت متألمة:

-«محمد» سيب دراعي وإلا هاصوّت وألم علينا الناس ومش هتفرق معايا فضيحة!

لم يتزحزح وهو ينظر إلى عينيها الخائفتين، قال وصرامة عينيه تُنبئها بكارثة:

-خليهم يتلموا.. عشان أقولهم قفشت مراتي بتبعت صور عريانة لصاحبي.. ونشوف رأيهم إيه!

لم تستطع أن تتظاهر بالقوة والتماسك أكثر من هذا، بكت رغمًا عنها وشعرت بضعفها فجأة، آلمتها روحها أكثر من ذراعها وهي تسمعه يقول تلك الكلمات التي واجهتها ببشاعة ما فعلت.

عيناه المتألمتان قتلتاها...

لم تستطع حتى أن تحاول النفي والكذب أمام عينيه اللتين رأت فيهما جرحًا رهيبًا، رغم تلك القسوة التي يتظاهر بها.

انهارت تمامًا وهي تقول دون أن تدري:

-أنا آسفة...

لينكسر شيء داخل «محمد» لم يفهمه...

طوال الفترة السابقة كان هناك جزء داخله لا يصدق ما تراه عيناه.

توقع منها أن تنكر.. أن تخبره بسبب يفسر كل تلك الحيرة داخله.

لكن ذلك الاعتذار المباشر، الممتلئ بالذنب، كسر داخله كل فقاعات التبريرات الواهية داخله.

هي مذنبة.. ومعترفة بذنبها.

بل وآسفة...!

هل ماتت داخلها أي نزعة حب، تجعلها تحاول أن تبرر لنفسها ولو في جملة واحدة؟

قال ودموعه تقهره وتخرج من عينيه، وهو يقول بعدم تصديق:

-آسفة؟!

وبسخط العالم كله قال:

-هو إنتِ كسرتِ كباية؟ بتتأسفي على إيه؟!

انهارت «أمل» في البكاء أكثر ولم تدرِ ماذا يمكن أن تقول، شعر باشمئزاز رهيب داخله حتى إنه ترك ذراعها.. لم يُطِق حتى أن يلمسها أكثر من هذا.

لم يُرد حتى أن يضربها...

كان في ضربها أمل ما أن تتعلم شيئًا.. لكن الآن.. لن يغير ضربها شيئًا!

-محمد.. ابعد عنها!

سمع صوت «إسلام» الصارم وهو يقترب، التفت له ليجده يقترب منهما في خطوات سريعة وينظر له بصرامة، ابتسم «محمد» وهو في حالة من التبلد جعلته ينظر إلى «إسلام» باستهانة، ويقول:

-هتعمل إيه يعني لو مابعدتش؟!

قالت «أمل» برعب وهي تنظر إلى «إسلام»:

-إسلام.. مالكش دعوة...

اقترب «إسلام» أكثر أمام نظرة «محمد» اللامبالية، تجرأ ووقف أمامه بجسده كله كي يضع «أمل» في ظهره تلك المرة، قال «إسلام» بنبرة صارمة:

-أنا آسف يا «أمل».. بس مش هاسمع كلامك المرة دي.

وأكمل وهو ينظر إلى عينَي «محمد» المستهينتين الباردتين:

-امشي في أي حتة دلوقتي... روحي لـ«ريم» ولا «يسرا» ولا حتى روحي لأمك.. بس اختفي من قدامه دلوقتي.

ذكيٌّ «إسلام»...!

فكر «محمد» في ذلك وابتسامته تتسع، تلك الحالة من البرود والتجمد لم يكن يصل لها كثيرًا.. وصل لها مرتين فقط في حياته؛ مرة عندما توفي والده، ظل في تلك الحالة الباردة حتى انفجر وكسر غرفته بأكملها... والمرة الثانية عندما قرر مغتصب أطفال قبض هو عليه أن يسب الطفلة أمامه، ليدخل «محمد» في نفس الحالة لمدة ثلاث دقائق بالضبط، فكر أن مشكلة تلك المغتصب ستنتهي عندما لا يرى أي أطفال أمامه ثانية، فانفجر وفقأ عين المغتصب أمام الجميع دون أن يبالي...

بل لم يبالِ بعدها عندما حولوه إلى التحقيق، وعاقبوه...

كيف عرف «إسلام» أنه في تلك الحالة الآن؟ كيف فهمه وهو لم يرَه من قبل في تلك الحالة؟

ذكيٌّ «إسلام»...

لكنه أيضا غبيٌّ جدًّا!

فلو ذهبت «أمل».. سيصبح هو المحتوي لذلك الانفجار.

وهو لا يريد أن يقتل «إسلام» الآن...

ارتجفت «أمل» في خوف أمام نظرة «محمد»، في حين وقف «إسلام» بجسده العريض أمام «محمد» ولا يزيح عينيه عن عينَي «محمد»، ودون أن تفكر «أمل»، انطلقت تركض ذاهبةً إلى القاعة دون كلمة أخرى.

تبعها «محمد» بعينيه بنظرة باردة، لم يتحرك، لم يذهب وراءها، فقط تابعها بعينيه الميتتين حتى اختفت، ثم عاد بنظره إلى «إسلام» الذي ينظر له بصرامة.

وابتسم ابتسامة مستمتعة...

وتركه...

وانصرف...

***

-أول مرة أشوف حد مبسوط كده إنه اتقفش!

قالتها «آية» وهي لا تزال تصوب الكاميرا عليه، أمام ابتسامة «عاصي» الساخرة.. نظر «عاصي» لها في حين قالت إحدى صديقاتها في سخرية ثقيلة كوزنها:

-تلاقيه فرحان إنه هيطلع في أكاونتك يا «آية».. هيتشهر بقى وكده!

نظر «عاصي» إلى تلك المسرحية الهزلية التي تحدث حوله...

لم يكن غاضبًا، ولا يشعر حتى بالخجل!

شعر بالشفقة...

نظر إلى الفتيات الخمس بفساتين سهرتهن، فتيات في أوائل العشرينيات، كل فتاة تمسك هاتفها كأنه حياتها، يصورن كل ما يحدث، دون أي مراعاة لأي بشري أمامهن، ولا لحياته، ولا لآلامه!

هو مجرد «محتوى» داخل كوادر هواتفهن!

شعر فجأة بـ«عاصي» القديم يستيقظ داخله، ذلك العاصي الذي لا يبالي بشيء، يكسر كل قيود الواقع بابتسامة ساخرة، شعر بالامتنان قليلًا لـ«ريم» عندما أخبرته أن «الوسخ هيفضل طول عمره وسخ»، ظنًا منها أنها أهانته.

نسيت فيما مضى عندما كانا صديقين، وكان يحكي لها كل شيء، وكان يقول لها بمرح:

-الوسخ الصريح وسط عالم كله بيمثل.. بيبقى أنضف منهم كلهم!

أغمض عينيه وهو يشعر بقوةٍ ما تغمره، قوة ذلك المتمرد القديم، تم ترويضه أعوامًا طويلة ليصبح مثل ليث في قفص حديقة الحيوان، يشاهده الزائرون من بعيد ويلقون له الأكل دون خوف حقيقي منه.

سمع داخله صوت بوابة القفص تنفتح على مصرعيها...

وابتسم...

لم تزد «آية» على الفتاة، وبدا في عينيها شيء ما مرتبك، برود «عاصي» أربكها قليلًا، اقترب «عاصي» منها ومن الكاميرا، نظر إلى الكاميرا الأمامية التي تنقل كل ما يحدث «live»، لوّح بيده للكاميرا وقال بابتسامة مرحة:

-إزيكم يا جمهور «آية»...

رأى التعليقات تنهال بالسباب بأقذع الألفاظ عليه، ما بين «امسك

متحرش» و«خاين» و«زبالة»، وألفاظ كثيرة ترددها ألسنة فتيات تم جرحهن بخيانات آلمتهن بسبب عشق أعطين فيه كل ما يملكن...

أحاط بيده كتف «آية» وقال بسخرية:

-نفسي تبطلوا تصدقوا أي حد بيضحك عليكم.. ويعمل على قفاكم فلوس!

نظرت له «آية» باستنكار، مد يده في جيبه الخلفي، في عادة حمد ربه أنه حافظ عليها منذ أن بدأ مستواه المادي في التحسن، أخرج منه رزمة من النقود تبدو كبيرة، وقال وهو يلوح بها أمام الكاميرا:

-«آية» مقبضاني عشان نعمل المحتوى ده ونضحك عليكم.. بس أنا سايرتها عشان آجي أفضحها قدامكم كلكم.

ابتعدت عنه «آية» وهي تصيح غير مصدقة:

-كداب.. أقسم بالله كداب!

ليقول وهو يعلم أنها اعتادت -بطبيعة مَن يصنع هذا النوع من المحتوى- أن تترك كل شيء مسجلًا ولا تغلق الكاميرا أبدًا:

-يعني الفلوس دي نطت في جيبي؟ مش إنت اللي قلتيلي تعالى مثِّل إنك بتخون خطيبتك عشان الريتش عندي وقع؟!

صرخت «آية» بحدة، وهي تخالف توقعات «عاصي» وتضغط على زر إغلاق البث المباشر:

-إنت حيوان.. إنت بتكدب ليه؟!

ابتسم «عاصي» وهو ينظر بجانب عينيه إلى صديقاتها...

تلك المسكينة العشرينية لا تعلم أن صديقاتها لسن بصديقات حقيقيات...

ظللن رافعات هواتفهن يصورن كل ما يحدث، لمح على ثقيلة الظل ابتسامة مستمتعة، في حين قالت فتاة أخرى بعدم تصديق وهي تكمل تصوير:

-أحيه يا «آية».. إنتِ طلعتِ بتقبضيهم؟!

التفتت لها «آية» في صدمة، تأملها «عاصي» مبتسمًا في حزن حقيقي، عيناها ما زالتا ساحرتين حتى وهناك دموع تملؤهما، اقترب منها خطوات بطيئة حتى وقف أمامها، نظرت له بغضب وهي تقول:

-إنت خاين.. إنت حيوان.. قولهم إنك بتكدب.. إنت بتفشخني!

أمسك ذراعها فشهقت، لكنه ابتسم ابتسامة حزينة، وفجأة مال عليها، وطبع قبلة على جبهتها.. نظرت له بغضب أكبر، فقال دون أن يبالي:

-أنا اللي معايا كانت حقيقية أكتر من اللي بتكلمني دي بكتير.. أنا عمري ما غلطت في بني آدم عرفته.

وابتسم ناظرًا لها:

-إنتِ روحك أنضف من اللي بتعمليه ده.. وأنا مش هأذيك زي ما إنت عاوزة تئذيني...

ثم نظر إلى الكاميرات المصوبة ناحيتهما، ورفع يديه ملوحًا للكاميرات ثانيةً:

-أنا كنت بكدب.. أنا اسمي «أحمد العاصي».. وكنت جاي عشان أخون خطيبتي.. اللي مالهاش أي ذنب إني راجل وسخ!

وأشار إلى «آية» مكملًا:

-والبنت دي جميلة.. بس موجوعة وجع ابن كلب من رجالة قبلي كتير.. وأنا مش هاكون واحد جديد يبقى سبب في وجعها...

وابتسم وهو يشير إلى صديقاتها:

-وإنتم مش صحابها.. ممكن موبايلاتكم تكون متصاحبة على بعض.. بس البني آدمين مش صحاب ولا عمرهم هيبقوا صحاب!

هبطت الهواتف الخمسة وهن ينظرن له في ضيق، فابتسم في انتصار، نظر لها وغمز قائلًا:

-أديني بزّأتك أهه.. اعملي بالفيديوهات اللي إنت عاوزاه.. أنا مش فاضي للعب العيال ده!

وهز كتفه بلا مبالاة مكملًا بشجن يتخلل ابتسامته:

-ومابقاش فارق معايا حاجة...

ودون أن ينظر خلفه.. خرج من الغرفة تاركًا إياها في صمتٍ تام...

***

فتح «محمد» تلك الغرفة في الدور الأول...

الغرفة التي حجزها هو و«عاصي» و«إسلام» حتى يقضوا فيها اليوم كاملًا، يساعدون العريس في تجهيزاته، وأيضًا يقفون بجانب

العروس «سارة» صديقتهم لو احتاجت إلى أي شيء.

أغلق الباب خلفه، ونظر إلى الغرفة التي تبعثرت فيها ملابس الشباب وحقائبهم المفتوحة على مصراعيها...

شعر بأنه يسير كإنسان آلي لا شعور له...

يتحرك بجمود غريب، داخله فكرة واحدة فقط...

لا بد أن ينتهي كل شيء يسبب له ذلك الألم المميت.

اتجه إلى حقيبته، الوحيدة المغلقة بإحكام وسط كل حقائب أصدقائه المفتوحة.

فتح حقيبته وهي ما زالت على الأرض، ما إن فتحت حتى قلب بيديه داخلها قليلًا، ليجد ذلك الجيب السري...

مد يده داخله، ولأول مرة منذ فترة طويلة يبتسم باطمئنان.

وأخرج يده من الجيب السري، حاملةً مسدسه الذي تحمّله طوال فترة خدمته حتى الآن.

نظر إلى المسدس لحظاتٍ يتأمله، شعر لوهلة بأن ذلك المسدس هو الشيء الوحيد في حياته الذي أخلص له إخلاصًا شديدًا دون مقابل.

وضع المسدس في حزامه وغطاه بسترة بذلته.. بخطوات بطيئة ذهب ليجلس على طرف الفراش.. أغمض عينيه لحظاتٍ، ثم أخرج هاتفه، وفتح تطبيق «الواتساب»، وأرسل إلى «أمل»:

-عاوزك في حوار بعد إذنك.. أنا في أوضة 104 اللي حجزناها أنا والشباب.. مستنيك.

أرسل الرسالة، ودون أن ينتظر فتح رسالة «إسلام الحسيني» وكتب:

-عاوزك في حوار بعد إذنك.. أنا في الأوضة اللي حجزناها.

أرسل الرسالة وألقى الهاتف جانبه بلا مبالاة...

أغمض عينيه ووضع مرفقيه على ركبتيه، وأسند رأسه إلى قبضتيه.

وابتسم...

***

خرجت «سارة» من المقبرة وهي تشعر أن كل مشاعرها قد استهلكت...

سارت بخطوات بطيئة خلفها «ياسين»، ودّعت المرأة العجوز التي بكت في حضنها قليلًا، ثم ذهبت إلى عربتها وركبتها، لتجده يركب جانبها ثانيةً.

قالت بحيرة حقيقة بعد فترة صمت طالت:

-أنا تايهة.. أنا مش عارفة أي حاجة.

حاول أن يبدو مرحًا كي يخفف عنها قليلًا:

-والناس اللي مش تايهة عاملين إيه في حياتهم يعني؟ الدنيا مطلعة عينهم برضه!

أومأت برأسها إيجابًا وهي تشعر بخواء غير منطقي، كأن المقبرة

أخذت ما تبقى لها من مشاعر، فقال «ياسين» وهو يلكزها في كتفها:

-إيه رأيك نحتار لحد ما نبقى مش جوانا يقين؟

أسعدها قليلًا ما يحاول فعله، قالت في محاولة مستميتة أن تخرج مما هي فيه:

-تقيلة قوي الجملة...

قال بضيق:

-مانا بدأت أتعب!

ابتسمت ابتسامة خفيفة، ضغطت على زر إشعال المحرك، فدار محرك العربة، نظر «ياسين» لها لحظاتٍ، قال بصوتٍ خفيض:

-هتعملي إيه؟

شدّت بأنفها للمرة الألف، قالت بنبرة جامدة:

-هارجع الفرح عشان أتطلق من «علي»...

وابتسمت بشرود قائلة:

-ماينفعش أتجوز حد وأنا لسه بحبك قوي كده!

وهزت كتفها وقالت:

-حتى لو إنت مش عاوز تكمل.. حتى لو هنفضل بعاد عن بعض.. أنا قلبي لسه بتاعك.. وعمري ما هاقبل إني أتجوز راجل تاني وأنا بحب حد تاني!

ابتسم بحنان وهو ينظر لها، نظرت إلى عينيه الواسعتين الطيبتين،

وقالت فجأة:

-إنت عارف إن النهارده كان فيه كسوف كلي للقمر؟ الساعة حداشر بالظبط؟

اتسعت عيناه في فهم فجأة، فقال:

-عشان كده...؟

أكملت بابتسامة:

-عشان كده قلتلك نمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر.

ابتسم في حنان، نظرت إلى ساعة العربة الرقمية بحسرة ثم قالت:

-بس الساعة قربت على حداشر إلا تلت، ولازم أرجع.. الدنيا أكيد بايظة هناك.

همّت بأن تقود العربة، لتجد «ياسين» يمسك يدها ويقول فجأة:

-مش فارقة ربع ساعة كمان...

نظرت له بحنان، ليقول هو بحب:

-هنفضل مع بعض لحد ما نبقى مش شايفين القمر.. هنرجع دلوقتي في الطريق، نلاقي مكان في النص نتفرج على القمر.. بعدها نرجع للفرح.. وتعملي كل حاجة إنت عاوزاها ومختاراها.

ابتسمت فجأة، شعرت بأن هناك مَن يربِّت على روحها مطمئنًا، هزت رأسها أن نعم وهي تقول:

-أنا كنت عاوزة نروح على أي حتة عالية ونشوف كسوف القمر

سوا.

أومأ برأسه موافقها، وقال وهو ينظر إلى الساعة:

-بس لازم مكان قريب.. عشان نلحقه.

تحركت «سارة» بالعربة وهي تبتسم ابتسامة حانية...

***

السابع عشر

10:40 مساءً

«نختفي لحد ما نبقى مش لاقيين حد فاكرنا».

جلست «ريم» في القاعة التي أصبحت شبه خالية.

كانت تبكي بصمت، تريد أن تنتهي تلك الليلة اللعينة.

كيف يفعل «عاصي» هذا بها في ذلك اليوم العصيب.. كيف يخونها ويأتي ويعترف ببرود لم تصدقه أذناها؟

الخيانة ليست جسدية فقط...

خانها عندما تحدّث إلى الفتاة، خانها عندما سمح لتطور الكلام بينهما، خانها عندما تركها وظل طوال هذا الوقت معها، ثم خانها عندما قبّل الفتاة.

سالت دموعها أكثر، تأملت القاعة حولها حتى تحاول أن تنسى ولو قليلًا ذلك الألم الذي يغزو قلبها بلا رحمة.

كل المدعوين انصرفوا ببطء.. بعد اطمئنانهم على نجاة «علي» من الوقوع.. ووصول الساعة إلى العاشرة وأربعين دقيقة.. أدركوا أن الليلة انتهت.

لن تعود العروس...

لن ينجو العريس من ألم سيصاحبه العمر كله...

انصرف معظم المدعوين الأغراب عنهم، تبقّى فقط أهلها، وأهل «سارة» جميعهم الذين يبدو عليهم قلق غير طبيعي.

نظرت «ريم» بشفقة إلى خالة «سارة» التي تبكي دون توقف، حولها جميع أقاربها يواسونها.

على الأقل «ريم» وأهلها يرون «علي» ويطمئنون عليه الآن، لكن

أهل «سارة» لم يسمعوا صوتها حتى الآن.. ابنتهم مختفية منذ ما يقرب من الساعات الثلاث دون أن يطمئنهم أحد.

نهضت من مقعدها دون أن تقاوم ذلك الشعور الذي سيطر عليها...

بخطوات بطيئة، سارت بعرض القاعة كلها، تمر من بين الساحة الفاصلة بين العائلتين، كأنها بطل ثوري يمر من الخط الفاصل بين أرضه وأرض الأعداء.

لاحظوا اقترابها فتحفزوا، لكنها اقتربت بثقة أكبر، راقبها زوج خالة «سارة» بنظرة محذرة، لكنها ابتسمت ابتسامة حانية، بدت لكل مَن يراها أنها ترفع راية السلام، اقتربت من المقعد الذي تجلس عليه الخالة الباكية، انحنت لتجلس على ركبة واحدة رغم صعوبة ذلك بالفستان السواريه.

نظرت لها زوجة الخالة نظرة خائفة باكية، كأنها طفلة تحاول أن تتظاهر بالقوة، قالت بغضب:

-عاوزة إيه يا ريم.. والله العظيم خسارة محبة سارة فيك.. عاجبك اللي أبوك بيقوله ده؟!

دون أي كلمة احتضنتها «ريم» وربّتت على كتفها وهي تقول:

-أنا آسفة على كل اللي بيحصل.. أنا قلقانة على «سارة» قوي برضه.. «سارة» أختي وصاحبتي قبل ما تبقى مرات «علي» بسنين.

وكأن كلماتها الحانية جعلت كل حوائط مقاومة الخالة تنهار، فاحتضنت «ريم» بقوة وانفجرت في البكاء، ربّت زوج الخالة على كتفها في حنان، في حين ظلت «ريم» تحتضن الخالة وهي تقول

مُهوّنةً:

-«سارة» كلمت «علي» وقالتله إنها راجعة.. هي بخير.

شهقت الخالة وأبعدت «ريم» عنها وهي تنظر في عينيها، قالت بقلق:

-بجد؟ هي كويسة؟ إيه اللي حصل؟ مشيت ليه؟

كانت «ريم» تعلم أن الخالة ستنهال عليها بالأسئلة، ظلت تربّت على كتف الخالة بحنان وقالت:

-والله ماعرف أي حاجة غير كده.. كنت مع «علي» فوق وهو قالنا إنه كلمها بنفسه.. وإنها راجعة.. بس ماعرفش أي حاجة تانية.

زفرت الخالة براحة وهي تنظر إلى مَن حولها وتقول بنبرة مَن ارتاح بعد مسافة ركض طويلة:

-الحمد لله.. الحمد لله يا رب.

ابتسمت «ريم» في حنان، ربّتت على كتفيها ثم نهضت.

لتعبر عائدةً إلى الحدود الفاصلة بين العائلتين.

دخلت «أمل» القاعة فجأة وهي تبكي، كان يبدو عليها أنها تركض من شيء ما، وتنظر إلى القاعة كأنها تبحث عن شيء ما، وما إن وقعت عيناها على «ريم» حتى ركضت لها واحتضنتها.

قالت «ريم» بقلق:

-في إيه يا أمل؟

لم تفهم «ريم» ما يحدث، لكن «أمل» همست في أذنها باكية:

-الحقيني يا «ريم».. أنا مش عارفة أعمل إيه!

لتربّت «ريم» على ظهرها في قلق...

***

ظل «علي» يحدق في اللاشيء، بعد انصراف «عبد الوهاب» والده منذ دقائق طويلة، ساحبًا معه «نجوى» و«ريم» وهما تحاولان أن تعقلاه قليلًا.

راقبته «يسرا» في عجز...

لم تعد تدري ما الذي يجب أن تفعله.

نظرت حولها لحظاتٍ، ثم نهضت من المقعد المجاور للنافذة، وقفت أمام الفراش الذي استلقى عليه «علي» ونام نصف نومة، ساندًا ظهره إلى المسند الخلفي للفراش، يحدق في اللاشيء كمن فقد الحياة.

نظر لها بطرف عينيه متسائلًا، فابتسمت وهي تشير إلى ما ترتديه قائلة:

-عاوزة أغير بقي.

وابتسمت بسخرية وهي تشير إلى خارج الغرفة:

-اتعايرت كتير قوي النهارده إني رقاصة.. أرجع ألبسلهم حاجة عادية يمكن يشوفوني بني آدمة!

رغم أنها كانت تمزح، نظر «علي» لها نظرة متألمة من ما قالت، قال بجدية:

-إنتِ أنقذتِ حياتي النهارده.

أشار إلى خط أحمر على جلدها، من أول رقبتها مارًا بصدرها حتى منتصف بطنها وقال:

-إنتِ لسه سور البلكونة معلّم عليك لحد دلوقتي!

نظرت إلى نفسها لتجد ذلك الخط الأحمر، نتيجة ارتطامها بالسور والتصاقها به وهي تمسك قدمه، لاحظت نقطًا صغيرة من الدم بامتداد ذلك الخط الذي خلّفه أحد أعمدة الشرفة، قالت بطبيعتها الساخرة وهي تشير إلى الخط على صدرها:

-آه والله.. السور ده اتحرش بيا أكتر من رجالة مصر كلهم!

ابتسم «علي» وأكمل متجاوزًا مزاحها الذي يتجاوز الأعراف:

-معلّم عليك عشان كل ما أبصلك.. أفتكر إنك فعلًا.. ملاكي الحارس.

ارتجف قلبها عند سماعها تلك الكلمة...

«خليك عارفة إن مهما حصل.. إنتِ ملاكي الحارس».

قالها «بحر» منذ سنوات طويلة قبل أن يغلق المكالمة معها، ويلقي نفسه من الطابق السابع عشر.

نظرت له وقالت بصرامة ودموعها تتصاعد في عينيها دون أن تدري:

-إياك تقول الكلمة دي تاني!

عقد «علي» حاجبيه في عدم فهم، لكنه لاحظ نبرتها الجادة وارتجاف جسدها، فرفع يده معتذرًا وهو يقول:

-أنا آسف...

نظرت له «يسرا» قليلًا، أدركت أنه يعتذر على ما لا ذنب له فيه. زفر «علي» وقال بعجز آلمها أن يشعر رجل به:

-أنا مابقتش حاسس إني عارف أعمل حاجة صح النهارده.. أنا مش عارف أعمل إيه!

أسوأ ما في حياة الرجل، أن يشعر بالعجز...

خُلق الرجال كي يحموا مَن حولهم، كي يتولوا مسؤولية الصيد منذ بدء الخليقة، كي يوفروا الأمان والمسكن لمن حولهم...

لذا أن يشعر الرجل بالعجز.. هي طعنة في رجولته لا نجاة من أثرها!

نظرت له لحظاتٍ في تأنيب ضمير، انشغلت بألمها وتركت ألمه، لذا نظرت إلى نفسها ثم نظرت له وقالت بابتسامة جذلة.. عابثة:

-قولي يا «علي».. عمر في حياتك كلها.. رقاصة رقصتلك مخصوص؟

نظر لها «علي» بعدم فهم، فأشارت «يسرا» إلى بدلة الرقص، وقالت بمرح:

-كده كده هانزل أقلعها، ليه مانخليهاش تعمل الواجب، وترقص للعريس في فرحه!

ضيّق «علي» عينيه، احمرت وجنتاه في خجل حقيقي وهو يقول:

-لا طبعًا ماتعمليش كده.. مش عاوز أتعبك.

أدرك بعد ما قاله أنه اعتراض واهٍ تمامًا، أشارت له «يسرا» بألا يبالي وهي تمسك هاتفها وتختار أغنية ما على ذوقها...

***

خرج «عاصي» من غرفة «آية» مبتسمًا.

وضع يديه في جيبه وسار بخطوات بطيئة لا يبالي بأي شيء على الإطلاق...

استمتاعه بعودة «عاصي» القديم داخله بلا مبالاته، جعله لا يبالي حرفيًا بأي شيء قد يحدث.

تذكّر عندما دمج قانونين رائعين، وعاش بهما مراهقته كلها:

«أنت حر حرية مطلقة.. ما لم تضر أحدًا آخر».

قالوا له قبلًا إن الضرر يشمل النفس، لكنه لم يقتنع.. الضرر لا يصبح ضررًا إلا إذا أثر في روح ثانية، لكن ضرر نفسه هذا هو حر فيه حرية مطلقة، هو مَن يضر نفسه... وهو مَن سيتحمل نتائج ذلك.

سار وهو يسمع داخله موسيقى راقصة، مرّ وقت طويل منذ أن سمع الموسيقى داخله، ويتمايل عليها وهو يسير بميلة خفيفة، كانوا يقولوا عليه دائمًا إن مشيته راقصة، كأنه يمشي على إيقاعٍ ما داخله.

وكانوا على حق.. كان دائمًا يسمع موسيقى داخلية يرقص عليها دون أن يعرف أحد.

-استنى يا «عاصي»...

سمع صوت «آية» يناديه من آخر الممر، لم يشعر برغبة في الرد، فأكمل سيره لكنها صاحت بصوت أعلى:

-يا «عاصي» استنى...

تعجب من غباء مَن حوله، هل عندما تكرر النداء الآمر بصيغة مختلفة تتوقع نتيجة مختلفة؟ لم يبالِ ولم يشعر بالطاقة داخله ليلتفت، فأكمل سيره، لكنه وجدها هذه المرة تقول وصوتها يقترب بشدة:

-مانا هبلة وهاجريلك عادي.

التفت لها بدافع الفضول، ليجدها تركض بالفعل حافية القدمين تجاهه، نظر لها بتساؤل، توقع أن تتوقف عندما تقترب منه حتى تُحدِّثه، لكنها تجاوزت المساحة الآمنة للكلام واندفعت لتحتضنه بقوة...

تحرك جسده إلى الوراء خطوتين بسبب اندفاع جسدها، شعر بجسدها يلتصق به وذراعيها تحاوطان رقبته، ظلت يداه في جيبيه وابتسامته الجانبية، فقط عقد حاجبيه في تعجب خفيف، وقال ساخرًا:

-إيه طردوك من الأوضة لما ماجبتيش لايكات؟!

كان يشعر بصدرها الملتصق بصدره وهي تلهث بعد ركضها، لم يتحرك ولم يعانقها، لكنها قالت وسط لهاثها:

-أنا آسفة.. أنا آسفة.

لم يصدق ذلك التحول في شخصيتها، رأى ابتسامتها الشامتة وهي تصوره منذ دقائق، مستحيل أن تدرك خطأها في تلك الفترة القصيرة، لكنه -وببساطة شديدة- لا يبالي إن كانت تحولت أم لا.. لا يبالي إن كانت تشعر بأنها أخطأت أو لا.

يريد أن يعيش في سلام...

قال بنبرة هادئة:

-أسفك خليهولك.. أنا مش محتاجه.

ضمته أكثر، تعجب من ذلك السلوك، شعر بأنها طفلة تتعلق بأبيها ولا ترغب في أن ينصرف، قالت بصوت خرج باكيًا:

-لا مش هخليهولي.. أنا آسفة.

وتركت عناقه، ليقابلها بابتسامة هادئة لا مبالية، لتقول هي ودموعها تتساقط:

-إنت بزّأتني ومشيت.

قال بسخرية:

-بس أنا اللي لبّستك في الحيط قبلها.. أنا اللي شككتهم فيك!

قالت وهي تحرك يدها في محاولة لشرح ما لا يستطيع فمها

شرحه:

-بالظبط.. أنا كشفت 73 راجل خاين.. اللي متجوز واللي خاطب واللي مصاحب.. كلهم أول ما بيعرفوا بيوروني الوش الحقيقي.. اللي يزعق ويشتم ويضرب ويهدد.. ده حتى فيه اللي بيعرض فلوس!

وأشارت له ونظرتها تشعر بذنب ما:

-كل همهم بيبقى إن الفيديو يتمسح.. بس إنت قلبت الترابيزة عليا.. وكان ممكن تخرج منها بسهولة قوي.

ودمعت عيناها أكثر وهي تقول:

-بس بزّأتني ومشيت.

منذ أن عرفها، لم يرَ صغر سنها إلا الآن فقط، ابتسم بحنان، أخرج يدًا واحدة من جيبه ومسح بها على شعرها كمن يداعب طفلة، وقال:

-عشان ده مستقبلك اللي اخترتيه.. لو كنت فعلًا بتعملي حوارات وتضحكي على الناس كنت سيبتك.. بس مش هاضيع مستقبلك على كدبة أنا كدبتها.

وأشار بيده إلى الخارج في إشارة رمزية لأناس غير موجودين:

-الناس اللي بره دول آخرهم إيه؟ هابقى لبانة في بقهم يومين تلاتة وهينسوني!

وأشار إلى نفسه قائلًا:

-بس أنا عارف نفسي.. عارف إني مش بني آدم وحش.

قالت في حيرة حقيقية:

-طيب مشيت معايا ليه وإنت خاطب؟ جيت الأوضة ليه عشان تخونها؟!

نظر لها نظرة طويلة، عيناها الحائرتان فيه ذكّرتاه بحيرته هو داخل نفسه، قال بصدق:

-حاجة عمرك ما هتفهميها في سنك ده!

قالت بإصرار وهي تنظر إلى عينيه بتحدٍّ:

-جربني...

ابتسم ابتسامة مريرة وقال:

-مشيت معاك ليه عشان أنا كنت ميت.. كنت في الغسالة.. بحاول أرضي حد شاكك فيا ليل نهار فنسيت نفسي وأنا برضيه.. مشيت معاك عشان إنت فيك حياة عمري ما عشتها قبل كده.

نظرت له نظرة حانية حزينة، في حين أكمل وهو يشير إلى آخر الممر:

-وليه جيتلك الأوضة.. عشان لما اخترت خطيبتي وزحتلها حكيتلها اللي حصل بينا.. قالتلي إني وسخ.. وإني عمري ما هانضف.. وكان عندها حق.

اقترب منها خطوتين وقال مبتسمًا:

-جيت أقولك شكرًا على اللي حصل بينا.. عشان فوّق جوايا واحد دفنته.. كنت هاسألك لو حابة نخرج نحتفل.. مش عشان أرتبط بيك..

عشان أردلك اللي عملتيه معايا وصحتيه جوايا.

ورغم أنه لم يرِد ذلك، وجد شفتيه تبتسمان باستهانة وهو يقول:

-بس أنا مش يوم ما أرجع للقرف.. هاعط مع واحدة عندها عشرين سنة.. عاوز واحدة تدلعني.. مش أقعد أعلّم فيها!

نظرت له لحظاتٍ بتأثر، قالت ما قالته في البداية:

-أنا آسفة على كل حاجة...

هز كتفه بلا مبالاة، وقال بصدق وحنان:

-فعلًا مش فارق معايا.. اعملي اللي تعمليه عشان تعيشي بطريقتك.. وأنا هاعمل اللي أعمله عشان أعيش بطريقتي.

دار بظهره مُنهيًا الحوار، وضع يده جانبه ثانيةً، وبدأ في السير، داخله موسيقى تصويرية لنهاية الفيلم كما أوحى له المشهد، لكنها قطعت الموسيقى وقالت بصوتٍ عالٍ تردد صداه في الممر كله:

-علّمني.. علّمني إزاي أعيش بطريقتي.. عشان أنا مخنوقة من كل حاجة بعملها!

وقف «عاصي» عن السير لحظاتٍ.

أطرق إلى الأرض لحظاتٍ مفكرًا.

ثم التفت لها مبتسمًا...

***

نظر المأذون إلى ساعته، تأفف قليلًا، ثم نهض وهو يلم عباءته

المميزة، التفت له «عبد الوهاب» الذي كان يجلس معه إلى نفس المنضدة:

-هتعمل إيه يا شيخ «محمود»؟

نظر له المأذون بنظرة هادئة، وابتسم وهو يكمل:

-كفاية كده يا «عبد الوهاب».

وربّت على كتفه مكملًا:

-لو على الطلاق وخراب البيوت... ممكن نطلق بكرة عادي.. بس البنت مش هترجع.

كزّ «عبد الوهاب» على شفتيه ونهض هو الآخر، وقال ناظرًا إلى عينَي الشيخ «محمود»:

-هي قالت إنها راجعة.. أمانة عليك ماتكسفني في يوم زي ده!

وأشار إلى كل ما حوله وهو يكمل:

-كفاية إن ابني كسفني الكسفة دي!

نظر الشيخ إلى عينَي «عبد الوهاب» وقال بابتسامة حانية:

-ياه يا «عبد الوهاب».. كل ده ومش عارف تنسى؟!

ارتبك «عبد الوهاب» وهو ينظر إلى عينَي الشيخ «محمود» اللتين تخترقان كيانه كله، قال بحدة:

-الموضوع ده مالوش علاقة بحاجة!

قال «محمود» بهدوء:

-إزاي؟ الفرق بس إن طليقتك اللي قبل مدام «نجوى» هربت بعد جوازكم بسنة.. دي جابت من قاصرها وهربت يوم الفرح!

كلمة الشيخ «محمود» ضربت وترًا حساسًا داخل «عبد الوهاب»، اقترب منه وقال هامسًا، لكن غضب الدنيا يتطاير في همسه:

-لأ يا سيدنا الشيخ.. لأ.. الفرق إني كنت راجل ودُست على قلبي وطلقتها.. ماعرفتهاش تاني.. عشان ده اللي الراجل المفروض يعمله.

وأشار إلى الخارج مكملًا:

-بس ابني مصمم يكمل.. مش راضي يفهم إن أوسخ نوع من الستات هي اللي بتهرب وتسيب واحد تاني يشغلها عن جوزها!

أومأ «محمود» برأسه متفهمًا، ربّت على كتف «عبد الوهاب»، ثم قال بهدوء:

-طيب اهدا.. أنا هاقعد نص ساعة عشان خاطرك.. بس حاول تسامح يا «عبد الوهاب».

ابتسم «عبد الوهاب» ابتسامة جانبية، وقال بسخرية:

-أسامح إيه أكتر من إني شايف «أمل» بنتها قدامي كل شوية.. وجوزها صاحب ابني ودلوقتي أنقذ حياته... وعمري ما نطقت ولا علقت حتى!

وأكمل بسخط:

-مع إن بنتها شكلها شمال زيها!

أطرق الشيخ «محمود» برأسه في عدم رضا عن الجملة، وقال محذرًا:

-إلا أعراض الناس يا «عبد الوهاب».. دي كبيرة عند ربنا قوي.

استغفر «عبد الوهاب» داخله، ثم نظر إلى الشيخ «محمود» نظرة تقدير واحترام.. واعتذار.

***

الثامن عشر

10:50 مساءً

«نعشق لحد ما يبقوا مش عارفين يفرقونا».

قادت «سارة» عربتها بسرعة لم تتخيل أنها ستستطيع أن تقود بها...

وعدت «ياسين» بأن تجد مكانًا ينظران فيه إلى القمر، ويبعد فقط ربع ساعة عن النادي والفندق الذي يقام فيه الفرح.

ولا تدري هل هي سرعتها، أم أن الطريق دون لجان الشرطة، والرقص تحت الكوبري، والشجار بينهما، بدا أسرع بكثير!

تذكرت أنها عندما فكرت في الهروب وهي في ذلك الفندق، كان تطبيق الخرائط يقول 35 دقيقة فقط.

كيف وصلت إلى المقابر بعد ساعتين كاملتين؟ لا تدري.. لم يكن إلا إشارة لها للمواعيد الجوزائية المدمرة.

تذكرت وقفتهما ورقصهما، تذكرت الزحام المفاجئ للجنة، المقدم «تامر» وكل ذلك الوقت الذي قضته معه حتى أفرج عنها. ثم شجارها مع «ياسين»...

هل مرّ الوقت بتلك السرعة؟

نفضت أفكارها وهي ترى أن النادي أصبح يبعد عنها بعشرين دقيقة فقط، سيقفان ليريا كسوف القمر، ثم تنطلق بنفس السرعة المجنونة...

لم يترك «ياسين» يدها على الإطلاق.

كان صامتًا تمامًا طوال الدقائق السابقة، كان يشعر بها، في تلك السويعات القليلة دار الكثير من الأحداث، ولا بد من استراحة

محارب من كل ما يحدث.

أمسكت يده وقبّلتها، لينظر لها ويبتسم قائلًا:

-بحبك.

ابتسمت وهي تنظر له نظرة مُحبة...

***

سار «عاصي» و«آية» معًا، خارجَين من الفندق.. متجاورَين.

كان في تلك الحالة من النشوة، ينظر إلى كل شيء بلا مبالاة، قالت «آية» بفضول:

-هنعمل إيه؟

هز كتفه بمعنى لا أدري، ثم قال بعدم اكتراث:

-المفروض أرجع القاعة.. المفروض أطّمن على صاحبي اللي كان هيرمي نفسه من شوية ده.. المفروض أطّمن على خطيبتي.

صمت لحظاتٍ ثم استدرك:

-أو اللي كانت خطيبتي.

وقال وهو يكمل سيره:

-المفروض أعمل حاجات كتير.. بس أنا مابحبش أي حاجة مفروضة.

قالت وهي تتأبط ذراعه دون أن يسمح لها، لكنه لم يهتم أن يعلق:

-أنا مش هنزّل الفيديوهات، ومسحت اللايف.

لم يطلب منها أي شيء من ذلك، قال السؤال الذي يشغله فعلًا:

-بس أنا مش مقتنع إني عجبتك فجأة.. مش مقتنع بالتغيير اللي بسرعة ده!

ثم تذكّر «أمل» فجأة، فابتسم وهو يسألها:

-إنتِ برج إيه؟

قالت في استخفاف للسؤال:

-حمل!

أشار برأسه إلى الفندق وقال مشيرًا إلى ما حدث من قبل:

-ماعرفش عنه غير إنه عصبي ومجنون وسوسة!

قالت مبتسمة ويبدو عليها الصدق:

-أنا ماتغيرتش.. إنت بس مش فاهم حاجة مهمة قوي عني.

نظر لها متسائلًا، عندما وجد في نبرة صوتها شيئًا ما حقيقيًا.

ابتلعت ريقها، وبدأت تحكي له كل شيء...

***

عندما رأت «أمل» رسالة «محمد» زوجها، انتفض جسدها كله، خرجت من القاعة تاركةً «ريم» دون استئذان، تشعر بأن أنفاسها تهرب منها من الخوف.

ظلت تسير بسرعة خارج القاعة، ولقرابة عشر دقائق كاملة لم تجد «إسلام»، في كل دقيقة كانت تشعر بالقلق وخيالها يرسم أسوأ التوقعات.

حتى وجدته يجلس على مقعد خشبي قرب باب الخروج للنادي.. يجلس على المقعد الخشبي وينظر إلى هاتفه في قلق...

اقتربت منه ودون أي مقدمات قالت «أمل» بخوف:

-عاوز يشوفني في الأوضة.. بعتلي من عشر دقايق.

نظر لها «إسلام» لحظاتٍ مفكرًا، ثم رفع شاشة هاتفه ناحيتها ليريها الرسالة ويقول:

-عاوزني أنا كمان...

شهقت «أمل» في خوف، نظر «إسلام» حوله في ضيق، لمح بعينيه «عاصي» يسير مع «آية» وهو يتأبط ذراعها بلا مبالاة، يريد أن يخبره بأن تلك الفتاة تفعل شيئًا ما في الرجال لا يتذكره، لكن عقله كان مشغولًا بأشياء أهم الآن. التفت إلى «أمل» المذعورة وقال لها ببطء:

-«محمد» عنيد.. وفيه حاجة بقت مش مظبوطة!

أومأت «أمل» برأسها موافقة، ليكمل «إسلام» تحليله لشخصيته التي كتب عنها قبلًا في رواية كاملة:

-هو عاوزنا عشان يواجهنا.. غالبًا هيطلقك.

ارتعد جسد «أمل» من وقع الكلمة، ثم تساءلت:

-لو هيطلقني عاوزك معانا ليه؟!

قال «إسلام» ببطء لم تفهمه «أمل»:

-عشان يقتلني...

انتفض جسد «أمل» وأمسكت ذراعه، لكنه ابتسم ابتسامة جانبية ساخرة وقال:

-بهزر ماتقلقيش.. «محمد» مش هيقتل صحابه ومش هيضيع مستقبله.

ارتاحت «أمل» قليلًا، لكن «إسلام» قال بهدوء:

-إحنا هنروحله سوا.. نواجهه.. قوليله كل حاجة جواك.. وقوليله إنك مش عاوزة منه حاجة غير الطلاق والعيال.

شعرت «أمل» بأنه يقول أسوأ كوابيسها بهدوء مستفز، هو لا يدرك أن كل كلمة يقولها هي كل ما كانت تخشاه طوال السنين السابقة. قالت وضربات قلبها تصم أذنيها:

-هنروح دلوقتي؟ أنا مش قادرة أقف على رجلي!

نظر لها «إسلام» في تعاطف، فنظرت له ودموعها تظهر في عينيها.. ثم قالت فجأة ما كانت تخشى قوله:

-بس أنا بحبه.. مش عاوزاه يسيبني.

ابتسم «إسلام» ابتسامة غريبة، شرد قليلًا وقال:

-لو بتحبيه.. ولو هو بيحبك.. ماكنتيش تبقي مرعوبة منه كده يا

«أمل»!

وأكمل وهو ينظر إلى الدور الأول بالفندق الذي يتوسط النادي الكبير:

-الناس اللي بتحب بعض بجد.. ممكن يخافوا.. بس على بعض.

وهبطت عيناه لينظر إلى عينيها الخائفتين وهو يكمل بحزن:

-بس عمرهم ما بيخافوا من بعض!

هبطت الدموع من عينَي «أمل» غزيرةً.. وضعت يدها على قلبها.

وكل شيء داخلها ينتفض...

***

تأمل «علي» «يسرا» التي ترقص أمامه بمهارة لم يفهمها إلا عندما رقصت له هو.

وشعر بأنه يملك الكون كله.

كانت «يسرا» على حق.

منذ أن خُلق الرجل، وهناك تلك الرغبة العظيمة، أن يرى امرأة ترقص له هو دونًا عن بقية البشر أجمعين.

لأنها تعطيه بتلك اللفتة البسيطة، كنزًا لا يفهم قوته إلا الرجال...

أنه امتلك أنوثتها.

بدأ يتمايل معها، يرفع يده ويتوه في تفاصيل جسدها الذي يتراقص مع الإيقاع بمهارة لم يفهمها.. كل تفصيلة في جسدها تُعبِّر

عن شيء ما في الموسيقى التي ترقص عليها.

ابتسمت «يسرا» وهي تراه هكذا، وعرفت أن خبرتها بالرجال ما زالت صحيحة لا تشوبها شائبة.. لا يعالج عجز الرجل إلا قوة امرأة تثق به، فتسلمه نفسها.

ولأنها لا تستطيع أن تسلمه نفسها، فعلت ما يوازي ذلك الفعل من امرأة لرجل.

رقصت له بدلال لا ترقص به في المعتاد.

وجدت ابتسامته، نظرته المذهولة القوية لها، عرفت أن كل ما كان يشعر به من عجز تبخر تمامًا.

اقتربت منه، أمسكت يديه وهي تضحك له ضحكة مدروسة يتقنها كل الراقصات، جعلته ينهض من على الفراش، وتمايلت عليه بجسدها، ليبدأ هو لا إراديًا في التمايل معها.

أعطته ظهرها ورقصت لتشعر بيديه تحيطان وسطها.

ظهر عليها القلق قليلًا، لكنها برشاقة وبكامل ابتسامتها، أزاحت يديه كأنها تفعل حركة راقصة، وابتعدت قليلًا وهي تراقبه بعينيها في حرص، ابتسم هو ابتسامة سعيدة واقترب ثانيةً...

ليدق ناقوس الخطر في قلب «يسرا»...

يا لغباء الرجال!

أو يا لغبائها!

أمسكت يده وهي تراقب الثواني الباقية لانتهاء الأغنية، مع مسكها

ليديه الاثنتين لم يعد هناك مجال له لحركات غير محسوبة، ضحك هو وأخذ يهز كتفيه في سعادة، فرقصت معه وهي تبتسم.

حتى انتهت الأغنية...

نظر لها بوجنتين محمرتين، وهو يشعر بفورة الدماء تضرب رأسه، وقال بامتنان حقيقي:

-شكرًا.. أنا مش عارف إنت عملتِ إيه.. بس أنا حاسس إني قادر على الدنيا كلها دلوقتي.

ابتسمت هي في سعادة، لامت نفسها لأنها ظنت فيه السوء، لم يقصد أن يضع يده حيث لا تنتمي بالتأكيد، بل مجرد إحساسه باللحظة، قالت وهي تتجه إلى الباب رافعةً إصبعها:

-ده بيسموه العلاج بالذكورية السامة.

وضحكت على مزحة لم يفهمها سواها، فنظر لها هو متسائلًا وقال:

-يعني إيه؟

قالت ببساطة وهي تمسك مقبض الباب:

-يعني إنت اليوم صعب قوي.. وحسيت إنك حاسس بحاجة وحشة.. فرجعتك لأيام سي السيد والملوك بتوع زمان.. لما كانت الست عبارة عن عبدة بترقصلهم.. فده بيحسسك برجولتك تاني.

ضايقه بساطتها، فاقترب وأمسك ذراعها، وقال بصدق:

-بس أنا مش شايفك عبدة، وانبسطت عشان حاجة تانية خالص.

نظرت له نظرة غير فاهمة، فقال وهو يشعر بكل كلمة يقولها:

-إن فيه حد بيحاول يهون عليا وسط كل اللي جايين عليا النهارده.. حسيتك حد يستاهل كل حاجة حلوة.

وصمت لحظاتٍ، شرد فيها قليلًا، ثم قال بصدق:

-حسيت إني بحبك.

وللحظة، تمنت «يسرا» أن يكون مثل بقية الرجال القذرين الذين يتحرشون بها.

لكنها أدركت أنه أكثر غباءً منهم كلهم...

***

نظر «محمد» إلى الساعة في هدوء، العاشرة والخمس وخمسين دقيقة...

أغمض عينيه ثانية وهو يسند رأسه إلى يديه، جالسًا على طرف الفراش.

لم يتحرك خطوة...

فقط.. ينتظر...

***

على بُعد ربع ساعة بالضبط من مكان «سارة» عن الفندق، أوقفت سيارتها عند تلة عالية، وخرجت من السيارة لتستند لها، لتجد «ياسين» يقف جانبها...

ودون اتفاق سابق، نظرا إلى القمر معًا.

كان الكسوف كليًا، لكن قبل ميعاد الكسوف بخمس دقائق كان طرف هالته ظاهرًا.

ما زال لم يختفِ تمامًا.

قالت «سارة» وهي تنظر بحنان إلى القمر:

-أنا إزاي لحد دلوقتي ماحكيتلكش معنى أغنية hijo de la luna... ابن القمر؟

وضع يده على كتفها وظل ناظرًا إلى القمر بحزن لم تفهمه، وقال:

-احكيلي.. مش فارقة دلوقتي خيالي عنها إيه.

لم تصدق أنه وافق أخيرًا، اعتدلت بحماس وقالت:

-دي قصة حلوة قوي.. بص يا سيدي.

نظر لها نظرة حزينة، لكنه كان يبتسم، قالت:

-بتحكي عن ست غجرية، راحت في عز الليل ونادت على القمر.. في ثقافتهم القمر كان ست مش راجل.. المهم يا سيدي نادت القمر وقالتله: «نفسي أحب شاب غجري جميل، خايفة أبقى لوحدي».. وقعدت حزينة بتعيط.

ورفعت يديها جانبها واتسعت عيناها كي تمثل ما تقوله:

-فجأة سمعت صوت القمر بيقولها: «ماشي.. هجيبلك حبيبك.. بس بشرط.. أول ابن ليك يبقى ابني أنا»، البنت الغجرية ماصدقتش..

بس من كتر ما كانت خايفة تبقى لوحدها وافقت.. في الأغنية بيقولوا للقمر ليه عملت كده ونفسك تبقي أم ليه؟ المهم يا سيدي.. فعلًا بعدها قابلت شاب غجري أسمر جميل.. عضلات بقى وعينيه بني وأسمر.

نظرت إلى عينيه الحزينتين اللتين لم تفهم ما بهما، وابتسامته الصافية، فقالت مكملة:

-اتجوزوا.. وفعلًا حملت.. بس أول ما الطفل جه.. كان أبيض قوي، شعره أبيض، عينيه رمادي، وكله كله أبيض.. الراجل اتجنن.. قالها ابن مين ده؟ أكيد خُنتيني.. وجاب سكينة وقتلها.

حاولت أن تضيف أقصى قدر من الإثارة في صوتها وهي تكمل:

-بعدها مسك الطفل وطلع بيه على التل رماه هناك.

وابتسمت بحنان، وتقول:

-وهنا تيجي الحتة العبقرية في الأغنية.. بعد ما حكالك ده.. قفل الأغنية.. إن من ساعتها.. لما القمر بيبقى بدر منور.. ده عشان الطفل «ابن القمر» بيضحك والقمر بيلاعبه.. ولما الطفل يعيط ويحس بالوحدة.. القمر بيتحوله هلال عشان يبقاله مهد.. يطبطب عليه ويهديه لحد ما ينام.

دمعت عيناها رغمًا عنها، وقالت هامسة:

-فسّروا مراحل القمر بأغنية عن قصة خوف القمر على ابنه.. أو ابنها يعني بثقافتهم.

ابتسم ابتسامة غريبة، وقال جملة لم تفهمها:

-كويس إني ماعرفتش معناها.

ثم قال بابتسامة حانية وهو ينظر لها:

-عارفة أنا طول عمري بتخيلها إيه؟

نظرت له بابتسامة، فقال وهو ينظر لها بحب:

-واحدة حبيبها مات، وفضلت متخيلاه جمبها طول العمر من كتر ما هي مش قادرة تنساه.

عقدت حاجبيها من كآبة ما يقول، تذكرت أنه قال لها هذا من قبل لكنها نسيت، نظرت له لحظاتٍ، ثم نظرت إلى القمر الذي بدأ يكتمل كسوفه، نظرت إلى ساعتها لتجدها قبل الحادية عشرة بثوانٍ، صاحت بفرحة:

-إحنا مشينا لحد ما بقينا مش شايفين القمر.

نظرت ثانيةً إلى القمر الذي اكتمل كسوفه، ثم نظرت إلى «ياسين»، وانتفض قلبها في خوف...

فقد اختفى «ياسين» تمامًا...

***

التاسع عشر

11:00 مساءً

«نبدأ لحد ما نبقى مش واصلين لنهاية...».

تلفّتت «سارة» حولها بحيرة، نظرت إلى العربة وكل ما حولها.

لا شيء...

صاحت بصوتٍ قلِق وهي تتلفت حولها بخوف:

-«ياسين»...

سارت بسرعة وهي تشعر بأنها وحدها تمامًا فجأة على تلك التلة البسيطة التي أوقفوا العربة عندها.

صاحت بصوتٍ عالٍ، تردد صداه حولها:

-«ياسين»...

أين ذهب؟

نظرت إلى القمر الذي أصبح كتلة من السواد، شعرت بأنها تريد أن تبكي.

قالت بصوتٍ عالٍ:

-مش وقت المقالب بتاعتك يا «ياسين».. إنت فين؟

أغمضت عينيها وتركت دمعة تهبط.

متذكرةً كل شيء...

***

الساعة 2:00 ظهرًا...

تأملت «سارة» في شرفة غرفتها بالفندق، عندما هربت من زحام

الجناح الذي حجزه «علي» لهما.. أمسكت هاتفها المحمول، وولجت على الـ«Instagram» لتجد معظم الصور والقصص مأخوذة في جناح الفندق الذي تقبع فيه الآن، كل صديقاتها في الداخل يصورن أنفسهن وينشرن الصور.

إلا صورة «ياسين»...

صوّر نفسه في غرفته نائمًا على الفراش، وكتب تحتها كلمة جعلت جسدها يتخشب...

«مقسوم بين الآونة.. آن أتعب فيه، فيمنعني تعبي عن أناس أعشقهم.. وآن آخر أحب فيه، فيمنعني حبي عن بشر قضيت عمري أحافظ على نقائهم... وآن.. من قسوته، لا يأتي بعده شيء».

لاحظت ذلك البرواز الموضوع على كومود جانب الفراش.. كانت صورة «سيلفي» لهما في أول يوم تقابلا معًا.. منذ عشر سنوات.

لحظتها وهي ترى البرواز، هبطت دمعة من عينيها، لم تكن دمعة حزن، بل دمعة راحة لم تشعرها منذ أن بدأ اليوم.

ولم تدرِ بنفسها إلا وهي تطلب رقمه، وهناك ثقل ينزاح من صدرها لمجرد أنها ستسمع صوته.

ضرب الجرس، ظلت هي مترقبةً أن يرد، لم تكن تعرف ما الحجة التي ستقولها كي تبرر سبب المكالمة، تصرفت دون تفكير.

لم يتحدثا معًا منذ شهرين.. رغم حفاظهما على صداقتهما بعد الانفصال، لكن منذ أن ارتبطت رسميًا بـ«علي»، سحب «ياسين» نفسه شيئًا فشيئًا، قدّرت هي ما يفعل لكنها كانت تفتقده حقًا.

انتهى الجرس دون رد، فشعرت بإحباط، فعلت شيئًا مجنونًا لكنه لم يزد.. أمسكت الهاتف وطلبت الرقم ثانيةً...

لترد عليها أم «ياسين» بصوتٍ باكٍ أرعبها:

-أيوه يا بنتي...

قالت «سارة» بصوتٍ قلِق:

-إزيك يا طنط.. «ياسين» فين؟

سمعت صوتًا رفيعًا كأن أمه تحاول أن تكتم شيئًا ما، قالت بصوتٍ يرتعش:

-هو بس في الحمام.. هيخلّص ويكلمك.. ركزي إنت في فرحك يا حبيبتي ألف مبروك.

لم تصدق «سارة» كلمة واحدة من فم أمه، زادت ضربات قلبها وهي تعتصر الهاتف قرب أذنها، قالت بقلقٍ لم تدرِ مصدره:

-«ياسين» فين يا طنط.. ماله؟

انهارت مقاومة الأم، سمعت «سارة» بكاءها الذي أصبح واضحًا، انقبض قلبها، سمعت حركة ما لم تفهمها، سمعت الأم تصرخ:

-لا يا «أحمد» ابنك موصيني ماقولهاش!

سمعت صوت الأب الذي ظهر الحزن واضحًا في نبراته:

-أيوه يا «سارة» يا بنتي.. «ياسين» تعيشي إنتِ...

تجمد كل شيء في جسد «سارة»، أكمل الأب بهدوء:

-هو كان موصينا لو ماخرجش من العملية مانقولش حاجة لحد ما ليلتك تتم على خير.. ماحدش هيعرف حاجة يا «سارة».. كمِّلي ليلتك يا بنتي.. دي وصيته الأخيرة قبل ما يروح يقابل ربه.. إحنا طالعين من المستشفى على المدافن على طول.. وبكرة -بعد ما ليلتك تخلص- هنقول لصحابه.. مع السلامة وخدي بالك على نفسك.

تحشرج صوته في النصف الأخير من جملته، وأغلق المكالمة.

لينهار كل شيء في عالم «سارة» في ثوانٍ...

لم تعد قدماها تحملانها، جلست على أرض الشرفة، تمسك الهاتف وتنظر له.. داخلها فكرة واحدة فقط...

لا...

هذا لم يحدث...

سالت دموعها وهي تنظر إلى الهاتف جامدة...

مَن الذي مات؟!

«ياسين»؟

ذلك الحبيب الذي لم تجد مَن يفهمها سواه؟ أم ذلك الصديق الذي قد يضحي بعمره في سبيل سعادة أصدقائه؟

ذلك الشاب الهادئ.. الطيب.. المجنون مع مَن يحب فقط.. يترك ذلك الطفل العابث داخله يخرج مع مَن يعطيه الأمان لذلك.

تذكرت عندما أخبرها الطبيب بوفاة والدها في طريق العاشر من

رمضان، ظلت جامدة تحدق في الهاتف، ولم تنفجر في البكاء إلا عندما احتضنها «ياسين».

نظرت جانبها في حركة لا إرادية...

فلم تجده ليحتضنها...

نظرت إلى الشرفة التي تقبع بها وشعرت بأنها غريبة عن كل شيء.

لم تعد تسمع أصوات المزاح والرقص والأغاني بداخل الجناح.

لم تعد تسمع أصوات الطريق في الأسفل.

ودون وعي حقيقي لما تفعل، نامت بجسدها على الأرض.

وظلت تبكي بصمت...

لم تعرف وقتها كم مرّ من الوقت، لتسمع صوت انفتاح درفة الشرفة، سمعت شهقة خفيضة، ثم وجدت «يسرا» تنتحي لتراها، وتقول شيئًا ما لم تسمعه.

حركت «سارة» شفتيها دون إرادة أو تفكير، وهمست لـ«يسرا» بما لم يستطع صدرها تحمّله وحده:

-«ياسين» مات...

لتنظر لها «يسرا» نظرة غير مصدقة...

***

أمام القمر الذي اكتمل كسوفه.. وقفت «سارة» وحدها على تلك التلة...

نظرت إلى الأرض ووقفت ثابتة...

بدت كلوحة فنية أخرى، عروس بفستان فرح رقيق، تقف في الظلام ناظرةً إلى قمر لم يعد مرئيًا، وتقف ثابتة، لا يتحرك فيها شيء إلا دموعًا تهبط على الأرض الترابية، كتمثال تسمّر مكانه إلى أبد الآبدين.

صاحت بصوتٍ ضعيف:

-«ياسين».. ماتروحش مني تاني.

وتذكرت...

***

الساعة 3:00 ظهرًا...

ظلت «يسرا» تدور الغرفة وهي تمسك هاتفها وتُحدّث أناسًا كثيرين...

منذ أن قالت «سارة» لـ«يسرا» الخبر، رأت صدمة «يسرا»، لكن «يسرا» طوال عمرها كانت أقوى منها بمراحل، صمتت تمامًا عندما سمعت ما قالته «سارة»، هبطت دمعتان فقط من عينها قبل أن تمسحهما وتجذب «سارة» من رقدتها لتجعلها تجلس على الأرض.

تركتها ودخلت الجناح، لم يمر أكثر من خمس دقائق، لتعود لها «يسرا» وتسندها لتقف، وتحركتا معًا لتدخل «سارة» الجناح وتجده فارغًا تمامًا.

قالت «سارة» بنبرة جامدة:

-قلتلهم إيه؟

لترد «يسرا» بهدوء وعملية:

-قلتلهم إنك عاوزة تبقي لوحدك شوية عشان متوترة من الفرح.

أومأت «سارة» برأسها بجمود، أجلستها «يسرا» على الفراش، وأمسكت هاتفها وظلت تُجري مكالمات كثيرة...

طوال تلك الساعة لم تفعل «سارة» شيئًا سوى التذكر...

تذكرت عندما أخبرها «ياسين» بأنه يحبها لأول مرة، تذكرت كل ما كانا يفعلانه في علاقتهما...

كان لديهما ذلك الطقس الذي لم يفعله سواهما.. يكرران ما حدث في بداية علاقتهما في احتفالهما الشهري بالعلاقة.

في ذكرى يوم لقائهما من كل شهر، يخرجان معًا بعربتها، دون معرفة الجهة، تكرارًا لما حدث عند لقائهما.. ثم يبدآن الطريق بأمل مستحيل الحدوث.. لم تفهم «سارة» ما يريده «ياسين» وقتها، لكن مع أول احتفال شهري لهما، جعلها تنتظره في عربتها في مكان محدد، وما إن أتى وركب العربة واحتضنها، أشار إلى الطريق وقال بهدوء وبسمة جذلة وهو يشير إلى الطريق:

-هنبدأ لحد ما نبقى مش واصلين لنهاية...

بدت الجملة مفتعلة وقتها، فقالت له مستنكرة:

-نعملها إزاي دي؟

هز كتفه وقال مبتسمًا:

-هنبدَع...

سارت بالعربة وقد قررت أن تستسلم لما يفعل، لكنه كان ماكرًا، كان لديه خطة، ذهبا إلى عدة أماكن دون ترتيب محدد، وكلما كانت تشعر بأن اليوم ينتهي، يبدأ هو شيئًا آخر، كلعبة جديدة، أو اقتراح مكان آخر، لتفهم هو ما يفعل.

يبدأ فعل ما لا يجعل اليوم ينتهي أبدًا...

وعند نهاية اليوم الفعلية، نظرت إلى ساعتها وقالت بحيرة:

-الوقت اتأخر واليوم بيخلص.. كده عمرنا ما هنعمل الـtarget اللي إنت عاوزه ده!

ليقول لها بنظرة بها من الحب ما يجعلها تعشقه دائمًا:

-ما هو ده الهدف...

نظرت له وقتها وبدأت تفهمه، ليقول هو ببساطة وهو يهز كتفه:

-كل يوم معاك هابدأ فيه حاجة جديدة.. لحد ما نفضل طول عمرنا مش واصلين لنهاية.

ابتسمت ودمعت عيناها، ليكمل هو مصفقًا بحماس:

-الشهر الجاي، هيبقى عليك إنتِ.. ولازم تقولي حاجة ماينفعش تخلص.. عشان نفضل مع بعض العمر كله...

دمعت عيناها واحتضنته...

-«سارة»...

انتزعتها «يسرا» من ذكرياتها، لتنظر لها وهي متخشبة على الفراش في حالة إنكار لم تخرج منها بعد، لاحظت «سارة» أن «يسرا» قد انتفخت عيناها وآثار البكاء واضحة عليها، لم تستطع أن تحتفظ بالقناع العملي كثيرًا، قالت «يسرا» عندما نظرت لها «سارة»:

-إنتماينفعش تبيِّني حاجة!

قالت «سارة» بصوتٍ مات مع مَن عشقته يومًا ما:

-هيدفنوه فين؟

قالت «يسرا» بعصبية:

-مش مهم...

صرخت «سارة»:

-فين؟

صمتت «يسرا» وهي تنظر لها لحظاتٍ، ثم قالت بحسم:

-نفس مدافن أهلك.. المدافن اللي في طريق السخنة.

أغمضت «سارة» عينيها في ألم.. تكره ذلك المكان بكل ما يحمله من ذكريات، قالت «يسرا» بعملية:

-أنا كلمت ناس من أهله.. «ياسين» كان تعبان بقاله كتير ومش قايل لحد.

نظرت لها «سارة» متسائلة، فقالت «يسرا» مكملةً في أدائها العملي:

-ليه ماقلّناش؟ عشان هو دماغه جزمة.. والله لأهزقه أول ما...

عضت على شفتيها في ألم وهي تدرك خطأها العفوي، دمعت عينا «سارة» لتقابلها دمعة «يسرا» عندما أدركت عبثية جملتها، ضربت المنضدة بقدمها كي تستعيد تماسكها، قالت:

-المهم.. أهله مصممين إن وصيته الوحيدة إن فرحك مايبوظش.. صحابك يبقوا حواليك.. ومش عاوزين يخلفوا وعدهم.

وأخذت نفسًا عميقًا، ونظرت إلى «سارة» نظرة راجية وهي تقول:

-إنتِ هتكملي الفرح.. وماينفعش تقولي لحد.

نظرت لها «سارة» باستنكار، شعرت بالغضب ينتزعها من حالة الجمود، قالت بحدة:

-لأ طبعًا.. الفرح مش هيكمل يا «يسرا».

نظرت لها «يسرا» لحظاتٍ، جلست على الفراش أمامها وقالت:

-«سارة».. إحنا في موقف ماحدش في الدنيا عاشه قبل كده.. ماعرفش حد في حياته حبيبه مات يوم فرحه على حد تاني.. فمش هاعرف أقولك إيه الصح وإيه الغلط!

وأمسكت ركبتيها وهي تكمل:

-بس اللي أقدر أقولهولك.. إن هو كان عاوز كده.. هتسمعي كلامه ولا هتزعليه؟

نظرت لها «سارة» بحيرة، وألم قلبها لا يهدأ...

***

صرخت «سارة» كطفلة تائهة لا تدري ما تفعله، أمام القمر الذي يراها، ويعكس ظلام قلبها بكسوفه:

-إنت وحشتني قوي يا «ياسين»...

نظرت حولها، رقدت على الأرض الترابية ولم تبالِ بفستانها الذي نال التراب منه.

في احتفالهما الشهري، كانت تفشل دائمًا في إيجاد جملة أو شيء يفعلانه.. فكان «ياسين» دائمًا ما يخبرها أن تبذل مجهودًا ما.. تحاول أن تجد شيئًا كي يفعلاه دائمًا.

حتى إنه عندما واجهها أخيرًا بعد رفض أهلها له، قال لها ببسمته الحزينة:

-أنا طول عمري أنا اللي بحاول يا «سارة».. وإنت دايمًا محتارة ومش عاوزة تعرفي...

وأشار لها مكملًا:

-إنتِ حتى عمرك ما قلتِ جملة نعملها كل شهر!

لذا عندما كانت تراه جانبها في العربة في بداية هروبهما، كانت تشعر بفخر غير طبيعي وهي تقول لأول مرة في حياتهما:

-نمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر.

تخيلت ابتسامته جانبها، وسعادته وهو يمسك يدها.

صاحت للقمر كأنها تشكوه:

-أنا بقيت عارفة حاجات كتير نعملها.. ارجعلي بقي.. عشان خاطري.

وانهارت في البكاء أكثر...

***

الساعة 4:00 ظهرًا...

جلست أمام المرآة، بجمود غير طبيعي، والرجل الذي يضع لها المكياج ينظر لها بتعجب، ويقول:

-إيه يا عروسة مالك؟!

لم تُجِبه وظلت تنظر إلى نفسها في المرآة.. ولا تشعر بشيءٍ على الإطلاق...

***

الساعة 5:00 بداية الغروب...

سارت بخطى بطيئة كمن يسير إلى حبل الإعدام، رأت «علي» يقف معطيًا إياهم ظهره.

ظلت «يسرا» جانبها طوال هذا الوقت، تُذكّرها أن تبتسم.. تُذكّرها أن تتحدث...

وتفعل هي كل شيء كإنسان آلي ينفذ ما يُطلَب منه.

وعندما دار «علي» بجسده ليراها، شعرت بقلبها المتألم أن الوجه الذي تراه لم يكن «ياسين».

وشعرت بأنها خائنة...

لكزتها «يسرا» فابتسمت وهي ترى «علي» يبكي من جمالها.

لماذا وصى «ياسين» تلك الوصية اللعينة؟!

***

الساعة 6:00 بداية الليل...

انتهوا من جلسة التصوير، علّق المصور أن العروس لا تضحك، ليقول له «علي» شيئًا ما عن أنها مخطوفة، لكنها لم تعلق وظلت صامتة.

أعادوها إلى غرفتها...

تركتها «يسرا» بعد أن أوصتها مئات المرات بأن تظل صامدة، وعدتها بأنهم سيذهبون جميعًا إلى العزاء في الغد، لكن «سارة» أصبحت غير حاضرة، ترى كل شيء من أعلى ولا تشعر بأي شيء...

***

الساعة 8:00 مساءً

شعرت «سارة» بصدرها يضيق...

لم تعد تستطيع أن تحتمل.. تركوها وحدها مع خالتها في الغرفة كي يجهز الجميع، لكن ضاق كل شيء بها.

وقفت أمام باب القاعة في السابعة والنصف كما تنص قوانين المكان الصارمة...

ولم تحتمل...

ركضت وتركت القاعة، لتصل إلى عربتها...

وتتنفس لأول مرة وهي تراه أمامها.

«ياسين»...

كانت تعلم أنها تتخيله.. تدرك تمامًا أنه غير موجود.

لكنها قررت أن تسير معه دون هدف...

كعادة علاقتهما معًا...

***

-كفاية...

صرخت بها «سارة» وهي راقدة على الأرض.. كأنها تأمر عقلها بأن يكف عن التذكر...

رفعت رأسها وهي تنظر حولها.

لم تعد تراه...

صرخت وهي تُخرِج كل ما كتمته طوال اليوم في تلك اللحظة:

-ارجع بقى...

لكن تردد صدى صوتها في المكان كله.

دون أملٍ في الرد...

***

العشرون

11:10 مساءً

«نبقى لحد ما نبقى مش عارفين... نبقى».

سار «عاصي» بجانب «آية» وقد ساد الصمت...

ظلت «آية» تحكي له ما لم تصدقه أذناه...

حكت له أن والدها توفي وهي صغيرة، وعاشت مع أمها في بيئة سليمة نفسيًا لبعض الوقت...

حتى حدثت تلك الحادثة منذ أربعة أعوام فقط.. كانت مع أصدقائها، في مكان ما في التجمع الخامس.. اضطرت إلى أن تركب مع صديق لها عربته، بسبب أن باقي الفتيات ركبن مع صديق آخر.. ليوقفهما في طريق مظلم بعض الرجال، قالوا إنهم من الشرطة، وعندما خرج صديقها ليُحدِّثهم، انهالوا عليه ضربًا حتى فقد الوعي...

واغتصبوها.. وهي في السابعة عشرة من العمر.

لم تكن تبكي وهي تحكي أمام عينَي «عاصي» المشفقتين، بل إنها قالت له ببساطة وهي تشير إلى عينيه:

-ماتبصليش البصة ديه.. أنا مابحبش أصعب على حد!

ليعتذر لها بإمساكه يدها، لتكمل هي ما جعل قلبه يتألم أكثر.

عادت ولم تخبر أحدًا.. لم تقل لأمها حتى لا ينفطر قلبها، لم يعرف بما حدث سوى صديقها الذي ساعدها حتى ألقوا القبض على المغتصبين بعد أن أدلوا بشهادتهم للشرطة.. وقررت أن تعيش قوية، تتعامل مع كل مَن يعرفها كأنه لم يحدث لها شيء.

لاحظت وهما يسيران أن «عاصي» يأخذها باتجاه القاعة لأول مرة لكنها لم تبالِ...

قالت له إنها كانت تعيش حياة طبيعية.. لم يدرك أحد كم الجروح داخلها.. حتى قررت أن تحب.. أحبت مراهقًا في عمر الثامنة عشرة مثلها.. ظل يحاول التقرب منها.. عرف بما حدث لها فظل يحاول أن يجعل علاقتهما تتطور إلى علاقة جنسية، رفضت هي تمامًا، لتعرف أنه كان يخونها من البداية.

لكنها لم تبالِ.. بعد سنة تركته كأنها تخلع حذاءها.. لن يصيبها أذى أكثر مما أصابها، فقررت أنها لن تسمح لنفسها بأن يجرحها رجل ثانية...

لكن قذارة الرجال أصبحت مصدر غضب لها؛ قررت أنها ستفضح كل رجل يخون.. كي تساهم - ولو بالقليل- في إنقاذ فتيات كثيرة من ألم لا يطاق.

ظل «عاصي» يسمعها دون أن يقاطعها، فقط يشاركها ألمها بإمساك يدها، حتى انتهت تمامًا، فقال لها بهدوء:

-برضه مش مبررا

نظرت له باستنكار، فقال بلا مبالاة:

-طاقة كتير قوي مستهلكة على رجالة.. الطاقة دي إنت أولى بيها!

-«عاصي»...

سمعها الاثنان، فالتفتا إلى «ريم» صاحبة النداء...

كانا أمام مدخل القاعة في الفندق، لذا كان «عاصي» متوقعًا نداءها...

قالت «ريم» وهي تحاول ألا تُظهِر دموعها أمام تلك الفتاة:

-إنت بتعمل إيه؟!

ابتسم «عاصي» وقال وهو يهز كتفه:

-مش عارف.. ومش مهتم أعرف.

نظرت له «ريم» نظرة غاضبة، قالت «آية» بإحراج:

-طيب أنا هامشي...

نظرت لها «ريم» بسخرية، ثم قالت وهي تخلع دبلتها:

-لا استني.. مش مستاهلة!

وسارت نحو «عاصي» مادةً يدها كي يمد «عاصي» يده في المقابل، لكن «عاصي» نظر إلى يدها الممدودة، ثم قال بتكاسل:

-مش قادر أشيل إيدي من جيبي.

اتسعت عينا «ريم» في غضب، ثم ألقت الدبلة في وجهه لترتطم بوجنته وتسقط أرضًا...

ثم تنصرف غاضبة.. خلفها عينا «عاصي» اللامباليتان...

***

سمع «محمد إسماعيل» دقات الباب الخفيفة على باب الغرفة.

أغمض عينيه في راحة، ونهض بهدوء ليفتح الباب.

ووجد ما توقعه...

وقف «إسلام» خلفه «أمل» أمام الباب، «إسلام» ينظر له بتحدٍّ، «أمل» تنظر له بخوف...

حرك جسده من أمام الباب وأشار لهما بالدخول، لينظرا له في تساؤل، ودلفا الغرفة في هدوء.

ابتسم «محمد» ابتسامة هادئة وهو يراهما يجلسان؛ «أمل» جلست على المقعد الوحيد في الغرفة، وجلس «إسلام» على طرف الفراش.

كانت «أمل» تشعر بالاختناق، توترها ودقات قلبها العالية جعلاها تريد أن تنهي كل ما يحدث بأسرع ما يكون، لذا قالت بتوتر:

-عاوزة أتطلق.. نخرج بالمعروف يا «محمد» وكفاية لحد كده!

وقف «محمد» أمامهما، ينظر إلى زوجته باحتقار، أشار إلى «إسلام» وهو يسأل:

-إيه اللي بينك وبين «إسلام»؟

لم يتوقعا السؤال، طوال الدقائق العشر التي قضياها معًا كانا يحضِّران ردودًا لكل ما سيقوله «محمد»، لكن «محمد» خالف توقعاتهما بذلك السؤال، قالت «أمل» بحدة:

-مافيش حاجة بيني وبينه طبعًا!

لم يزد «إسلام» وهو ينظر إلى «محمد» كأنه يدرسه، شعر بأن هناك شيئًا ما في «محمد» غريبًا؛ تلك النظرة الجامدة والأداء البارد عكس شخصيته تمامًا، قال «محمد» لـ«أمل» باستهانة:

-أنا عمري ما هاصدقك في حياتي تاني يا «أمل».

ودون تحكُّم حقيقي في نفسه، أمسك «محمد» مسدسه من جيب حزامه وصوّبه ناحية «إسلام» وقال ببرود:

-وقفتك قصادي عشانها ماتجيش غير من راجل حاسس إنه بيقف للست بتاعته.. إيه اللي بينك وبينها؟!

شهقت «أمل» شهقة عالية عندما رأت «محمد» يصوب مسدسه ناحية «إسلام»، في حين تراجع «إسلام» قليلًا مع الحركة المفاجئة، وما إن رأى المسدس مصوبًا إلى صدره رفع يديه الاثنتين أمام وجهه في رد فعل غريزي، قال بصوتٍ عالٍ:

-بتعمل إيه يا «محمد».. اهدا!

وقال وهو ينظر إلى «محمد» في عينيه:

-مافيش أي حاجة بيني وبين «أمل».. «أمل» زي أختي.

ارتسمت السخرية على وجه «محمد»، نظر باستهانة إلى «أمل»، وقال موجهًا كلامه إلى «إسلام»:

-دي مالهاش إخوات.. دي أي راجل يعوزها يلاقيها!

ضربت الكلمة صدر «أمل»، صمتت تمامًا وهي تركز بصرها على المسدس الذي في يد «محمد»، قال «إسلام» وقد شعر بأنه تسمّر على طرف الفراش:

-«محمد».. شوفها زي ما إنت عاوز تشوفها.. بس هي أختي.

وأكمل بعصبية تعجبت منها «أمل» وهو يشير لها:

-ولو إنت راجل قوي كده طلقها زي ما وعدتني.. مكمل معاها ليه؟!

اهتز جفن «محمد» بعد كلمة «إسلام»، ظل فترة طويلة يهرب من ذلك السؤال بالتحديد، لماذا تركها على ذمته وهو يعلم بكل القاذورات التي تفعلها، سؤال «إسلام» جعله يعود عن تلك الحالة الجامدة من الغضب الأعمى.. تذكّر ما قاله له «علي» وأراح ضميره كي يجعله يستمر؛ قال «محمد» بنبرة لم يفهم ألمها سواه:

-عشان كان نفسي تنضف لوحدها وتيجي تقولي.

قال «إسلام» بحدة:

-إيه الهبل ده؟ ده اللي بتصبر نفسك بيه؟!

نظر له «محمد» بغضب جعل «إسلام» يشعر بالندم على الفور.. شعر «إسلام» بأنه يتعامل بثقة ليست في محلها، استنتاجه عن «محمد» أنه لن ينهي حياته ومستقبله بقتل شخص ما، لكنه أدرك الآن شيئًا فاته تمامًا...

فاته أن هناك بندًا كاملًا في القانون يبرئ الرجل الذي يقتل زوجته الزانية، وبدأ يدرك الآن فقط، أنهم في غرفة فندقية بها فراش واسع...

لو قتله «محمد» الآن وادعى أن «أمل» كانت تخونه.. لن يكذّبه أحد!

قالت «أمل» برجاء وهي تشعر بالخوف يضرب أوصالها:

-أنا زبالة يا «محمد».. أنا ماستاهلش ضفرك.. طلقني وارحمني وارحم نفسك.

أطرق «محمد» في الأرض لحظاتٍ.. ابتسم فجأة وهو يهبط بذراعه الممسكة بالمسدس، تنفست «أمل» للحظة، لتجده يقول:

-مالكيش مؤخر.. مالكيش نفقة.. مالكيش تمن.. هتمشي بشنطة هدومك زي ما هي!

والتفت لها بنظرة اشمئزاز وهو يكمل:

-هاقول لعيالك إن أمهم ماتت.. عشان إنت ماتستاهليش تبقي أم أصلًا.. ومش هتشوفي وشهم تاني.

قالت «أمل» دون إدراك:

-بلاش العيال يا «محمد» عشان...

في ثانية وجدت فوهة المسدس مصوبة إلى وجهها هي، انتفض جسدها وابتلعت باقي كلامها، انتفض «إسلام» لكن لم يقوَ على النهوض، أي حركة متهورة الآن قد تكلف الجميع ما لن يستطيعوا خسارته...

قال «محمد» وقد عاد جموده يحتل كلامه:

-كنت متوقع كده...

وابتسم ابتسامة جذلة وهو يكمل:

-تعالي نختبر بقى أمومتك الحلوة دي...

وأكمل وهو ينظر لها:

-تطلقي دلوقتي.. وماتشوفيش وش العيال تاني في حياتك كلها..

ولا أطلقك.. وتشوفي العيال؟!

وصوّب مسدسه ناحية «إسلام» وقال بابتسامة مجنونة:

-بس أقتل اللي حكالك كل حاجة وخلف كلامه معايا؟

لتتسع عينا «أمل» في عدم تصديق...

***

وقفت «يسرا» في غرفتها تنظر إلى نفسها بعد أن بدلت ملابسها كلها...

نظرت في حسرة إلى نفسها...

عندما أخبرها «علي» بأنه يحبها، نظرت له باستنكار وأزاحت يده وانصرفت...

سارت بسرعة تكاد تصل إلى الركض، هاربةً من كل شيء شعرت به في تلك اللحظة التي قال فيها تلك الكلمة بصدق جعل قلبها يرتجف.

قيل لها كثيرًا منذ أن احترفت مهنة الرقص، تلك الكلمات الحمقاء.

الرجال يعترفون بالحب في جميع الأوقات!

وهم في حالة الاحتياج، وهم سكارى والخمر لعبت بعقولهم، وهم في حالة النشوة، دائمًا ما يعترفون بالحب كأنه الكلمة السحرية التي ستجعل أي أنثى تستجيب له!

اعتادت الكلمة، لم تعد تصدقها، لم تعد تشعر بها...

تذكرت عندما دخلت مع «علي» الغرفة ونظرت إلى المرآة، تفكر أنها

لن تتزوج أبدًا.. وتذكرت نظرة «علي» -الذي أذهب الحشيش عقله أيضًا- التي قالها بحنان وصدق اقتحما روحها دون استئذان.. لم تشعر بذلك مع أي رجل من قبل.. ولا حتى «بحر».

«بحر» لم يكن قصة رومانسية، على النقيض، هو -أيضًا- كان رجلًا في حالة احتياج يرغب في مكالمة جنسية رخيصة، ومن حسن حظه أنه وجد مَن يريد التمرد في نفس اللحظة.

وانتمت روحها له لأنها شعرت بألمه.

كيف حيّر «علي» قلبها، باحمرار وجنيته وخجله، وصدقه في كل ما يقول ويفعل!

تذكرت رعبها عليه عندما كان سيسقط ويتركها...

رد فعلها كان مقبولًا لمن حولها، هي الوحيدة التي كانت تبكي بحق خائفةً أن يسقط.

ليس من أجل خوفها من موته.. لكن من أجل خوفها من أن يتركها هي.

زفرت في غضب مما تفكر فيه، نظرت إلى فستانها الجميل وابتسمت قائلة لنفسها:

-يا بنتي بطلي هبل.. مافيش راجل هيحب رقاصة!

تذكرت للحظة ما كانت تتجاهله طوال اليوم، فظهر التأثر على وجهها وهي تقول:

-مش كنت زمانك دلوقتي بتنصحني أعمل إيه يا زفت!

وأكملت كأنما تريد أن تؤلم قلبها بتذكُّره:

-الله يرحمك يا «ياسين».

وكأنما أعادتها جملتها إلى أرض الواقع، اعتدلت في وقفتها وذهبت متجهةً إلى القاعة...

الليلة توشك على الانتهاء، لذا قررت أن تخبر الجميع بما أقسمت إنها لن تقوله لأحد.. لكن ما فعلته «سارة» جعلها تحسم الأمر داخلها.

لا بد أن تخبر الجميع بأن صديقهم الذي جمع كل أفراد تلك الشلة يومًا ما، أحبوه جميعًا وأحبوا بعضهم بعضًا بسببه...

قد ذهب للقاء ربه، ولن يعود ثانيةً...

ستذهب لتخبرهم أن «ياسين أحمد المصري» قد توفاه الله.

***

دلف «علي» إلى القاعة بعد أن تركته «يسرا» وحيدًا في الغرفة.

ملّ من العجز.. ملّ من الانتظار.. ملّ من كل شيء...

ما إن دخل القاعة، حتى انتفض «عبد الوهاب» واقفًا، رآه «علي» فابتسم ابتسامة حزينة، وصل له «عبد الوهاب» وقال بابتسامة:

-قررت إيه؟

نظر له «علي» لحظاتٍ، ثم قال وهو يربّت على كتف أبيه الذي تحمّل الكثير في تلك الليلة:

-هاطلّق يا بابا.

نظر الأب إلى «علي» بنظرة راضية، أمسكه من يده وذهب به إلى الشيخ «محمود» ووقفا أمامه، وقال:

-هيطلق يا سيدنا الشيخ.

نظر الشيخ «محمود» إلى «علي» نظرة ثاقبة، وقال بضيق:

-متأكد يا ابني؟ ماتشيلش هم أبوك.. دي رغبتك إنت؟

ابتسم «علي» ابتسامة حزينة وهو يشرد رغمًا عنه...

عندما اعترف لـ«يسرا» بحبه، أدرك كل شيء فجأة.. تركته «سارة» لأنها أدركت مع وفاة «ياسين» أنها لم تحب غيره.

وتطلب معه هو سيجارتين من الحشيش واقتراب شديد من الموت، ليدرك أنه لم يحب «سارة» يومًا...

بل كان يحب «يسرا» فيها!

في كل لقاء للشلة، يجد نفسه يُحدِّث «يسرا» وينغمس في الحديث معها.. ذلك المزاح الذي يحمل معنيَين؛ طريقة رعايتها لكل مَن في الشلة.. عمليتها وحسن تصرفها في كل شيء.. لكنه دائمًا ما كان يقول لنفسه إنه إعجاب بشخصية في العموم.

لم يفكر ولو للحظة أن هناك مشاعر تجاهها لسبب واحد فقط.

هي راقصة...

وذلك يبتعد بُعدًا كاملًا عن مبادئه وأخلاقه وكل ما تربى عليه في أسرة عادية أنشأها «عبد الوهاب» على قواعد وقوانين تأصلت داخله.

لكنه أدرك أن لديه قلبًا يدق، ومشاعر لم يسبق له الشعور بها مع «سارة».. عندما رآها تبكيه بذلك الانهيار بعد إنقاذه.

مرّ كل هذا في عقله في ثوانٍ، اتسعت ابتسامته الحزينة وهو يرد على سؤال الشيخ «محمود»:

-آه يا سيدنا الشيخ.. هاطلّق.

ليتنهد «عبد الوهاب» في راحة...

***

لم يعد «ياسين»...

ظلت راقدة على الأرض الترابية، تبكي بقهر كما لم تبكِ من قبل.. تناديه بأعلى ما في صوتها.

لكنها لم تعد تراه...

نهضت بضعف من على الأرض.. تشعر بأنها تريد أن تسقط ألف مرة...

عندما قابلت أم «ياسين» أمام المقبرة، احتضنتها في حب.. وتركتها كي تدخل وتودعه.

وعندما انصرفت وذهبت لتودعها قالت لها الأم ما فطر قلبها...

دمعت عينا الأم ونظرت لها وقالت:

-هو كان نفسه يشوفك بفستان الفرح... بس كان نفسه يبقى هو اللي جنبك.

وقبّلتها وهمست لها في أذنها:

-«ياسين» فضل بعدك مش عارف يحب.. بس كان بيقولي إنه بيحبك حب ماحدش هيفهمه.. «ياسين» كان عاوزك حرة.. ومبسوطة.. وقالي حاجة مافهمتهاش.. بس قلت أقولهالك... لما أهلك رفضوه، قلتله ليه تفضل في حياتها؟ ليه تعذبوا بعض؟ قالي يا أمي إنت مش فاهمة.. أنا قررت قرار عمري ما هارجع فيه.

أومأت «سارة» في حضنها متفهمة.

الحب بلا مقابل...

أن ترى مَن تحب سعيدًا، تعطيه دون حساب، دون أن تنتظر منه مقابلًا، ولا حتى أن يعدك بالاستمرار.

حدّثها «ياسين» عنه كثيرًا، أخبرها بأنه يحبها ذلك الحب الذي لا يفهمه هو شخصيًا.

لملمت «سارة» فستانها، وبدأت في السير ببطء تجاه عربتها.

ركبت العربة في جمود.. تكاد لا ترى شيئًا بسبب كثرة دموعها.

وكلمة أمه تتردد في أذنها:

«قالي يا أمي ده قرار أنا حلفت إني عمري ما هارجع فيه..

أنا هابقالها لحد ما أبقى مش عارف أتنفس».

ابتسمت «سارة» والجملة تتردد في أذنها...

وانطلقت بالعربة بسرعة رهيبة...

***

الحادي والعشرون

11:20 مساءً

«نتنفس...».

كل ما أراده «علي» أن يتزوج في يومٍ مميز...

حكت «سارة» له أنها التقت بـ«ياسين» في يومٍ مميز للغاية.. 14/4/2014.

لذا صمّم بدافع الغيرة التي كانت تستحوذ على قلبه، أن يجعل يوم زفافهما أكثر تميزًا.. وساعدته الظروف ليحجز يوم فرحهما في يوم مميز مثله تمامًا.

24/4/2024...

لم يكن يتخيل، أن في هذا اليوم بتاريخه المميز، سيكون يوم طلاقه، من تلك الفتاة التي ظلمها رجلًا، وحبيبًا.

ابتسم وهو يتأمل الجميع يتحركون حوله كي يجهزوا إجراءات الطلاق...

كيف يفعلها «ياسين» بتلك البساطة؟ كيف يجعله يغار منه حتى بعد وفاته؟!

ظل طوال خطبته بـ«سارة» يراقب «ياسين».. يشعر دائمًا بأنه أقل منه بشكل ما.. لا يفعل «ياسين» شيئًا لاستفزازه.. بل كان يحترمه ويقدره.. يتحدث معه في مواضيع شتى بفلسفته البسيطة التي تجعل من صعوبات الدنيا كلها شيئًا تافهًا لا يستحق الذكر.

بل إن «ياسين» ابتعد عن «سارة» ووضع حاجزًا بينه وبينها، بمجرد خطوبتها رسميًا.. اعتذر أكثر من مرة عن تجمعاتهم وكان يقول حججًا مختلفة، لكن «علي» كان يعلم داخله أنه يعتذر كي لا يضايق «علي».

ابتسم «علي» أكثر وهو يتذكر عندما طلب أن يقابله وحدهما بعد خطبة «سارة» بيوم.. ليتقابلا في مقهى ما يجلس فيه أفراد الشلة دائمًا.. أتى «ياسين» بابتسامته الهادئة، ليقول «علي» مباشرة:

-أنا عارف اللي كان بينك وبين «سارة».. ومش أنا البني آدم اللي أفرق بين اتنين صحاب.

ويبتلع ريقه ويكمل بصرامة:

-بس موضوع إننا نفضل صحاب مع الإكسات دي حاجة بتضايق أي حد.. وأنا...

ليقاطعه «ياسين» بنبرة هادئة وعينين عميقتين تكشفان كل ما بروح «علي»:

-إنت عاوزها تيجي مني وأبعد أنا صح؟ «سارة» عمرها ما هتستغنى عني.. فإنت عاوزها تيجي مني.. صح؟

ارتبك «علي» لأن «ياسين» عرف ما بداخله بتلك السهولة، ليبتسم «ياسين» ويربِّت على قدم «علي» قائلًا في مودةٍ لم يفهمها «علي»:

-ماتقلقش.. هتيجي مني كده كده.. وعمري ما هاضايقك ولا هاعمل لخبطة في أي حاجة.. عشان دي الأصول يا «علي».. وعشان «سارة» اختارت كده من يوم ما وافقت تبقى شايلة اسمك.

واتسعت ابتسامته وهو يكمل:

-أنا عاوز أبقى جيت في سلام.. ومشيت في سلام.. مابحبش أخبط في حد يا «علي».

ويكمل بابتسامة جميلة تتسع على شفتيه:

-بس آخر حاجة هاقولها في الحوار ده.. «سارة» من أنضف الناس اللي ممكن تعرفها.. بس طايرة.

وقال وهو يربِّت على قدمه ثانيةً، تلك الجملة التي لم يفهم معناها «علي» حتى الآن:

-فماتحاولش تصيدها وتخليها في القفص بتاعك.. حاول دايمًا إنت اللي تطير معاها...

ليشعر «علي» بعدها طوال فترة الخطوبة بالصغر. كانت شخصية «ياسين» كاسحة كرجل.. يكرهه معظم الرجال حوله لأنهم جانبه يشعرون بأنهم ينقصهم الكثير من معاني الرجولة الحقيقية. اختفى من حياة «سارة» اختفاءً سلسًا، بل وسحب نفسه من الجميع بهدوء شديد.. ولم يخبر مخلوقًا واحدًا بما طلبه «علي» منه.

ورغم أن هذا هو التصرف المثالي، فتلك المثالية في حد ذاتها جعلت «علي» يشعر بالغيظ أكثر...

وكلما اقترب ميعاد الزفاف، كان «علي» يشعر بقرب انتصاره على «ياسين» أخيرًا.. حتى لو لم يحاربه «ياسين» ولو لثانية واحدة.. لكن إحساس «علي» أنه يتزوج مَن كانت تحب ذلك الرجل.. ينسيه ذلك الإحساس الدائم «بالصغر».

لكن «ياسين» لم يفعل ما وعد به...

لم ينصرف «بسلام» كما تمنى...

مات يوم الفرح.. لتترك «سارة» كل شيء.. وتذهب إلى قبره كما قالت له «يسرا» منذ قليل.

ليستمر ذلك الشعور اللعين حتى بعد وفاته...

تلك الوفاة التي قررت أنه لن ينتصر عليه أبدًا...

رأى «يسرا» تدخل القاعة بفستان عادي، تابعها بعينيه وهو يشعر بقلبه اللعين يخفق دون سيطرة، تلفّتت «يسرا» حولها، لتلتقي عيناهما في نظرةٍ طالت...

شعر بأن نظرتها ارتبكت، كأنها تريد أن تخبره بشيء ما، لكن نظرت «يسرا» إلى الأرض كأنها تقاوم شيئًا داخلها، وذهبت إلى ناحية أهل العروسة.. تابعها «علي» بنظره في شرود.. ليجد فجأة «عبد الوهاب» يمسك كتفه ويميل على أذنه قائلًا:

-يلا يا حبيبي كل حاجة جاهزة.

نظر له «علي» بارتباك لحظاتٍ، ثم نهض من مقعده ببطء...

***

ما هذا الاختيار المستحيل الذي قاله «محمد»؟

هل يمزح؟!

نظرت «أمل» له بعجز، ولم تستطع أن تقول أي شيء...

كيف يُخيِّرها من بين أن ترى أطفالها، وحياة صديق ظل واقفًا جانبها دون مقابل؟!

قالت بحدة:

-إيه اللي بتقوله ده؟!

صرخ بها:

-لما إنت تعملي حاجات زبالة زيك.. ماتستنيش إنك تتعاملي معاملة نضيفة!

وصوّب مسدسه ثانيةً تجاه «إسلام» الذي تصبّب عرقًا، وأكمل:

-ها يا «أمل».. قرري يا ست هانم.. عيالك.. ولا صاحبك؟

أُسقط في يد «أمل».. لم تعد تعرف هل يعذبها «محمد» فقط.. أم بتلك الحالة المجنونة التي أصبح فيها.. سيقتل بالفعل دون تردد!

صرخ «محمد» وهو يقرب مسدسه من صدر «إسلام» الثابت تمامًا:

-هاااا؟!

ارتجفت شفتاها كما ارتجف جسدها كله، شعرت بأنها تريد أن تحرك لسانها ولا تستطيع.

-ماتختاريش يا «أمل»...

قالها «إسلام» بقوة، بعدما ظلت دقيقة كاملة تُنقِّل نظرها بين «محمد» زوجها الذي وضعها في اختيار مستحيل، و«إسلام» الذي جلس على طرف الفراش وينظر إلى «محمد» بصرامة، وعندما زادت حيرتها قال «إسلام» ذلك، وأكمل وهو ينظر إلى «محمد» بصرامة:

-أنا اللي هاختار...

ارتجف قلب «أمل» داخلها و«إسلام» يقول بصوت مرتعش:

-هاختار إن صاحب عمري يعقل.. ويعرف إنه دلوقتي بيهد دنيته كلها عشان كرامته مجروحة.

ووقف أمام «محمد» الذي حافظ على مسافة تؤمِّنه من أي هجوم غادر، وأكمل بهدوء وهو ينظر إلى عينَي «محمد» بقوة:

-صاحب عمري اللي لسه كان هيموِّت نفسه عشان «علي».. وبقى بطل في عنينا كلنا.. وعارف ربنا كويس...

نظر له «محمد» نظرة باردة، فأكمل «إسلام»:

-مين عيِّنك ربنا تحدد مين يعيش ومين يموت؟! ولا إذا كانت «أمل» تختار عيالها ولا تختارني؟!

قال «محمد» وهو يشعر بأن «إسلام» يتجاوز خطوطًا كثيرة لم يسمح بها:

-أنا قررت...

وأشار إلى «أمل» باحتقار وهو يكمل:

-مش عاوز تشوف حبيبة القلب وهي بتختار عيالها عليك؟

صاح «إسلام» كمن فاض به الكيل:

-يا ابني مافيش حاجة بيني وبينها.. افهم بقى!

قال «محمد» بنبرة صارمة:

-مش مصدق كلمة لا منك ولا منها.. وصحيح...

ونظر إلى «إسلام» باحتقار مكملًا:

-«علي» راجل.. داست عليه واحدة شمال من شلتكم.. بس إنت.. لا بقيت صاحبي.. ولا إنت راجل أصلًا!

شعرت «أمل» بسخط لم تستطع السيطرة عليه...

صرخت فجأة:

-ما كفاية بقى!

التفتا لها جميعًا، لمحت «إسلام» ينظر لها محذرًا، لكنها تجاهلت نظرته ونهضت من مقعدها.

شيء ما داخلها انكسر ولم تعد تهتم بأن تصلحه.. نظر لها «محمد» وصوّب تجاهها المسدس وقال بصرامة:

-اترزعي مكانك!

لم تبالِ «أمل» بذلك الأمر، سارت بقوة لتقف بينه وبين «إسلام»، ليصبح صدرها أمام المسدس مباشرةً...

ابتعد «محمد» خطوتين إلى الوراء في عدم تصديق، وقف «إسلام» صائحًا فيها بجدية:

-ابعدي يا «أمل»...

ظلت «أمل» واقفة، غضبها في عروقها ظهر واضحًا على عينيها وهي تقول ناظرةً إلى عينَي «محمد» مباشرةً:

-إنت ليه عاوز العيال؟ مين قالك إنهم عيالك أصلًا؟!

صاح «إسلام» من خلفها، وهو يرى عينَي «محمد» الذاهلتين من وقع الكلمة:

-«أمل» بطلي هبل!

صرخت «أمل» لـ«محمد» وهي لا تستطيع أن تتحمل أكثر:

-ما هو خلاص بقى.. مش أنا وسخة؟ بتحارب ليه؟ عاوز إيه؟!

وأشارت إلى «محمد» بطول ذراعها، متجاهلةً المسدس ومتجاهلةً غضبه، وهي تصرخ:

-إنت قلتلي من عشر سنين إنك هتسامح.. خيّرتني.. قلتلي لو شايفة إني أستاهل أرجعلك إنت هتسامح...

احمرّ وجه «محمد» الغاضب، لكن «أمل» أكملت دون رحمة:

-فضلت سبع سنين تذلني إني خنتك.. وأنا فضلت سبع سنين بثبتلك إني نضيفة.. ساعتها ماكنتش بعمل حاجة واحدة غلط.. بس إنت كل خناقة تقولي هتروحي لأيمن وتسبيني ولا إيه.. كل مرة بتضربني فيها بتقولي عشان تنضفي.. إنت عمرك ما سامحت!

نظرت إلى «إسلام» خلفها وهي تكمل ساخرة:

-10 سنين صاحبك مالمسنيش فيهم غير في حالتين.. لما يعوز ينام معايا.. ودول مرتين بس في عشر سنين.. جبنا منهم عيالنا!

وأشارت له وهي تصرخ:

-الحالة التانية لما بيضرب فيا لحد ما أبقى مش شايفة قدامي.

صاح «محمد» بثورة وهو يشوح بمسدسه:

-ده مش مبرر إنك تخوني!

صرخت «أمل» في وجهه دون خوف:

-لما تبقى راجل مكفي مراتك ابقى اتكلم عن الخيانة!

قالتها وهي غير مدركة، لتجد فجأة «محمد» يلصق فوهة المسدس برأسها ويقول بغضب الدنيا:

-اخرسي يا بنت الكلب...

ودون تفكير، تحركت يده على الزناد...

***

وقف «عاصي» و«آية» خارج القاعة، يجلس «عاصي» على الرصيف بحرية، في حين نظرت له «آية» بحيرة لا تدري ما تقول...

قال «عاصي» وهو يدخن سيجارة استعارها من شاب كان يدخن جانبه، شرب السيجارة باستمتاع:

-أنا زهقت.. إنتِ مازهقتيش؟

مرت فترة طويلة، منذ أن كانت له حرية أن يؤذي نفسه دون أن يلومه أحد، ولا يسمع ذلك الصياح المرير من «ريم» أنه لو شرب سيجارة إذن فهو لا يحبها.

قالت «آية» بحيرة:

-كل اللي أعرفه إني حاسة إني عكيت الدنيا.. والمفروض أمشي...

ثم جلست جانبه على الرصيف، نظر إلى قدمها المكشوفة لحظةً بسخرية، فقالت:

-ماتخافش لابسة شورت.

تمتم وهو ينفث دخان السيجارة، فخرج كخيط طويل يزيح معه كل ما يعتمل داخله:

-صح.. هي المشكلة في الشورت فعلًا!

قالت بنبرتها اللامبالية، التي جذبته لها منذ أن تحدّثا:

-أنا ممكن أروحلها وأصالحكم.. إنت فعليًا ماخنتهاش.

قال ببرود:

-لأ.. كده أحسنلها.

ثم نظر لها وقال بابتسامة:

-عارفة أحلى حاجة فيك إيه؟

نظرت له «آية» لحظاتٍ، ثم ابتسمت ورفعت قصة شعرها بيدها في غرورٍ مازح وقالت:

-كلي طبعًا.. بس أحب أعرف إنت شايف إيه؟

ابتسم «عاصي» وقال:

-إنك خليتيني أشوف مستقبلي كله في ساعتين تلاتة بس!

وأكمل وهو يشير في الهواء شارحًا على شيء لا يراه:

-أنا عمري ما كنت خاين.. بالعكس كنت صريح بزيادة.. حسيت إني بحب «ريم» لما قالتلي إنها قبلاني زي ما أنا...

والتفت لها، وخُيِّل لها أنها تلمح دموعًا مكتومة في عينيه وهو يكمل:

-بس كانت بتكدب عليا.. لإنها فضلت تغيّر فيا.. وفضلت شايفاني أوحش حاجة في الدنيا.. وأنا فضلت أتغير عشان بس أقولها إني أستاهلها.

وابتسم مكملًا:

-إنتِ خليتيني أشوف مستقبلي.. كنت هاتجوزها.. هاقعد مستحمل أربع خمس سنين.. بعدها هاقابل حد زيك...

وابتسم بسخرية افتقدها في نفسه:

-أو أقابلك إنت لما يبقى عندك خمسة وعشرين سنة.. وكنت ساعتها هاخون عادي جدًا!

ابتسمت «آية» متفهمة.. فجأة وجدت صديقاتها -اللاتي كنّ يصورن «عاصي» معها- يسِرن أمامهما ذاهبات إلى الفرح التي كانت «آية» فيه.

شعرت بالارتباك قليلًا وهن يرمقنها بنظرات قاتلة، ويُشِرن لها هي و«عاصي» ويتضاحكن...

شعرت بالغضب، لكنها وجدت «عاصي» يصيح فجأة بسخرية:

-إنتم أوسخ مني على فكرة!

بدا عليهن الغضب، فابتسمت «آية»، و«عاصي» يكمل مشيرًا لها وهو يحيط ظهرها بذراعه:

-وهي أنضف منكم كلكم.

فعلن جميعًا حركة لا مبالية كأنهن مبرمجات عليها، وأكملن طريقهن، فنظر «عاصي» لها...

وضحكا معًا...

***

بكت «سارة» في العربة...

كلما نظرت جانبها.. ولا تجد «ياسين.. تشعر بوحدة قاتلة.

كلما ظنت أنها اعتادت غيابه، تكتشف أنها حمقاء تمامًا.

لا تعرف لماذا يؤلمها قلبها بهذا الشكل؟!

يقتلها عقلها بأسئلة لا إجابة لها...

هل كان يفتقدها قبل أن يذهب؟ هل نادى عليها بقلبه ولم تُجِبه؟ كانا وهما مرتبطان يخبرها أن هناك دائمًا رابطًا يربطهما معًا.

كان يؤمن بالطاقة جدًا، لذا تجده فجأة يتصل بها في وقت ما ويبدأ كلامه بكلمة قلقة:

-مالك؟

لتتعجب هي كيف عرف ما بها، كيف عرف أنها حزينة الآن؟ كيف عرف أنها تفتقده، ليجيبها بصوته العميق الحاني:

-من يوم ما بقينا لبعض.. اتربط بينا خيط من أرواحنا.. عمره ما ينقطع.

ثم يمزح كعادته كي يضحكها:

-فماتخونيش بقى عشان هالقط كل حاجة.

ابتسمت في العربة وهي تتذكر دعابته، ثم سالت دموعها عندما أدركت لماذا كان يلح عليها صباح اليوم أن تسمع صوته.. أن تطمئن عليه.. لكنها كذّبت شعورها وتجاهلته خائفة، لتستلم له وهي في الشرفة.. كان يناديها بقلبه.. كان يفتقدها.

وعندما سمعت النداء...

كان قد تركها وذهب...

قالت والطريق أمامها يكاد يكون غير مرئي بسبب بكائها:

-أنا آسفة.. أنا آسفة يا حبيب قلبي اتأخرت عليك.

أدركت أنها ما زالت تعشقه.. ولم يعد هناك مجال لتجاهل ذلك على الإطلاق.

قال لها يومًا:

-الحب عمره ما كان إني أقولك بحبك.. الحب هو إن يبقى مافيش حاجة واحدة في الدنيا تخليني ينفع أحبك.. بس ماعرفش أحس غير كده.

لتؤمن هي تمامًا بمقولته الآن فقط.

كل شيء يبدأ.. كل شيء ينتهي.. ثم لا شيء بعد ذلك.

يبقى فقط الحب...

حب يهز الأكوان من قوته، ويمر بكل المستحيلات كأنها لم تُخلَق من الأساس.

صرخت فجأة بأعلى ما في صوتها:

-بحبك يا «ياسين».. وهافضل أحبك عمري كله.

تعلم أنه يسمعها في مكانٍ ما...

تعلم أن الرابط الروحي بينهما لم ينقطع حتى الآن.

فقط...

أصبح في مكان أبعد بكثير...

***

الثاني والعشرون

11:30 مساءً

«نحلم لحد ما نبقى مش قادرين نصحى...».

ظل «إسلام» يراقب الموقف بحرص شديد، عندما كانت «أمل» تصرخ فيه...

راقب «محمد إسماعيل» وبالتحديد عينيه، لذا ما إن قالت «أمل» آخر جملة، ورأى تلك النظرة التي في عينَي «محمد» انقبض قلبه وأدرك أن «أمل» دمرت ما بقي من تعقُّل داخله.

وعندما رأى «محمد» لا يرى سوى «أمل» ويصوِّب المسدس إلى رأسها، ولاحظ «محمد» وإصبعه تذهب إلى الزناد دون تردد.. وعينيه تريدان أن تقتل...

أدرك «إسلام» أنه لا بد له أن يتدخل الآن...

لذا دون كلمة دفع «أمل» فجأة، واندفع بقوته ليمسك ذراع «محمد» ويرفعها إلى أعلى، ويكمل اندفاعه ليسقط الاثنان أرضًا...

صرخ «إسلام» بأعلى ما في صوته:

-اجري يا «أمل»...

نظرت «أمل» لحظةً إلى كل ما يحدث، احتارت للحظة وهي ترى «إسلام» يطبق بجسده فوق «محمد» الذي يحاول أن يدفعه بعيدًا، ويحاول إفلات يده الممسكة بالمسدس حتى يتخلص منها.. وفي ثانية واحدة عرفت كل ما تريد أن تفعله...

حسم القرار داخلها، ذهبت إلى باب الغرفة وفتحته وانطلقت تركض بسرعتها كلها...

صاح «محمد» في ثورة لـ«إسلام»:

-شُفت الزبالة اللي بتضحي عشانها.. سابتك تموت وجريت!

صرخ فيه «إسلام» وهو يجاهد كي يحافظ على إمساك يد «محمد» الممسكة بالمسدس:

-اعقل بقى.. كفاية الهبل اللي إنت فيه ده!

ظلا على الأرض يتعاركان معركة أسدَين للسيطرة على حركة الآخر.. لكن بخبرة «محمد» وتدريباته القتالية، فعل حركة ما بجسده، ليجد «إسلام» نفسه فجأة ينقلب على ظهره ويطبق «محمد» فوقه، ويلصق فوهة المسدس برقبته...

وصمت كل شيء فجأة.. إلا من دقات قلبهما العالية...

ابتسم «محمد إسماعيل» ابتسامة منتصرة، وقال ووجهه فوق وجه «إسلام» مباشرةً:

-إوعى تفتكر لما وقفت قدامي عشانك إنها اختارتك.. هي ماكنتش عارفة تختار.. فقلبت الترابيزة!

واتسعت ابتسامته المجنونة وهو يقول:

-مراتي وعارف الشيطان اللي راكبها!

لم ينطق «إسلام»...

في حياته كلها لم يتعرض لذلك الموقف البشع، الذي يهدد حياته بضغطة زناد لن تكلف صاحبها أكثر من لحظة جنون...

قال «محمد» بابتسامة:

-هتقولي بينكم حاجة ولا تموت كداب؟

همس «إسلام» برجاء:

-أقسم بالله ما فيه بيني وبينها حاجة...

ابتسم «محمد» في عدم تصديق، وقال بعينين متسعتين:

-تحب تتشاهد ولا تموت نجس؟

وتحركت إصبعه على الزناد.. أغمض «إسلام» عينيه في خوفٍ رهيب...

لكن فجأة شعر بثقل «محمد» يختفي من عليه، فتح عينيه ليجد «محمد» يعدل هندامه ويضع مسدسه في جيبه ثانيةً، وعندما نظر إلى «إسلام» قال بهدوء:

-مش قبل ما أقتل النجسة التانية...

ودون كلمة أخرى خرج راكضًا من الغرفة...

***

قطع ضحكة «عاصي» مع «آية» شيء رآه...

عقد حاجبيه بتركيز، وهو يرى «أمل» تركض بسرعة وهي تبكي باتجاهه ذاهبةً إلى القاعة، نهض من جلسته واقترب منها لتراه، فتصرخ باسمه وتركض ناحيته أمام عينيه القلقتين، قال:

-في إيه يا «أمل»؟

مسكت ذراعيه وقالت بسرعة:

-«محمد» اتجنن وهيقتل «إسلام» في الأوضة بتاعتكم.

بدا الأمر خياليًا ولا يُصدّق، فصاح «عاصي» مستنكرًا:

-إيه العبط ده؟!

تركته وأكملت ركضًا وهي تصرخ حتى يسمعها:

-مش وقته يا «عاصي».. الحقه أبوس رجلك!

نظر «عاصي» لها وهي تدلف القاعة راكضة، ونظر إلى «آية» التي تنظر له بقلق، وقالت:

-إنت أصحابك كلهم مجانين؟ واحد كان عاوز ينتحر والتاني بيموّت صاحبه؟!

شعر «عاصي» بالقلق، نبرة «أمل» لم تكن تكذب...

أغمض عينيه لحظاتٍ...

هو يريد ألا يبالي...

لكن ذلك شيء أكبر من أن يتجاهله...

زفر في ضيق، ودون كلمة، ركض ناحية الفندق...

لكنه لم يكمل أكثر من سبعة أمتار، ليجد «محمد» يهبط على السلم الكبير عند مدخل الفندق، يسير بخطوات سريعة غاضبة تجاهه.. ذاهبًا إلى القاعة خلفه.

اقترب منه «عاصي» وقد هدأ من ركضه حتى لا يشك «محمد» في شيء.

لكنه عندما راقب وجه «محمد» أدرك أن «أمل» لم تكذب في حرف.

هذا رجل فقد كل الحواجز العقلية التي تجعله إنسانًا!

قال «عاصي» بسرعة أمام نظرة «محمد» المتسائلة:

-«علي» عاوزك في أوضته...

وهي أسرع كذبة يستطيع أن يقولها، لينظر له «محمد» بلا مبالاة وهو يقول:

-هاروحله بعدين.

وهمّ بالانصراف، فأمسكه «عاصي» من ذراعه في حركة لا إرادية، جعلت «محمد» ينظر له نظرة استنكارية غاضبة، ليقول بعدم فهم:

-إنت بتعمل إيه؟

قال «عاصي» بارتباك وضربات قلبه تُنبئه بكارثة قادمة:

-يعني يصح تسيبني وأنا بكلمك.. بقولك «علي» عاوزك ضروري.. مش خايف يموّت نفسه تاني؟

ابتسم «محمد» بسخرية وهو يفحص «عاصي» من رأسه حتى أخمص قدميه:

-«علي» بعتلي رسالة إنه في القاعة من خمس دقايق!

وبحركة عنيفة جعل «عاصي» يفلت معصمه، واقترب منه وقال بنبرة مخيفة:

-هي اللي إنت بتحميها مني.. كانت بتنام معاك إنت كمان؟!

انتفض «عاصي» من هول الكلمة، نظر إلى «محمد» نظرة ذاهلة وقال بعدم تصديق:

-إنت بتقول إيه؟!

امتدت يد «محمد» لتمسك «عاصي» من ياقة سترته وقال مكررًا:

-أمل كانت بتنام معاك زي ما نامت مع «إسلام»؟

نظر له «عاصي» نظرة ذاهلة، فصاح «محمد»:

-ما تنطق!

اعتدل «عاصي» ونظر إلى عينَي «محمد» بقوة وقال بصرامة:

-لأ.. أنا عمري ما أخون يا «محمد»!

ابتسم «محمد» بسخرية، ثم فجأة هوى بقبضته لاكمًا «عاصي» في فكه بقوة جعلته يسقط أرضًا، نظر له «عاصي» بغضب وهو يعتدل على الأرض، لكن «محمد» قال بسخرية:

-ابقى قول لـ«ريم» على المزة اللي كنت بتحضنها النهارده يا روح أمك.. يا اللي عمرك ما خنت!

قالها وانصرف ذاهبًا إلى القاعة بخطوات سريعة...

***

لمدة نصف دقيقة كاملة، لم ينهض «إسلام» من رقدته...

كان كل جسده يرتجف وهو ينظر إلى السقف...

هل حياة الإنسان لا قيمة لها على الإطلاق؟

هل يمكن أن تنتهي بتلك السهولة والبساطة؟ كل ما بناه في حياته.. كل أحلامه ومشاعره.. تنتهي في لحظة؟!

شعر بالخوف من كل شيء وهو يتذكر فوهة المسدس على رقبته بملمسها البارد.

أراد أن يبقى راقدًا، يحتمي من شرور العالم كله وجنون بشره.. لكن نظرة «محمد» القاتلة جعلته يراه بعين خياله ككاتب.. وهو يلحق بـ«أمل» ويطلق عليها رصاص المسدس كله...

تلك الصورة فقط هي التي جعلته يعتدل.

ويركض خارج الغرفة ذاهبًا إلى المكان الذي بدأ فيه كل شيء...

إلى قاعة الفرح...

لم ينتظر المصعد، ركض على السلالم مسرعًا...

كل شيء داخله يحاول أن يمنعه، لكنه قاوم بكل ما أوتي من قوة.

هبط إلى بهو الفندق، ركض وهبط السلم مسرعًا.

وجد «عاصي» راقدًا على الأرض يبدو ذاهلًا، فذهب له وقال بعصبية:

-«محمد» راح فين؟

مد يده لـ«عاصي»، الذي أمسك بذراعه وقال بعدم فهم:

-راحوا للقاعة الاتنين...

ثم نظر إلى «إسلام» بحيرة وقال:

-إنت نمت مع «أمل»؟

قال «إسلام» بسرعة:

-لا طبعًا.. بس «محمد» اتجنن.. كان هيموتني فوق ورايح يقتل «أمل».

هز «عاصي» رأسه في عدم تصديق.. ودون كلمة ولا اتفاق...

انطلق يركض هو و«إسلام» ذاهبَين إلى القاعة...

***

بعينين دامعتين، وقفت «يسرا» في تلك الدائرة التي تحيط المنضدة التي جلس لها الشيخ «محمود» جانبه «علي» متجهم الوجه، يمينه يجلس «عبد الوهاب» هادئًا خلفه «ريم» التي تبكي، و«نجوى» التي تربّت على كتف «علي».

نظرت «يسرا» إلى «ريم» نظرة ثاقبة، لاحظت أنها عادت إلى القاعة منذ دقيقتين فقط، ودبلتها ليست في يدها.. أرادت أن تذهب لها، لكن هول الموقف جعلها تنتظر.. كل شيء سيعود إلى مكانه الطبيعي، لكن ليس الآن.

جانب المأذون الأيمن جلس زوج خالة «سارة» وجانبه خالتها، وبعض من رجال العائلة الذين لا تعرفهم «يسرا».

قال المأذون يقطع ذلك الصمت الكئيب، وهو ينظر إلى «علي» نظرة حزينة:

-متأكد يا ابني؟ يمكن يبقى عندها عذرها!

ابتسم «علي»، نظر إلى «يسرا» نظرة حانية فاجأتها، ثم التفت إلى الشيخ «محمود» وقال:

-أنا عارف إن عندها عذرها.. ومسامح فيه يا سيدنا الشيخ.

ونظر إلى الجميع وقال وهو ينظر إلى الخالة وزوجها بهدوء:

-«سارة» أنضف بني آدمة في الدنيا.. بس أنا اللي ماستاهلهاش.

دمعت عينا الخالة، بدا التقدير في عينَي زوجها، في حين قال «عبد الوهاب» بغضب:

-إيه اللي بتقوله ده يا «علي».. إنت تستاهل أحسن منها مليون مرة!

نظر الشيخ «محمود» إلى «عبد الوهاب» بغضب، فصمت «عبد الوهاب» وشوّح بيده، قال المأذون بهدوء في محاولة أخيرة منه لتعطيل الإجراءات:

-عاوز 3 صور ليك وصورة بطاقتك والقسيمة.

بدا على «علي» الحيرة، تلفّت حوله وقال:

-أكيد مش مجهز ده!

أخرج «عبد الوهاب» من جيب بذلته رزمة من الأوراق ومدها للمأذون قائلًا:

-ده كل الورق.. حتى صورة بطاقة «أحمد» بيه جوز خالتها

ووكيلها.

التفتوا له جميعًا في دهشة حتى المأذون، فقال «عبد الوهاب» بهدوء:

-أنا مش بقالي 3 ساعات قاعد بلعب.. خليت السكرتيرة تبعتلي كل الورق اللي جوزناهم بيه إمبارح وتجيبه.

وقال بهدوء مشيرًا إلى القسيمة:

-عشان كده هتلاقي دي القسيمة الورق.. لسه مادخلتش حتى كمبيوتر.. بس كده كده هم مالحقوش يتجوزوا عشان يتطلقوا!

بدا الحزن والغضب على الشيخ «محمود»، تنحنح قليلًا، نظر إلى كل الوجوه حوله، ثم قال بهدوء:

-إن أبغض الحلال عند الله الطلاق...

قال «عبد الوهاب» بعجالة:

-عارفين يا سيدنا الشيخ.. انجزنا معلش عاوزين نخلص.

همّ المأذون بالرد عليه، لكن رأت «يسرا» ما جعلها تشهق، وهي تنظر إلى باب القاعة...

التفت الجميع حيث تنظر هي، ونهض «علي» مسرعًا...

ليرى بعينيه ذلك المشهد، الذي كان يحلم به منذ ثلاث ساعات فقط.

كانت «سارة» واقفة أمام باب القاعة، بفستان زفاف أهلكته

الأتربة.

تنظر لهم بعينين باكيتين...

الثالث والعشرون

11:40 مساءً

«وندوب.. لحد ما نبقى مش عارفين نتفارق».

صرخت «راوية» خالة «سارة» وهي تنهض من مقعدها بلهفة، حتى إن الكرسي وقع خلفها، وركضت بقوة حتى وصلت إلى «سارة» واحتضنتها بقوة.

استسلمت «سارة» لعناقها كجثة هامدة لا تستطيع أن تنطق بكلمة.

عادت لهم وكل ذرة في كيانها مستنفذة.

دمعت عيناها وهي ترى أهلها، ولا تشعر بأنها منهم.

توقعت أنها ما إن ترى خالتها «راوية» وزوجها «أحمد» و«يسرا»، ستشعر بأنها عادت إلى أهلها ومكانها الآمن.

لكن كل ما تفكر فيه أنها تريد أن تذهب له أينما كان.

واستهلكها ذلك الشعور الجارف أكثر...

اقترب أهل «سارة» تسبقهم «يسرا» مسرعة، في حين همّ «علي» بالنهوض، لكن «عبد الوهاب» أمسك يده مانعًا إياه من الحركة، لينظر له «علي» مستنكرًا.

نظرت «سارة» بعينين دامعتين إلى عينَي «يسرا» التي اقتربت وعلى ملامحها قلق، وتقول:

-حمد لله على السلامة...

نظرت لها «سارة» كطفلة تائهة، قالت بصوت متحشرج لـ«يسرا»:

-أنا ماقدرتش أفضل هنا.. مكاني مش هنا!

أومأت «يسرا» برأسها متفهمة، أخذت «سارة» في حضنها

وأخذت تمسح على شعرها.. اقترب الرجال منهما واقترب «أحمد» زوج خالتها، في حين ظل «عبد الوهاب» و«علي» و«ريم» واقفين يراقبون من بعيد، يرتسم على ملامحهم الحيرة.

قال «أحمد» بصوت هادئ، لكن يحمل في طياته ندمًا ما:

-ماينفعش اللي حصل ده يا «سارة».. إنت عزّتينا قدام الناس كلها!

صرخت «راوية» فيه وهي تمسك ذراع «سارة»:

-مش عاوزة أسمع كلمة لحد ما أعرف الحيوان اللي هناك ده عمل فيها إيه خلاها تهرب.

شعرت «سارة» بالألم من اتهام «علي» بأنه مَن أخطأ، لكنها كانت في حالة من الجمود جعلتها تربِّت على ذراع «راوية» كي تجعلها تصمت، لم تستطع النطق وهي مستسلمة لعناق «يسرا» وتربِيتها على ظهرها، شعرت بضغط اليوم كله يرهق روحها؛ بكائها طوال طريق الرجوع، افتقادها لـ«ياسين» الذي أخذ من طاقتها أكثر.. كل هذا جعلها لا تستطيع مواجهة أي شيء الآن.

بدأت في التحرك يراقبها الجميع في توجس، وجهها الباكي وبياض فستانها الذي ملأته الأتربة جعلاهم يدركون أن هناك حدثًا جللًا، اتجهت ناحية المنضدة الكبيرة خلفها عائلتها كلها. كانت عيناها ثابتتين على عينَي «علي» المتعاطفتين.. ساد صمت مترقب حتى وقفت هي في منتصف القاعة كأنها لم تعد قادرة على السير أكثر من هذا.. تسندها «يسرا» من جانبها وتحيطها بذراعيها.

قالت بابتسامة حزينة وهي تنظر إلى «علي» ولا ترى سواه:

-أنا حاولت.. بس ماقدرتش.

نهض «علي» من مقعده، شعر بصدره ينفرج لأول مرة منذ بداية اليوم، قال ما لم يتوقعه:

-أنا عارف.. «يسرا» قالتلي...

ثم ابتسم بحزن وهو يشير إلى المأذون الذي ينظر لهما في محاولة للفهم:

-إحنا هنتطلق يا «سارة».. طلاق محترم.. زي عيلتي وعيلتك.

وهبطت دمعته رغمًا عنه وهو يكمل بابتسامة:

-واعتبري طلاقنا هدية جوازنا.. مني ليك.. هنتطلق ومش هشيِّلك حمل أكتر من اللي إنت شايلاه.

سرت قشعريرة في جسد «سارة» كله، وهي ترى عينيه المتعاطفتين، شعرت براحة غير طبيعية أنه يفهم.. لا يريد أن يحمِّلها مزيدًا من الذنب.

ابتسم «علي» وهو يمسح دمعته ويقول بسخرية:

-بس ابقي بلغي «ياسين» إن المرة دي.. أنا اللي انسحبت ومشيت في سلام.. وطلعت أرجل منه.

دمعت عينا «سارة» في تأثر، في حين فلتت من قلب «يسرا» دقة وهي ترى «علي» يقول ما قاله.

صاحت «راوية» فجأة تقطع كل ما تم وصله بينهما وهي تسحب ذراع «سارة» مشيرةً إلى «عبد الوهاب»:

-إيه اللي بتقولوه ده؟ «ياسين» مين؟ يا «سارة» كانوا بيغلطوا في شرفك بطريقة وسخة!

وانضم «عبد الوهاب» الذي لم يكن ليترك تلك الفرصة لتمر، نهض وصاح بكل غضبه:

-قسمًا بالله لو غلطتِ فينا لأهد الفرح ده على راسكم كلكم!

قال «أحمد» بعصبية وقد فاض به الكيل:

-ما تحترم نفسك بقى يا «عبد الوهاب».. أنا ساكتلك من الصبح!

وأشار إلى «سارة» خلفه وهو يكمل:

-البنت رجعت دلوقتي.. وهنعرف كل حاجة.. وساعتها هنشوف مين فينا اللي هيهد الفرح على دماغ التاني!

أرادت «سارة» أن يصمتوا جميعًا، اعتدلت من عناق «يسرا»، همّت بفتح فِيها، لكن فجأة اقتحمت «أمل» القاعة وركضت تجاه «عبد الوهاب» مباشرةً وهي تصرخ صرخة بلا معنى...

التفت الجميع إلى «أمل»، التي ركضت حتى وصلت إلى «عبد الوهاب»، الذي نظر لها نظرة متفاجئة، أمسك «أمل» ذراعه ونظرت له نظرة راجية:

-الحقني يا أنكل.. «محمد» اتجنن وعاوز يموّتني!

نظر لها «عبد الوهاب» نظرة استنكارية، في حين نظرت «أمل» إلى المأذون مكملة:

-أبوس إيدك طلقنا يا سيدنا الشيخ!

ضرب المأذون كفًا بكف وهو يصيح بصوتٍ عالٍ:

-لا حول ولا قوة إلا بالله.. أعوذ بالله من غضب الله.. إيه الأيام دي؟!

أدركت «أمل» أن كلمة «يموِّتني» معتادة في الثقافة المصرية، عندما تصرخ فتاة وتقول إن هناك شخصًا ما يريد أن «يموِّتها» فهي كلمة معتادة تعني الضرب أو القسوة، أدركت من ردود أفعالهم أنهم يعتقدون ذلك، فقالت صارخة:

-معاه مسدس.. عاوز يموِّتني بجد!

التفتوا لها بحدة وعدم تصديق، ليدخل «محمد» القاعة بخطوات سريعة، التفتوا له جميعًا، انتفضت «أمل» وخبأت جسدها خلف «عبد الوهاب»، وهي تهمس برعب:

-أنا في حمايتك يا أنكل.. أبوس رجلك!

اعتدل «عبد الوهاب» وهو ينظر إلى «محمد» الذي وقف عند باب القاعة.

وساد الصمت تمامًا...

***

وقف «محمد» لحظاتٍ عند الباب، عندما رأى الجميع ينظر له بقلق؛ «يسرا» التي تنظر له بحرص، «أمل» التي اختبأت خلف «عبد الوهاب» وذلك الصمت الذي ساد...

فعرف أن تلك اللعينة أخبرتهم بكل شيء...

أدرك أنه في تلك اللحظة تحديدًا، لم يعد من أبطال القصة الأخيار.

لكنه ابتسم...

ذلك الخوف المرتسم على وجوههم جعله يدرك أن له سيطرة ما...

تنحنح وابتسم بثقة، سار بخطوات بطيئة تردد صداها في القاعة كلها، مما جعله يشعر بنشوة أكبر.

وقف أمام «عبد الوهاب»، الذي ينظر له نظرة متفحصة، مد يده وقال بنبرة صارمة:

-عاوز مراتي!

اقتحم «عاصي» و«إسلام» و«آية» القاعة راكضين، شعر «محمد» بأن نظرة «عبد الوهاب» تتحول عنه، فالتفت ليجد «إسلام» و«عاصي» يقتربان مسرعَين، فأشار بطول ذراعه لهما قائلًا بصرامة:

-ماحدش يقرب!

توقف جسداهما على بُعد أمتار منه، نبرته الآمرة جعلتهما يتسمّران، في حين ابتسم «محمد» وهو يعطيهم ظهره وينظر إلى «عبد الوهاب» مباشرةً ويكمل:

-الحوار دلوقتي بقى حوار بين الناس الكبيرة.. العيال ماينفعش يتدخلوا!

ونظر بطرف عينه إلى «سارة» التي اعتدلت وسط النساء وتنظر له بقلق، ثم قال لـ«عبد الوهاب»:

-طلقت ابنك من الصايعة اللي هناك دي؟

انعقد حاجبا «سارة» وهي تنظر إلى «محمد»، في حين هبّ «علي» واقفًا، فمنعه «عبد الوهاب» من الحركة، وابتسم وهو ينظر إلى عينَي «محمد» بنظرة خبيرة، أدرك أن «محمد» الآن هو ليس ذلك الصديق والزوج الحنون، بل هو رجل فقد اتزانه بشكل ما، لذا قال بهدوء وحرص:

-لسه هيتطلقوا!

أومأ «محمد» برأسه في تفهم، مد يده ثانية لـ«أمل» التي تقف خلف «عبد الوهاب» وقال:

-عاوز مراتي عشان نروح بيتنا.

شعرت «أمل» بأنفاسها تتجمد، كل ذرة في جسدها ترتجف، شعرت بأنها وحدها تمامًا، كل مَن حولها -عدا «سارة» و«يسرا»- لن يفعلوا شيئًا من أجلها، شعرت بأنها تفتقد والدها رحمه الله، وأخاها الذي سافر كي يعمل في دبي.. هما مَن كانا سيقفان أمام جنون زوجها الآن.

كان «عبد الوهاب» دائمًا ما يعاملها بتحفظ وصرامة لم تفهمهما، لكنها كانت تشعر بهما دائمًا.

عندما ساد الصمت، صاح «محمد» ثانيةً بقوة:

-عاوز مراتي.. في إيه؟!

شعرت بظهر «عبد الوهاب» ينتصب في قوة، ولم تصدق «أمل»

أذنها وهي تسمع نبرته الصارمة قائلًا:

-هي مش عاوزاك يا ابني.. واتحامت فيا!

وارتجف صوته رغمًا عنه، من تضارب المشاعر داخله، وهو يقول بصرامة:

-وهي زي بنتي.. يعني اللي يئذيها يئذيني.

سرت قشعريرة في جسد «أمل» كله، ودمعت عيناها، وهي لأول مرة في حياتها تشعر بإحساس كلمة «أب».

قال «محمد» وهو يشعر بصراع داخله، بين احترامه الدائم لمن هم أكبر منه، ورغبته في إنهاء كل ألمه:

-أنا جوزها.. ماحدش كبيرها غيري.. دي الأصول يا عمي!

وصاح بصوتٍ عالٍ لم يستطع السيطرة عليه:

-كلمة ربنا فوق.. وكلمتي أنا تحت.. عشان أنا جوزها.

ارتجفت «أمل» في خوف وهي ترى «محمد» بنظرته المخيفة، شعرت بأن «عبد الوهاب» الذي دائمًا ما يُحدِّثهم بالأصول، سيجد منطقًا ما في كلام «محمد» ويسلمها له، أمسك ذراع «عبد الوهاب» في حركة لا إرادية، ساد الصمت لحظاتٍ...

-عمرها ما كانت كده.. ماتتكلموش عن ربنا وإنتم مش فاهمين حاجة عن دينه!

وجدت «أمل» كتف الشيخ «محمود» تظهر أمامها، تخفيها عن عينَي «محمد»، وقف الشيخ «محمود» جانب «عبد الوهاب» في

إعلان صريح للحرب، وهو يكمل كلمته:

-الست لو مش طايقة جوزها.. تسقط قوامته عليها.. ولو حكمت حد على جوزها.. لازم يتسأل.

صمت «محمد» تمامًا وهو ينظر إلى «عبد الوهاب» والشيخ «محمود»، وتلفَّت حوله في حيرة حقيقية...

يعرف أنه فقد جزءًا من اتزانه، لم يعد يبالي بكل ما يحدث.. لديه هدف واحد فقط.. أن يرى «أمل» صامتة إلى الأبد بطلقة من مسدسه.

ولن يسمح لأحد بأن يمنع ذلك حتى لو قتلهم جميعًا...

أدرك الآن فقط لماذا يقتل مَن يقتل، ولماذا يسرق مَن يسرق.

طوال عمله كضابط، كان يقر لكل مَن يقبض عليهم، أنه لا مبرر لجريمة مهما حدث.

لكنه يدرك الآن أنها مجرد لحظة...

كل ما يفصل بين الخير والشر هو لحظة اختيار.. موقف لا يزيد على ثوانٍ بسيطة.. تختار وقتها.

هل ستحافظ على نفس الشخص الذي بنيته بمبادئه وقوانينه؟

أم ستستسلم لذلك الشيطان القابع داخلك وتترك له فرصة الانفجار؟

قال «عبد الوهاب» مشيرًا إلى «علي» بنبرة خاصة:

-«علي».. خد أمك وأختك و«سارة» وأهلها واتحاسبوا بره...

قال «علي» بنبرة حاسمة:

-مش هاسيبك يا بابا...

ليصرخ «عبد الوهاب» بنبرة آمرة:

-خدهم واطلع بره.. خلص اتفاق الطلاق مع أهل «سارة» وارجعوا عشان نطلّق.

أدركوا جميعًا ما يفعل.. كلمة «أمل» أن هناك مسدسًا معه جعلتهم جميعًا يتخشبون.. «عبد الوهاب» يريد أن يحميهم، يريد أن يؤمّن مَن يستطيع تأمينه حتى يتم حل الموقف.. مضحيًا بوجوده مع «محمد» في جنونه وحده.

لم يشعر «محمد» بأن هناك شيئًا ما خطأً فيما يحدث، كل تركيزه كان منصبًا على «أمل» خلف «عبد الوهاب» والمأذون.

أدرك «علي» رسالة أبيه، فكر في نفسه لحظةً أنه ما إن يخرج سيجمع أمن الفندق ويطلب الشرطة لينقذوا «محمد» من جنانه، أومأ برأسه إيجابًا، تحرك بسرعة مشيرًا إلى البقية القليلة الباقية من عائلة «سارة»، وسحب «علي» «ريم» وأمه، معهما «سارة» و«راوية»، واتجهوا إلى الباب ببطء.

قال «عبد الوهاب» مشيرًا إلى «عاصي» و«إسلام»:

-روحوا معاهم يا ولاد عشان لو اتخانقوا.

قال «عاصي» بنبرة لا تقبل نقاشًا وهو ينظر إلى ظهر «محمد»:

-إحنا هنفضل معاك يا عمي.

قال «إسلام» بنبرة هادئة:

-على الأقل نشهد على الطلاق.

انعقد حاجبا «محمد» في غضب، وهو يشعر بأن هناك شيئًا ما يحدث لا يفهمه...

تحرك «أحمد» زوج خالة «سارة» مع عائلته متجهًا إلى باب الخروج، ثم توقف لحظةً ونظر إلى «عبد الوهاب» الذي يقف شامخًا جانبه الشيخ «محمود»، نظر إلى الأرض لحظاتٍ وابتسم في رضا، ثم وبخطوات حاسمة عاد ليسير باتجاه «عبد الوهاب» الذي قال له بجدية، بنظرة خاصة أن يبتعد عن دائرة الخطر:

-إنت وكيل «سارة».. اتفق مع ابني و...

قاطعه «أحمد» بابتسامة صارمة واثقة:

-العيال تتفق.. وإحنا ننفذ.

ووقف جانبه وهو يقول بنبرة خاصة أيضًا:

-ما ده نصيبنا يا «عبد الوهاب».. العيال يعملوها وإحنا نلم وراهم.. أنا مش هاسيبك تشيل لوحدك.

وبذلك الكلام الذي لم يفهمه سواهما، اتفق الرجلان على أنهما سيواجهان الخطر معًا.

كعائلة واحدة تحمي مَن خُلقوا لحمايتهم.

خرج معظم الموجودين، ليبتسم «محمد» ابتسامة واسعة، ويقول فجأة بصوتٍ عالٍ:

-«علي»...

توقف «علي» ونظر له، فالتفت «محمد» له وقال بهدوء وقد أدرك كل شيء مرة واحدة:

-أمن الفندق كله في جيبي وقلتلهم ماحدش يتدخّل بأمر مباشر.. وبلغت في قسم التجمع إن ماحدش ييجي.. عشان أنا هنا.

وبابتسامة خبيثة عاد لينظر إلى «عبد الوهاب» ويكمل:

-وقايلهم يأمّنوا خروجي مع الناس لو احتاجت.. ويحموني من اللي خاطفين مراتي!

ليشعر «علي» بأن كل ما خطط له سيذهب أدراج الرياح، لكنه أمسك يد «ريم» التي نظرت إلى «عاصي» بقلق.. وأمه التي تنظر إلى «عبد الوهاب» في خوف.. تاركًا القاعة التي تحولت إلى مكان به قنبلة موقوتة...

بين «أمل» و«محمد».. و«عبد الوهاب» والشيخ «محمود» و«أحمد» و«عاصي» و«إسلام»...

***

الرابع والعشرون

11:50 مساءً

«نخاطر.. لحد ما نبقى مش خسرانين حاجة».

شهقت «نجوى» بفزع أول ما خطت قدماها خارج القاعة، أمسكت ذراع «علي» وقالت برعب:

-أبوك يا علي.. الحق أبوك.

ربّت على يدها يحاول أن يطمئنها، للحظة قرر ألا يصدق أي شيء يقوله «محمد»، ذهب بخطوات سريعة مارًا بجوار «سارة» التي تابعته بنظرها في قلق، ذهب بسرعة إلى رجل من أمن الفندق وأمسك كتفه قائلًا:

-دلوقتي فيه واحد جوه معاه مسدس.. عاوزين نحمي أهالينا منه.

نظر له الرجل لحظات، ثم قال ببرود:

-العقيد «محمد» مسدسه مرخص، وهو بيأمن المكان.

وقال بنبرة فيها من الحرص والأمر المباشر ما جعل «علي» لا يصدق:

-حاولوا تحلوها ودي يا باشا.. عشان الموضوع خرج بزّانا!

نظر له «علي» في عدم تصديق، ثم تركه وانصرف عائدًا إلى أمه المنهارة.. نظر حوله، تأكد أن لا أحد من المتبقيين في الفرح ما زال بالداخل.

شعر بالعجز لحظاتٍ، لكنه نظر إلى كل الفوضى حوله، رفض أن يصدق كلام رجل الأمن للمرة الثانية، أمسك هاتفه المحمول وطلب الرقم الوحيد الذي يعرفه «علي» ويستطيع إنقاذه مما هو فيه الآن، انتظر الجرس الطويل في قلق حتى أتاه الرد، فقال بلهفة:

-اللوا «سامح عبد السميع».. أيوه يا أنكل أنا «علي» ابن الدكتور «عبد الوهاب».

سمع الرد وهو يومئ برأسه إيجابًا، وقال بسرعة:

-أيوه يا حبيبي اللي عملك العملية من شهرين، حضرتك قلتلنا نكلمك لو حصل أي مشكلة.. ودلوقتي إحنا في مشكلة كبيرة...

سار في الممر وسط الزحام الذي امتلأ به الممر بعد خروج الجميع، حكى بسرعة كل ما يحدث، لمح «علي» بطرف عينيه «يسرا» وهي تسير مسرعة تحاول الدخول إلى القاعة مستغلةً زحام الخارجين منها، انتفض قلبه في خوف، قال لـ«سامح» كل شيء، طمأنه قليلًا أنه سيتصرف، أغلق الهاتف معه وهناك أمل ضئيل داخله.

وما إن أغلق الهاتف حتى حث السير وسط الزحام بسرعة كي يستطيع اللحاق بـ«يسرا» -تلك المجنونة- قبل أن تدخل القاعة.

***

وقف «محمد» ينظر إلى «عبد الوهاب» و«أحمد» والشيخ «محمود» نظرة ساخرة، ما إن فرغت القاعة من كل مَن فيها، قال بسخرية:

-خلاص أمّنت الناس بتوعك؟

مد يده وقال بصرامة:

-عاوز مراتي يا عمو بعد إذنك!

نظر «عبد الوهاب» إلى الأرض لحظةً ثم قال ببسمة:

-لازمتها إيه عمو وإنت بتزعق كده؟!

وقال بصرامة وهو يرفع رأسه، وبصوت أعلى من صوت «محمد»:

-لما الكبير يتكلم تخرس يا «محمد» يا «إسماعيل»!

انتفض «محمد» من صوت «عبد الوهاب» الجهوري، شعر بكل ما بداخله ينقسم إلى نصفين؛ نصف مجنون يريد أن يخرج مسدسه ويطلقه على رأس «عبد الوهاب»، ونصف نشأ منذ صغره على تربية أصيلة يضع الكبير فوق رأسه مهما فعل، اهتز قليلًا ولم يدرِ ما يقول، لذا أكمل «عبد الوهاب» وهو يعود بظهره ويضع يديه على كتف «أمل» ويلصقها به:

-بنتي مش هتمشي معاك.. غير لو قالت إنها عاوزة تمشي معاك.. هي اللي هتقول عاوزة تفضل معاك ولا تسيبك.

ثم بصوتٍ صارم:

-قوليله في وشه عاوزة إيه يا «أمل»!

ابتلعت «أمل» ريقها، نظرت إلى عينَي زوجها المشتعلتين غضبًا، شعرت بأن الكون كله يعتمد على إجابتها الآن...

شعرت بثقل الكلمة يطبق على صدرها.

بيتها.. أولادها.. عشر سنوات من عمرها تعتمد على كلمة.. تهد كل شيء في عالمها في ثوانٍ!

قال «أحمد» بصرامة وهو يقف جانبها لينظر إلى «محمد»:

-ماتخافيش.. إنتِ في حمانا...

اشتعلت عينا «محمد» أكثر، ليرتعش صوت «أمل» وتقول:

-عاوزة أتطلق.. وهاسيبله كل حاجة عشان غلطانة.. بس يسيبلي عيالي.

صمت «محمد» تمامًا، ونظر إلى الأرض لحظاتٍ طالت، رفع رأسه ثانيةً وقال وهو ينظر إلى الشيخ «محمود» المأذون مباشرة:

-إيه حكم الدين في الزوجة الزانية يا سيدنا الشيخ؟ مش الإمساك؟ مش الدين بيقولي أخليها على عصمتي وأساعدها تتوب وتلاقي طريق التقوى؟ ولو هي فضلت مصرة على الذنب أطلقها؟

نظر له الشيخ «محمود» وهز رأسه مستنكرًا، في حين انقبض قلب «أمل» من السؤال، تراخت يد «عبد الوهاب» من على كتفها، نظر لها مستنكرًا وابتعد قليلًا دون أن يشعر.

لتشعر «أمل» بأن دفء حمايته يُستبدل ببرودة الوحدة...

ابتسم الشيخ «محمود» لحظاتٍ، وقال بصوتٍ عالٍ وهو ينظر إلى «محمد»:

-بقاله قد إيه ماقامش بحقوقك الشرعية معاك يا بنتي؟

ارتجفت «أمل» من ضعف موقفها، وقالت:

-8 سنين يا مولانا.

صاح «محمد» في غضب:

-إنت بتبرر الخيانة يا مولانا؟!

قبل أن ينطق الشيخ «محمود»، قال «عبد الوهاب» بغضب:

-مالهاش تبرير.. إنتوا الاتنين ولاد كلب.. وإنتوا الاتنين لازم تتربوا من أول وجديد.

وقال بصرامة مكملًا وهو يسحب كرسيًا ويجلس عليه مشيرًا إلى المأذون:

-ولازم تتطلقوا وتريحونا من القرف ده!

لم يعد «محمد» من داخله منقسمًا إلى نصفين؛ سيطر عليه النصف الذي يريد قتلها، لذا دون كلمة واحدة، أخرج مسدسه وصوّبه تجاههم وهو يقول ببرود:

-مابحبش أكرر أوامري كتير...

وقال بلا مبالاة:

-عاوز مراتي يا «عبد الوهاب»!

وابتسم بسخرية مكملًا، أمام عينَي «عبد الوهاب» اللتين تعلقتا بالمسدس:

-عشان إنت مش عجباك عمو بس!

وهذه المرة، رأته «أمل» يزيح زر الأمان في المسدس.

هذه المرة لا يهدد على الإطلاق...

***

ركض «علي» ناحية «يسرا» وأمسكها من ذراعها قبل أن تفتح

الباب وتدخل القاعة، صاح بها:

-بتعملي إيه؟!

قالت «يسرا» بعصبية:

-مش هاسيب باباك و«أمل» لوحدهم.. هاخش أحاول أحل.. أنا بعرف أكلم «محمد».

نظر إلى عينيها لحظاتٍ، ثم قال بنظرة راجية:

-طيب أنا هاخش أنا.. خليك إنتِ هنا في أمان.

خفق قلبها لحظةً، لكنها تجاهلت ما تشعر وقالت بهدوء:

-ماتقلقش عليا.

واستعادت ابتسامتها الساخرة، وتقول كأنما تُذكّر نفسها قبل أن تُذكّره:

-ماحدش بيقدر ييجي على رقاصة!

نظرا إلى بعضهما بعضًا لحظاتٍ، ثم دون مقدمات أمسك ذراعها وجذبها له ليحتضنها.

لم تفهم «يسرا»، لكنها ما إن استكانت في عناقه، حتى شعرت بدقات قلبها تعلو والدفء يسري في أوصالها.

همس لها:

-كفاية إنقاذ فينا.. خدي بالك على نفسك شوية.. دور رقاصة بس شريفة ده قدم قوي!

وأكمل وهو يضغطها على صدره أكثر:

-«بحر» مات عشان هو كان عاوز يموت.. مش معنى كده إنك تمشي تلحقي في أصحابك وتيجي على نفسك!

وأخرجها من صدره وقال وهو يبتسم:

-ماتزعليش مني.

لم تفهم، لتجده فجأة يدفعها بعيدًا حتى إنها سقطت على ظهرها وهي تشهق من المفاجأة، قبل أن يفتح هو باب القاعة، ويدخل مسرعًا ثم يغلقه خلفه بذلك الزر الكبير الذي يغلق القاعة.

وهاله ما رأى...

وجد «محمد» يُصوِّب المسدس إلى والده و«أمل» و«أحمد» والمأذون، و«إسلام» و«عاصي» يقفان على مسافة بعيدة متأهبَين للهجوم...

مع صوت الباب التفَّ «محمد» له، صوَّب ناحيته المسدس وقال صارخًا:

-تعالى...

انتفض قلب «محمد» وهو يسمع صوت الرتاج يُفتح، ثم وجد الباب يُفتح بقوة و«يسرا» و«سارة» تدخلان، و«يسرا» تقول:

-القفل من الناحيتين يا أذكى إخواتك!

وعندما نظرت إلى ما يحدث، ونظرة «علي» المذعورة لها، صمتت تمامًا.

أغلق «علي» الباب خلفها.. في حين وقفت «سارة» تنظر إلى «محمد» الذي أشهر مسدسه وأخذ ينقله بينهم جميعًا في حركة متوترة.. في حين وقف «علي» أمام «يسرا» في حركة غريزية لم يلحظها.

«سارة» هي مَن شعرت بذنب رهيب.

كل هذا يحدث بسببها...

لو لم تهرب منذ ساعات، لما انقلبت الدنيا بتلك الطريقة، وتعرّض حياة كل مَن يعرفها للخطر.

عندما رأت ذلك الموقف العبثي الذي لم تَرَه من قبل إلا في الأفلام والمسلسلات، شعرت بأن هناك شيئًا خطأً في كل ما يحدث.. ولا بد أن تحاول إصلاحه بأي شكل.

فهذا ما كان يفعله «ياسين» دائمًا في تلك الشلة الحمقاء...

قالت «سارة» بحيرة وهي تندفع ناحية «محمد»:

-إنت بتعمل إيه يا «محمد»؟. سيب اللي في إيدك ده.. إيه اللي حصل لكل ده؟!

لم يستطع «محمد» أن يتحمل أكثر من ذلك.

لذا دون كلمة، رفع مسدسه إلى السقف وأطلق طلقة رصاص، انتفضت أجسادهم من دوي صوتها العالي، وجعلت جميع مَن في القاعة يتسمر مكانه...

صرخ وهو يُشوِّح بيده، وقد خسر نصفه الطيب المعركة تمامًا:

-أقسم بالله هاقتل أي حد يقرب!

مع صرخته، وحركة يده وسط عصبيته وجنونه.. انطلقت طلقة غادرة أخرى بالخطأ...

انتفضوا للمرة الثانية من صوتها.. لكن تلك المرة سمعوا تلك الشهقة...

ودوّت صرخة متألمة.. عندما لمست الطلقة جسدًا بشريًا...

لتسيل الدماء على أرض القاعة...

***

وقفت «ريم» تحاول أن تهدئ من روع «نجوى» أمها، التي كانت تبكي بحرقة بعد أن تركها «علي». فجأة وضعت الأم يدها على صدرها وقالت وأنفاسها تتسارع:

-مش عارفة آخد نفسي.. مش عارفة آخد نفسي...

شعرت «ريم» بالعجز وكل ما يحدث حولها خارج نطاق أي عقل بشري.. نظرت حولها تستنجد بأي أحد، لكن كل مَن في الممر انشغلوا عندها وقد ازدحم المكان بمن تبقى من مدعوين.

نظرت إلى أمها التي أصابتها نوبة ذعر، أمسكت رأسها ونظرت في عينيها وقالت باكية:

-ماما عشان خاطري اهدي.

ظلت الأم تحاول أن تتنفس ولا تستطيع، تنظر إلى أبنتها نظرة

راجية.

لتشعر «ريم» بالعجز أكثر...

فجأة وجدت يد فتاة تمسك يد أمها، نظرت الأم إلى «آية» في حيرة، لتجد «آية» تبتسم برقة وتقول بهدوء:

-إنت لامسة الأرض بجسمك دلوقتي.. وحاسة بإيديا على إيديكِ صح؟

أومأت الأم برأسها، فقالت «آية» بنبرة هادئة:

-فستاني لونه إيه؟

لم تفهم الأم، لكنها نظرت إلى الفستان قالت:

-أحمر وعريان شوية.

ابتسمت «آية» وأكملت دون أن تتوقف عند الرد:

-ملمس الموكيت في إيدك عامل إزاي؟

نظرت الأم إلى يدها التي تستند إلى الأرض، ثم قالت في حيرة:

-ناعم بس مليان تراب.

نبرة «آية» الهادئة طمأنتها قليلًا، كانت «آية» تتنفس بشكل طبيعي أمامها، لذا بدأت الأم تحاكي تنفُّسها، لينتظم تمامًا بعد دقيقتين. ابتسمت «آية» وقبّلتها في وجنتها أمام عينَي «ريم» الغاضبتين، وقالت «آية»:

-حمد لله على السلامة يا طنط.

ابتسمت لها الأم في امتنان. وقفت «آية» ونظرت إلى «ريم» قائلة بابتسامة ودودة:

-اللي عملته ده اسمه grounding.. لو حصل لأي حد حواليك panic attack ابقي اعمليه معاهم.

لم تزد «ريم» وهي تشيح برأسها بعيدًا، قالت الأم وهي تأخذ نفسًا عميقًا:

-ربنا يحميك يا بنتي.

ربّتت «آية» على يد الأم بحنان، نظرت إلى «ريم» التي تهرب من النظر لها، وقالت بهدوء:

-بعد إذنك عاوزة أتكلم معاك.

قالت «ريم» بعصبية:

-مافيش كلام يتقال!

ابتسمت «آية» وقالت بإصرار:

-أنا مش جاية بأي نية وحشة.. بس عاوزاك تسمعيني وتقرري بعدها.

حكت لها كل شيء، أمام نظرة «ريم» المتشككة، أخبرتها كيف تقابلا، وكيف أنها طوال هذا الوقت كانت تحاول أن تجعله يخونها بسبب محتواها، تسمعها «ريم» بحيرة، والصراع داخلها يكبر رغم كل شيء.. حكت «آية» أن «عاصي» لم يخُنها قط، لكنه تحول فجأة بعدما قالت له إنه سيظل كما هو مهما فعل.

لتومض فجأة في عقل «ريم» تلك الكلمة التي تركتها له على صورتهما منذ عشر سنوات:

«سأظل أراك هكذا مهما فعلت...».

ارتجف جسدها كله وهي تدرك أنها لم تعد تراه من الأساس.. تذكرت كيف كان «عاصي» يهرب من وفاة أبيه بكل تلك الإباحية في تصرفاته، وأنها الوحيدة التي كانت تراه بكل ما هو نظيف داخل روحه.. وما إن أحبها وخطبها.. تركت خوفها يسيطر عليها، فتراه خائنًا كما رآه جميع مَن ظلموه قبلًا.

وأدركت أنها خسرته إلى الأبد دون أن تدري.

دمعت عيناها لتنظر لها «آية» في حنان، همّت «ريم» بأن تقول شيئًا ما...

ثم دوّى صوت الرصاصة بالداخل...

انتفضت أجسادهن، أمسكت الأم ذيل فستان «ريم» برعب، ولم تمر أكثر من ثانيتين ليسمعن صوت الرصاصة الثانية...

لتصرخ النساء في المكان، ويبدأ الجميع في الركض خارج الممر ومبنى القاعات كلها...

***

الأبيض هو أكثر الألوان التي يظهر فيها اللون الأحمر بشدة.

هكذا فكرت «سارة» وهي ترى الدماء تسيل من جانب بطنها، أسفل القلب بمسافة ليست ببعيدة.

لم تشعر بأي ألم!

في البداية فقط، سمعت صوت الطلقة، ثم شعرت بخيط من النيران يضربها أسفل صدرها.. شهقت من الألم.. ثم رأت الدماء تسيل وتملأ اللون الأبيض لفستان الزفاف.

وضعت يدها بتلقائية على مكان الدم، وتهاوت قدماها...

وانفجر الموقف كله...

ما إن رأت «يسرا» صديقة عمرها والدم يظهر في فستانها، دفعت «علي» جانبًا وركضت لها صارخة، هبّ «عبد الوهاب» واقفًا وهو يصرخ:

-إنت اتجننت؟!

حدق «علي» في «سارة» مرعوبًا، تجمد جسده كله وهو ينظر إلى «محمد» الذي حدق في مسدسه غير مصدق تلك الطلقة الغادرة التي خرجت منه...

مَن تحرك بالفعل كان «عاصي» و«إسلام».

منذ أن بدأ الموقف وهما ينظران إلى بعضهما بعضًا ويقتربان اقترابًا مدروسًا.. خطوات بسيطة لا يلحظها «محمد» في أثناء حديثه مع «عبد الوهاب» والمأذون، عندما أطلق «محمد» رصاصته الأولى شعر «عاصي» بالخوف يضرب أوصاله، لكن شيء غريزي داخله جعله يندفع بخطوات سريعة تجاهه.. ليكون قد اقترب بشدة عندما خرجت الطلقة الثانية لتستقر في «سارة».

فلم يتحمل «عاصي» و«إسلام»...

وركضا تجاهه...

لذا عندما حدق «علي» في «محمد» بغضب، ووجد «محمد» ينظر غير مصدق لما حدث، لم تمر ثانية ووجد «عاصي» يمسك يده الممسكة بالمسدس ويرفعها إلى أعلى، في حين يندفع «إسلام» بكتفه في وسط «محمد».. حاملًا إياه ليسقطا أرضًا.

وقع المسدس من يد «محمد» بسبب تلك الحركة المفاجئة.. ركض «علي» ناحيتهم.. كان ثلاثتهم على الأرض، «عاصي» يسيطر على ذراع «محمد»، «إسلام» بجسده كله يكبل بقية حركة جسده.

صاح «علي» فيهم:

-سيبه يا «إسلام»!

لم يعد «إسلام» يسمع لصوت العقل، تأكد أن «محمد» تكبلت حركته بسبب «عاصي»، جلس فوقه، نظر في عينَي «محمد» الميتتَين، بلا أي مشاعر، وصرخ فيه:

-هتفوق إمتى من دماغك دي؟!

ودون كلمة أخرى، لكمه في أنفه مباشرةً.. استقبل «محمد» اللكمة.. وسالت الدماء من أنفه، لكنه ابتسم بسخرية وهو ينظر إلى «إسلام» بتحدٍّ:

-لسه مش عارف تسترجل.. بنت أختي بتضرب أنشف من كده!

همَّ «إسلام» بلكمه مرة أخرى، لكنه وجد مرفق «عاصي» الممتلئ

بالعضلات يهوي بكل قوته على فك «محمد»، ليسمعوا جميعًا صوت فك «محمد» يحدث فيه شيء ما، وسِنة من أسنان «محمد» تطير جانبه، و«عاصي» يقول بغضب:

-بس أنا ضربي غبي!

صرخ «محمد» متألمًا، فصاح «علي» فيهما ثانيةً:

-سيبوه!

وركض تجاههم، أزاح «إسلام» من فوقه بكل قوته قائلًا:

-إحنا مش هنموّت بعض.. سيبوه...

لكن «إسلام» كان قد وصل إلى حالة من الغضب الأعمى، فدفع «علي» جانبًا، ونظر إلى «محمد» الذي يبتسم ابتسامة متحدية ويهمس:

-حد فيكم يسترجل ويريحني بقى!

ليهوي «إسلام» عليه بلكمة أخرى، متجاهلًا صراخ «علي»...

***

احتضنت «يسرا» «سارة» التي جلست على الأرض، تسيل الدماء من جانبها.. صرخت «يسرا» أمام عينَي «سارة» المتألمتين:

-«سارة».. عشان خاطري يا «سارة» لأ.. مش إنت وهو!

ابتسمت «سارة» في إعياء وهي تهمس:

-أنا كوي.. كويسة.. ماتقلقيش.

اقترب «عبد الوهاب» و«أحمد» منهما، لم يقل «عبد الوهاب» كلمة، نظر إلى الجرح أسفل صدر «سارة»، تفحصه بهدوء، ثم قال لـ«أحمد»:

-ماتقلقش... ده جرح سطحي.. الرصاصة حكّت فيها بس ماضربتش فيها.

قال «أحمد» بذعر:

-أمّال هي عاملة كده ليه؟

تحرك «عبد الوهاب» بعملية وهو يذهب بسرعة إلى إحدى المناضد، يأخذ من عليها منديلًا قماشيًا، يرشه بزجاجة من زجاجات الكحول المستخدمة في كل الأماكن المغلقة الآن، وأخذ المنديل، عاد به وضغط به على مكان الجرح، وقال:

-عشان الجرح مش صغير.. ولازم نوقف النزيف.

نظر إلى «يسرا» وقال بحنان:

-اهدي.. هي كويسة.

ونظر إلى «أحمد» قائلًا:

-خليك حاطط المنديل وإيدك هنا.. هاكلم الإسعاف يودوها المستشفى بتاعتنا جمبنا هنا.

وضع «أحمد» يده مكان يد «عبد الوهاب» وضغط على الجرح، حمد الله أن «عبد الوهاب» كان معهم في القاعة، استشاري الأنف والأذن والحنجرة، وصاحب مستشفى النسيم في التجمع، بل إنه

وافق على تلك الزيجة بعد رفضه الصارم لـ«ياسين المصري»، لهذا السبب بالذات.. مهندس البترول ابن الطبيب الشهير صاحب المستشفى.

ما نفع كل هذا الآن و«سارة» تكاد تذهب من بين يديه الآن!

راقبت «سارة» كل شيء بعينين مهتزتين.

شعرت بأنها تريد أن تذهب له...

تريدهم أن يتركوها تذهب له...

لو كان الواقع بهذا السخف، فلا بد أن الحياة عنده أفضل كثيرًا.

دخل أناس القاعة بعد سماع الرصاص، رأت من بعيد «ريم» وفتاة بفستان أحمر لا تعرفها، و«نجوى» يدخلن، وما إن رأينها ركضن لها...

شعرت بيد دافئة تعشقها تحيط كتفها، التفّت لتجده واقفًا ينظر لها بعينين حزينتين...

«ياسين»...

قالت له رغم أن شفتيها لم تتحركا:

-جاي تاخدني؟

ابتسمت وشعرت فجأة بطاقة المكان تتغير...

وقف «ياسين» أمامها، ومال بركبته لينظر في عينيها ويقول مطمئنًا:

-لأ ماتخافيش.. إنت لسه بدري عليك.

ونظر حوله إلى كل ما يحدث بحزن، ثم قال:

-أنا بس جاي أصلّح كل اللي بيحصل ده.

قالت متسائلة دون أن تحرك شفتيها، وهي تدرك أنها تهذي وأن هذا الحوار يدور داخلها فقط:

-هتعمل إيه وإنت مش موجود؟!

ليبتسم ابتسامة حزينة، ثم يغمز لها وتتسع ابتسامته قائلًا:

-طاقتي موصولة بيهم كلهم.. دول عشرة عمري.

لم تفهم، لكنها وجدته ينهض، يضع يده على كتف «يسرا».

أتت أكثر من رسالة في هاتف «يسرا»، نظرت إلى الهاتف منزعجة.. ثم اتسعت عيناها في تأثر. كانت رسالة من أم «ياسين».. مكتوبًا فيها:

«مش قادرة أشوفه.. قطّعيه إنت يا بنتي أمانة عليك».

رأت «سارة» «ياسين» يدفع ظهر «يسرا» المذهولة، التي نهضت دون أن تفكر وتذهب بسرعة خارج القاعة...

رأت «ياسين» يسير ببطء ذاهبًا إلى المعركة الدائرة بين الرجال...

رأت «محمد» قد قيّده «إسلام» و«عاصي» وأوقفاه، «محمد» يقاومهما بشدة لكنه لا يستطيع الإفلات.

وقف «علي» أمام «محمد» صديق عمره، وقال محاولًا أن يداوي قلبًا ملأه الجنون فانحرف:

-«محمد».. اهدا.. إيه اللي حصلك!

تورمت عينا «محمد» وسالت الدماء من فمه، نظر إلى «علي» وقال بعصبية:

-خليهم يسيبوني عشان أقتل بنت الكلب دي!

صاح «علي» وهو يشعر بعبثية الحديث مع «محمد» الآن:

-يا ابني ما تطلقها وترتاح!

قال «محمد» بسخرية:

-لأ تموت عشان تخرس!

صاح «إسلام» بغضب وهو يترك «محمد» فجأة:

-مافيش فايدة يا «علي» اسمع مني!

همّ «محمد» بمحاولة الإفلات عندما تركه «إسلام»، لكن «عاصي» كبّله من ظهره وأحاط رقبته بذراعه الحرة، عاد «إسلام» مع صرخة «أمل»، ليجده «علي» قد ألصق فوهة المسدس بذقن «محمد»، قال «إسلام» وهو يضغط المسدس على ذقنه:

-ها.. إيه رأيك والآية معكوسة؟!

لم يرتجف «محمد»، لم يُبدِ أي رد فعل، فقط ابتسم بسخرية وقال:

-أخيرًا فيه راجل فيكوا هيعملها!

ركضت «أمل» فجأة، وقفت أمام «إسلام»، تحمي «محمد» بجسدها وهي تصرخ:

-كفاية بقى.. كفاية بقى.. «سارة» بتموت!

نظر «إسلام» إلى «أمل» في عدم تصديق، ليقول «محمد» باستهانة:

-اسمع كلام حبيبة القلب!

نظر «إسلام» له بغضب، ألصق المسدس بذقن «محمد» أكثر...

لترى «سارة» «ياسين» ينظر إلى ما يحدث بنظرة حزينة، ثم يلمس بيده ظهر «إسلام»، ليغمض «إسلام» عينيه فجأة، يبتعد خطوتين إلى الوراء ويلقي المسدس في الأرض ويصرخ في «أمل» و«محمد»:

-إولعوا ببعض...

صرخ «محمد»:

-ابعدي عني يا بنت الكلب!

رأت «سارة» «ياسين» يقترب من «محمد»...

ويحتضنه...

دمعت عينا «محمد» وهدأت لغة جسده تمامًا، وهو ينظر إلى كل ما حوله في دهشة...

-«ياسين» مات!

صرخت بها «يسرا» وهي تقف أمام شاشة العرض الكبيرة في الفرح، جانبها منسق الأفراح يفعل شيئًا ما في الشاشة، التفتوا لها جميعًا...

وساد الصمت...

***

الخامس والعشرون

12:00 مساءً

«نودّع كل اللي فات.. لحد ما نبدأ من جديد».

عندما صاحت «يسرا» بالكلمة.. اختلفت ردود الأفعال كلها.

اتسعت عينا «عاصي» وهو يترك «محمد» وينظر إلى «يسرا» باستنكار، في عدم تصديق.. شهقت «أمل» في خوف وهي تنظر إلى «يسرا».. أطرق «علي» برأسه لأنه كان يعلم.. «إسلام» عقد حاجبيه وشعر كأن يدًا تعتصر قلبه...

لكن «محمد» هو مَن انهار على ركبته فجأة.. ونظر لها بعدم فهم.. في حين اقتربت «ريم» من «يسرا» تحدق فيها، وتقول:

-يعني إيه «ياسين» مات؟!

دمعت عينا «يسرا»، ونظرت لهم جميعًا وقالت:

-«ياسين» بقاله شهرين تعبان.. ماقالش لحد فينا.. كان عنده عملية النهارده وماطلعش منها.. ووصى أهله إن ماحدش يقول عشان فرح «سارة» يكمل...

ارتجفت قلوبهم جميعًا، ظهرت الدموع في عينَي «محمد»، في حين أشارت «يسرا» إلى المنسق أن يفعل شيئًا ما، ليضغط زر التشغيل...

لتملأ صورة «ياسين» الشاشات كلها في القاعة...

نظرت «سارة» إلى الشاشة وشهقت وعيناها تدمعان، وهي ترى وجهه يملأ الشاشة الكبيرة أمامها...

ولم يعد جرحها يؤلمها...

ضغط المنسق زر تشغيل الفيديو...

كان «ياسين» ينظر جانب الكاميرا، ويقول بابتسامة:

-يا ماما ريحيني...

صاحت الأم من خلف الكاميرا:

-بتشائم من اللي إنت بتعمله ده.. قولهم كل حاجة لما تقوم بالسلامة!

ليبتسم «ياسين» ابتسامة صافية ويقول:

-معلش يا حبيبتي.. حتى لو قمت بعد العملية.. هابقى أبعتلهم الفيديوهات عشان أذلهم بيها عادي!

ضحكت الأم بصوتٍ عالٍ، لينظر «ياسين» إلى الكاميرا، فشعروا جميعًا بأنه ينظر لهم، ويقول:

-الفيديو ده لكل صحابي في الشلة السودا اللي عملناها دي.. بس أمي هتقطّع الفيديو وتدي لكل واحد رسالته.. عشان الدنيا ماتتفضحش...

ابتسم «إسلام» بحنين وهو ينظر إلى «ياسين»، في حين أكمل «ياسين» بجدية:

-أنا آسف إني خبيت عليكم إني هاعمل عملية كبيرة زي دي.. بس فرح «سارة» كان أهم.. العملية فيها نسبة خطورة عالية.. فقلت احتياطي أقولكم حاجة كان نفسي أقولهالكم من زمان.. أنا طول عمري صندوقكم الإسود.. واللي مجمّعكم.. وأسرار الشلة دي كلها معايا.

وأشار إلى الكاميرا، لكنهم شعروا جميعًا بأنه يشير لهم، وهو يقول:

-إنتم شلة بنت كلب قوي!

دارت ابتسامة على شفاههم كلهم، ضحكت الأم رغمًا عنها، ثم قالت معترضة:

-يا ابني قلنا بلاش شتايم بقى.. قولهم كلاب عادي.. ليه الألفاظ دي؟!

تجاهلها «ياسين» وهو يكمل بابتسامة:

-بس أنا بحب كل واحد فيكم بأكبر عيب فيه.. ونفسي تحبوا نفسكوا بأكبر عيب فيكم إنتوا كمان.. عشان كده.. هاقول اللي جوايا من غير فلترة.. عاوزين تسمعوا براحتكم.. مش عاوزين.. براحتكم برضه.. مش فارقة معايا.

وأكمل وهو يحرك يده وهو يتكلم كعادته:

-يا «أمل».. أنا مش شايفك خاينة.. مافيش بشر يستحمل اللي استحملتيه.. بس شايفك سلبية.. عشان كان لازم تمشي من زمان قوي.

ارتجف قلب «أمل» وهي تنظر إلى «محمد»، ثم تعود بنظرها إلى الشاشة، ليكمل «ياسين»:

-عشان إنتِ من غير «محمد»، ست حنينة.. نضيفة.. بتحبي صحابك وجدعة معاهم كلهم.. بس مع «محمد».. محبوسة في زنانة مخلياك تعملي كل حاجة وحشة في الدنيا.. فعشان خاطري..

ماتختاريش إنك تكملي معاه مهما حصل.

بكت «أمل» أكثر، في حين ابتسم «ياسين» وهو يكمل:

-يا «محمد» يا «إسماعيل».. يا أطيب وأجدع خلق الله.. بحبك يا صاحبي.

هوت دمعة «محمد» لتمتزج بدماء شفتيه، ليكمل «ياسين»:

-إنت راجل زي الفل.. خدوم وأصيل وبتدي صحابك كل حاجة جواك.. أكتر واحد بتحب فينا كلنا.. وعشان بتحب من قلبك، مش عارف تسيبها.. عامل زي المدمن اللي بيحب الحاجة اللي بتدمره.. عشان خاطري يا صاحبي.. سيبها من غير أذى.. عشان لو ماعملتش كده.. الدنيا هتولع بينك وبينها.. وهتوصل إنك تبقى بني آدم ماتعرفوش عن نفسك.. وأنا مش عاوزك توصل لكده!

برك «محمد» على ركبتيه، بكى فجأة من قلبه بكاءً حارًا، رأت «سارة» طيف «ياسين» يميل عليه ويحتضنه، أكمل «ياسين» في الشاشة:

-إوعى ماتقطّعيش الفيديوهات يا ماما أو تبعتيها غلط.. الدنيا هتروح في داهية.. دي أسرار ناس دي.

ضحكت الأم وقالت:

-ماتقلقش يا ابني.

ابتسم «ياسين»، ونظر إلى الكاميرا مكملًا:

-«إسلام الحسيني» أجدع روائي في الدنيا.. كام مرة قلتلك

تكتب رواية عني.. وتخليني فيها بطل كده مش بطولة مشتركة زي «بضع ساعات»؟ وزي مانا اخترت اسم «بضع ساعات».. غصب عنك هتسميها «آن».. عشان أنا مؤمن إن الزمن هو البطل الحقيقي لحياتنا كلها، وإن كل حاجة ليها أوان بيتغير كل حاجة بعدها.

ضحك «إسلام» في حنين، في حين أكمل «ياسين» بهدوء:

-أنا عارف إنك كل يوم بتشك في موهبتك.. بس ماتبطلش تكتب عننا.. إحنا ماتريال حلوة قوي.. والناس بتحب تقرا اللي بتشوفه كل يوم.. إحنا بقى جيل ابن كلب.. فيه كل تناقضات الدنيا.. اكتب عننا عشان الجيل الجديد يتعلم مايبقاش زينا.. وصدقني.. هتكسب الراجل اللي مابتحبوش ده في المبيعات.. ودار النشر هتخليك أحسن كاتب في الدار.

ابتسم «إسلام»، ورغم عدم منطقية الأمر، أرسل قُبلة في الهواء له، كأن «ياسين» سيراها، أكمل «ياسين» بهدوء:

-يا «عاصي».. ويا «ريم».. لو سيبت لكل واحد فيكم رسالة لوحده كده كده هتشوفوها سوا.

وغمز بعينيه مكملًا:

-«ريم» هتشك فيا وتفضل تزن عليك توريها أنا قلتلك إيه.. فإنت هتوريها يا «عاصي».. عشان إنت مابقتش «عاصي» بتاعنا.. بقيت «عاصي» بتاعها.

صاح «عاصي» يرد عليه بابتسامة حرة:

-مابقتش يا صاحبي.

دمعت عينا «ريم» في حزن، ليكمل «ياسين» بهدوء:

-مش هاقولكم سيبوا بعض.. بس هاقولكم ماتكملوش لو «ريم» ماتعلمتش تثق في «عاصي».. «عاصي» نضيف قوي.. بس لما تفضل تزن على النضيف وتشوفه وحش.. هيبدأ يبقى وحش عشان يثبتلك إنك صح!

والتفت وراء الكاميرا وقال مازحًا:

-كنت هاقول «لما تزن على النضيف وتشوفه وسخ».. بس شفَّرتها عشانك يا ماما أهه.

سمعوا صوت الأم تقول بابتسامة:

-شاطر يا حبيبي.

ليلتفت «ياسين» إلى الكاميرا ويكمل:

-فماتدوسيش على «عاصي» لحد ما يبقى وسخ يا «ريم»!

ابتسموا جميعًا وهم يسمعون الأم تلومه، في حين نظر «عاصي» إلى «ريم» التي نظرت له حائرة، ليكمل «ياسين» بعد فترة صمت:

-«يسرا».. أنا بموت فيكِ...

ارتعش قلب «يسرا» وهي تنظر إلى الشاشة، ذلك الحنان الذي نطق به جملته، ضرب قلبها مباشرةً، ابتسمت وسط دموعها في مشهد سريالي غير منطقي، ليكمل «ياسين» بهدوء:

-مش هاعرف أقولها صراحة، عشان أمي هتقتلني.. بس أنا

حاسسها وعارفك أكتر من نفسي.. من ساعة ما عندتِ مع الدنيا وبقيتِ رقاصة.. لحد ما ذستِ على قلبك عشان تخلي كل صحابك عايشين أحسن.. أنا وإنت شبه بعض في دي.. بس عيبنا.. إننا بننسى نفسنا!

ولأول مرة يظهر على وجهه الحزن، وهو يكمل:

-وأنا مش عاوزك تتعبي زيي...

اعتدل في فراشه برداء المستشفى الذي يرتديه، لتدمع عينا «يسرا» أكثر وهو يكمل:

-هحاول أبقى غامض بس عارف إنك هتفهميني.. لما تحسي إنك بتحبي.. لما تفهمي اللي جواك.. صدقيه.. وماتخافيش.. ماحدش هيلومك.. عشان أصلًا.. حياتنا أقصر من إننا نكدّب قلبنا عشان الأصول.

اتسعت عيناها في ذهول.. هل يُلمِّح لما تشعر به تجاه «علي»؟ مستحيل...!

هي لم تخبره بشيء قط...

بل لم تعترف بذلك لنفسها من الأساس!

هل كان يلاحظ دون أن يقول؟

تنحنح «ياسين» لحظاتٍ، ثم قال باسمًا بحنان:

-«سارة»...

كانت «سارة» قد استندت إلى «أحمد» زوج خالتها، وجلست على

مقعد، تشعر بأن النزيف قد توقف، لم تعد تشعر بألم وهي تنظر إلى الشاشة بروحها كلها، ليقول «ياسين» بهدوء:

-«علي» هو اللي طلب مني أبعد.. فسامحيني على كل الوعود اللي وعدتهالك إني هافضل جمبك لآخر العمر.. عشان أنا بني آدم ماحدش بيحس بيا من كتر ما أنا «عادي».. لا بضايق حد ولا بسيب حد يضايقني.

ورفع عينيه إلى الكاميرا، بحُب الدنيا، وقال:

-بس أنا وعدت نفسي إني هابقالك لحد ما أبقى مش بتنفس.. عشان عمري ما حبيت... ولا هاحب غيرك.

بكت «سارة»، رأته وهو يخبرها بهذا الكلام في الطريق، ظنت أنها تتخيله، لكنه قاله فعلًا في الفيديو، أكمل وعيناه تقطران حبًا:

-ومش عيب إني أعترف إني بحبك وأنا مش موجود.. لو فُقت من العملية كده كده مش هابعت حاجة...

قالت الأم صائحة:

-هتقوم إن شاء الله.

ليبتسم «ياسين» وهو يقول بعصبية ساخرة:

-قلتلك أسجل أم الفيديوهات دي لوحدي.. ينفع تفصلي المود كده وأنا بقولها بحبك؟!

قالت الأم معتذرة:

-خلاص خلاص مش هاتكلم تاني.

نظر حوله لحظاتٍ في حيرة، ثم نظر إلى الكاميرا وقال ببساطته:

-كنت هاقول كلمة تقشعر كده بس أمي فصلتني.. خدي بالك على نفسك يا «سارة».. أنا هافضل جمبك طول عمري.. وحتى لو عمري خلص.. هاطلع فوق أقولهم خلوني جمبها.

قالت الأم:

-يا ابني استغفِر الله إيه اللي بتقوله ده!

نظر لها «ياسين» بغضب حقيقي، ثم قال وهو يشير إلى الكاميرا:

-اقفلي يا ماما.. اقفلي...

ظهرت يدها تعتذر له، لينظر «ياسين» إلى الكاميرا ثانيةً، قبل أن يبتسم وهو يقول:

-خدوا بالكم على نفسكم.. افتكروني دايمًا.. حتى لو طلعت زي الفل افتكروني.. بقالكم كتير كل واحد فيكم مسحول في دنيته وناسيني شوية.. أنا آه ماقلتلكمش إني تعبان.. بس ماحدش فيكم خد باله.. يا ريت لما أطلع ألاقيكم حواليا.. ونرجع صحاب زي الأول وأكتر.. بحبكم.

وغمز بعينيه وهو يكمل:

-انبسطوا في الفرح.. عشان زي ما قالت ستكم ماجدة الرومي.. راح اللي راح.. ماعدش فاضل كتير...

لينتهي الفيديو...

وينتهي كل شيء في القاعة بعده...

***

السادس والعشرون

نختم...

في اليوم التالي، في تلك القاعة المنقسمة بين الرجال والنساء.. حضر العزاء عدد كبير من أصدقاء «ياسين»... وعدد أكبر ممن يتذكرونه بالخير دائمًا.

جلست «سارة» مرتديةً السواد، على أحد المقاعد بعد أن عانقت أم «ياسين» في حنان.. سارت ببطء بسبب جرحها الذي لم يُشفَ بعد بسبب الطلقة، وجدت «أمل» تجلس باكية في صمت، جانبها «يسرا» التي نهضت ما إن رأتها وأجلستها جانبها وهي تربّت على قدمها.

لينظرن الثلاثة إلى بعضهن بعضًا.. يتشاركن دمعة حزينة.

تأملت «سارة» العدد الكبير، وابتسمت في حنان.. لم تكن تعرف أن «ياسين» محبوب إلى تلك الدرجة...

وشردت رغمًا عنها...

***

بعد أن انتهى الفيديو، وجدت «سارة» «محمد» ينهض من جلسته، يذهب ليجلس إلى المنضدة جانب الشيخ «محمود»، يخبره بنبرة هادئة أن يطلقه من «أمل».

وينظر إلى «أمل» مكملًا:

-وهتشوف العيال.. بس مالهاش حقوق عندي.

لتوافق «أمل» دون تردد...

في أثناء تطليقهما، سندوا «سارة» لتصعد إلى غرفتها، ساعدوها في خلع فستان الزفاف، واهتم «عبد الوهاب» بجرحها عندما أتى

المسعفون داخل القاعة، وصعدوا معهم.

قال لها إنها أربع غرز طبية في جانبها، ستأخذ وقتها ثم تُشفَى تمامًا.

ثم قال لها إنه سيهبط الآن لتكملة إجراء طلاقها من ابنه.

لتبتسم «سارة» وتشكره.

وتركوها في الغرفة وحيدة.

تنظر إلى القمر...

***

فاقت «سارة» من شرودها لتعود إلى العزاء وتتأمل مَن حولها...

نظرت إلى «أمل» التي تنظر إلى الأرض، تدمع في صمت...

لكنها كانت تبدو أقوى.. وأكثر راحة.

نظرت لها «أمل» وقد شعرت بنظرة «سارة»، وابتسمت لها ابتسامة حزينة.

***

بعد طلاقها من «محمد» في القاعة، وهي تراه يقول رسميًا إنه يطلقها؛ شعرت «أمل» بالضياع فجأة...

نظرت حولها، لم تجد «يسرا» أو «سارة»، لكنها وجدت «إسلام» يقترب بثقة دون أن يبالي بـ«محمد»، ويأخذها من يدها ليسيرا خارج القاعة تمامًا.

لتبكي في صمت...

سار «إسلام» جانب «أمل» في صمتٍ تام احترامًا لما تشعر به.. حتى وصلا إلى عربته.. التفت لها وعيناه دامعتان، وقال بابتسامة حزينة:

-أنا هاعمل وصية «ياسين».. هاكتب عن اللي حصل النهارده.

قالت «أمل» وهي تنظر إلى عربته:

-طبعًا.. ولما هتكتبه ماحدش هيصدق إن ده حصل أصلًا.

أومأ «إسلام» برأسه في تفهُّم، وقال بهدوء:

-كده كده ماحدش بيصدق.. أحسنلهم يشوفوا إن كل ده مفتعل ومش حقيقي.. بس خليهم في دنيتهم اللي مصدقينها.

وغمز بعينيه قائلًا:

-وأنا هافضل في دنيتي اللي مصدقها.. وبكتب عنها.

بدا عليها الشرود كأنها لم تسمعه، فسألها «إسلام» بهدوء:

-حاسة بإيه؟

فتح لها باب السيارة، فنظرت له «أمل» لحظاتٍ مفكرة، ثم قالت وهي تحاول أن تتماسك:

-كنت فاكرة إني هابقى متدمرة عن كده.. بس حاسة إني مرتاحة.

جلست «أمل» على مقعد السيارة لحظاتٍ، ثم خرجت ثانيةً وقالت وهي تنظر إلى إسلام برجاء:

-ممكن تعلمني السواقة؟ «محمد» كان بيرفض دايمًا.. بس دلوقتي لازم أتعلم عشان أعرف أتحرك بالعيال.. وأعتمد على نفسي في كل اللي جاي...

نظر لها مبتسمًا، وقال بهدوء:

-حاضر.. يلا بينا.

نظرت له غير مصدقة، وهو يمد يده بالمفتاح، أمسكت المفتاح ونظرت له نظرة تائهة، فقال «إسلام» متعجبًا:

-إيه مالك؟

نظرت له نظرة غير مصدقة، وقالت بابتسامة جانبية:

-أول مرة حد يثق فيا في حاجة.. من يوم ما اتولدت وهم شايفين إني دايمًا هابوظ الدنيا.. أمي.. أخويا.. «محمد».. عمرهم ما وثقوا فيا إني أعمل حاجة لوحدي!

ابتسم «إسلام» وهو يذهب إلى المقعد بجانب السائق:

-لو ماوثقتش في أختي هاثق في مين يعني يا «أمل»!

ابتسمت في تقدير، ذهبت إلى الناحية الأخرى حيث كرسي السائق، وعلى شفتيها ابتسامة واثقة.. ابتسامة جعلتها تدرك أنها ستستطيع أن تعيش وحدها.. تحارب كل أخطائها، وتحب نفسها قليلًا.. كما قال لها «ياسين»...

رحمه الله...

ليفاجئها إسلام بنظرة حانية:

-إنت كنت برج إيه صح أنا نسيت؟!

لترد هي بعد ضحكة قصيرة وهي تضع المفتاح في العربة:

-كويس إنك نسيت.. أنا مش عايزة أفتكره.

ليبتسما وينظرا إلى بعضهما بعضًا...

***

ابتسمت «أمل» في العزاء وهي تتذكر...

في حين كانت «يسرا» تنظر إلى «علي» الذي يقف بالخارج مع «عاصي» يستقبلان المُعزِّين، وتستطيع أن تلمحهما من مكانها.

نظر لها «علي» فجأة، لترتبك وتنظر في الأرض، وتضاربت مشاعرها تمامًا.

ليبتسم «علي»...

***

تابع «علي» «محمد» بنظرة آسفة، ما إن خرج «محمد» ومَن يصحبونه من القاعة، حتى ذهب إلى الشيخ «محمود» ونظر له نظرة راجية أن ينهي طلاقه هو الآخر.

أنهى «علي» إجراءات الطلاق مع «أحمد» وكيل «سارة».. ظل المأذون يتندر أنه أول مرة في حياته يطلق زوجين في نفس حفل الزفاف!

وما إن انتهى حتى خرج من القاعة المشؤومة، ووجد نفسه يذهب

إلى غرفة «يسرا»...

دون أن يقرر ما الذي سيقوله.. أو يفعله...

لذا عندما فتحت «يسرا» باب غرفتها ونظرت له باكية، قال بقوة:

-«ياسين» كان بيتكلم عليا صح؟

دمعت عينا «يسرا» دون أن ترد، لكن عينيها اعترفتا بكل شيء، فابتسم هو وقال بهدوء:

-إنت عارفة «عبد الوهاب» هيعمل فيا إيه لو قلتله إني عاوز أتجوز رقاصة؟

ضحكت رغمًا عنها، ليقول لها:

-بعد اللي حصلي مع «سارة» هابقى صريح بزيادة...

وابتلع ريقه وهو يكمل:

-إنتِ ملاكي الحارس.. ومش هاخاف أقولها لإني مش ناوي أسيبك وأمشي.. بس لو هنشوف اللي إحنا حاسينه ده إيه...

وأشار إلى البذلة المعلقة بالداخل على المرآة وقال:

-موضوع الرقص ده هيتنسي تمامًا.

نظرت له «يسرا» بحيرة، مسحت دمعتها ثم ابتسمت، وقالت:

-عارف آخر واحد قالي الكلمة دي إيه اللي حصل؟

نظر لها متسائلًا، فقالت:

-عندت معاه وفضلت طول الليل أكلم «بحر»!

ارتبك لحظاتٍ، فابتسمت وهي تقول:

-لسه بدري على ما أعرف وإنت تعرف إيه اللي إحنا حاسينه ده.. مستحيل أي حاجة تحصل بينا دلوقتي يا «علي».

قال بهدوء وهو يبتسم:

-وأنا ماعنديش مشكلة أستنى لحد ما أنا كمان أعرف إيه اللي أنا حاسه...

ابتسمت «يسرا» لتعقُّله، ثم قالت بحسم وكلمة «ياسين» تدوِّي داخلها:

-بس اللي أقدر أقوله إني أنا كمان عاوزة أسيب الرقص.. مش عشانك.. عشاني.

ليبتسم «علي» وهو ينظر لها، فتبتسم هي الأخرى ابتسامة حزينة...

مرهقة...

***

لاحظ «عاصي» في العزاء تلك النظرة المتبادلة بين «علي» و«يسرا» لكنه لم يعلق ولم يبالِ.

لم يستطع النوم، وما إن أشرقت الشمس حتى ذهب إلى بيت «ريم»، جلس مع «عبد الوهاب» الذي بدا عليه أنه كبر أعوامًا.

أخبره بكل شيء.. أخبره بأنه رغم بداية قصة حبه مع «ريم» كانت عظيمة، فلا بد لها من نهاية...

استقبل «عبد الوهاب» الحديث بابتسامة طيبة، ثم قال ما كان «عاصي» يتوقعه:

-بصراحة يا ابني أنا كمان كنت خايف عليها منك.

ليبتسم «عاصي» في راحة، ويضع دبلته ودبلة «ريم».. ونام حتى ميعاد العزاء الذي يقف فيه جانبه «عبد الوهاب» و«علي» الآن...

وشعر بالراحة لعودته إلى قلبه اللامبالي بكل ما يحدث حوله...

وتذكّر...

***

خرج «عاصي» من القاعة بعد أن اطمأن أن «محمد» طلق «أمل» و«علي» طلق «سارة»، واطمأن على «سارة»، وذهب ليُحدّث «ريم» محادثة لم تدم أكثر من عشر دقائق. تركها وذهب إلى «آية» التي كانت تنتظره في فضول.

قالت «آية» بفضول لـ«عاصي»:

-قلتلها إيه؟

ابتسم «عاصي» وهما يسيران متجاورَين جانب سور الاستاد:

-قالتلي إنها مش هتعرف تثق فيا عمرها كله مهما عملت.. وإنها اكتشفت إنها عمرها ما حبتني.. فسيبتلها الدبلة ومشيت.

هزت «آية» رأسها في أسف، قالت بنبرة معتذرة:

-أنا آسفة...

استنشق «عاصي» الهواء البارد بحرية، وقال مبتسمًا:

-إنت كنت حرية نفسي فيها من زمن...

لتبتسم «آية» وتقول بهدوء:

-وإنت كنت حتة عقل محتاجاها تظبطني شوية.

ابتسم من جملتها، حرك ذراعه في حركة تدعوها لتأبُّط ذراعه، فتأبطت ذراعه بابتسامة، ليقول هو:

-وعشان بقينا صحاب بقى.. عاوزك تعلميني كل حاجة الجيل بتاعكم ده بيعملها وبيحبها.. مش عاوز أكبر أبدًا.

وقال متسائلًا:

-إنتِ قلتيلي اسمكم إيه؟

قالت وهي تتنحنح:

-gen z...

أومأ برأسه متفهمًا، وقال وهو يشيح بيده:

-جامد طرش...

ضحكت «آية» في سخرية، فنظر لها متسائلًا، وقال بفضول حقيقي:

-إيه بقولها غلط؟

لتومئ «آية» برأسها أن نعم، فيبتسم «عاصي» وهو يكمل سيره:

-يبقى هاسيبك تعلميني...

وظلا يسيران معًا دون جهة ما، ولا هدف معين...

***

في قسم التجمع الخامس، في زنزانة احتياطية، جلس «محمد» على الأرض ونظر إلى السقف...

يردد بصوتٍ خافت القرآن الذي يدوّي من مذياع صغير جانبه، توسط له أحد أصدقائه في القسم أن يُدخِله له.

كان يريد أن يشعر بأنه في عزاء صديقه الذي يعلم أنه في نفس هذا الوقت.. ولن يستطيع حضوره.

بعد أن طلق «محمد» «أمل» في القاعة، دخلت عليهم الشرطة بهدوء، ما إن رآهم «محمد» حتى ابتسم في راحة، وذهب لهم، سلّمهم مسدسه وجلس على ركبتيه تاركًا إياهم يأخذونه ويضعون الأصفاد في يديه.. نظر لهم معتذرًا وعيناه تدمعان.

أكثر مَن تأثر بما قاله «ياسين».. كان هو...

شعر كأن هناك مَن أعاده إلى نفسه، فاستفاق على آلام مبرحة في جسده ورأى عيون جميع الأصدقاء الذين بنى معهم حياة كاملة من المحبة، ينظرون له بخوف وغضب واحتقار...

فعاد إلى نفسه دون أن يدري.. كما فقد نفسه دون أن يدري.

ابتسم برضا وتركهم يأخذونه بعيدًا عن كل هذا الألم.

لم يشعر بشيء.. بل إنه شعر براحة غير مبررة.

سمع صوت المزلاج يُفتَح، نظر إلى باب الزنزانة في ضيق، ليجد صديقه الرائد «حمدي» يدخل بابتسامة طيبة، لم يبادله الابتسام، سحب «حمدي» كرسيًا وجلس بالقرب منه وقال:

-إزيك يا «محمد» بيه؟

لم يرُد «محمد» وهو يردد القرآن لروح «ياسين»، فخفض «حمدي» من صوت المذياع قليلًا، ليلتفت له «محمد» بضيق حقيقي، وقال:

-أنا في عزا صاحبي اللي مش عارف أحضره!

أومأ «حمدي» برأسه متفهمًا. قال برفق:

-تحب نروح سوا تحضر العزا؟ هنبقى سوا وتوعدني ماتهربش.. أنا بثق فيك يا «محمد».

سالت دموع «محمد» غزيرةً، هز رأسه أن لا في بطء، رغم أن قلبه يتم اعتصاره ألمًا كل دقيقة لأنه لن يحضر عزاء «ياسين» صديقه، قال «محمد»:

-لأ.. شكرًا يا «حمدي».. بس أنا أستاهل اللي أنا حاسه دلوقتي ده.

جلس «حمدي» جانبه على الأرض، ينظر نظرة حانية إلى «محمد»، قال بهدوء:

-إيه اللي حصلك؟ في إيه؟

قال «محمد» شاردًا:

-أنا طول عمري ظابط محترم قوي يا «حمدي».. عشان من وأنا صغير كنت بشوف الظابط ده مثال للشرف.. وبيحمي الناس كلها من المجرمين...

قال «حمدي» مؤيدًا:

-طبعًا.. إنت شمعتك زي الفل يا «محمد».

تأمل «حمدي» الذي نظر له في عدم فهم، ليبتسم «محمد» ويقول:

-بس أنا إمبارح سِبت نفسي أقع وقعة وحشة قوي.. ولازم أتعاقب عشان ماكررهاش عمري كله تاني.

ورغم قسوة كلامه، شعر «محمد» بأنه عاد إلى نفسه ثانيةً.. ابتسم ابتسامة هادئة وهو ينظر إلى صديقه:

-أنا سلِّمت مسدسي إمبارح.. خد بالك عليه.

ابتسم «حمدي» في هدوء، تركه في الزنانة وخرج بعد أن ربّت على كتفه، في حين نظر «محمد» إلى القضبان التي بدأ القمر في الظهور خلفها.

وأقسم إنه لن يسمح لنفسه بأن يختار النصف السيئ منه ثانيةً...

***

وقف «إسلام» يأخذ العزاء جانب «عاصي»، الذي وقف جانبه عندما تعب أبو «ياسين» وجلس قليلًا...

أتى «باسم»، صديقهم الأصم والأبكم بصحبة «أحمد السيد» وزوجته، عانقهما «إسلام» بقوة وقد افتقدهما حقًا، مرت عشر سنوات منذ أن رآهما.

ابتسم في حزن...

دائمًا ما كان «ياسين» يجمع البشر حوله، مهما اختلفت طباعهم.

ضربت نسمة هواء باردة وجهه، فأخذ نفسًا عميقًا وهو يتذكر...

***

بعد أن جعل «إسلام» «أمل» تقود العربة حتى بيتها، ودّعها بابتسامة جميلة، وانتظرها حتى صعدت إلى مبناها.

همّ بأن يركب عربته لكنه توقف للحظات مفكرًا وهو ينظر إلى تلك الفيلا المميزة.. أمسك الهاتف، ثم طلب رقمه...

ضرب الجرس فترة طويلة، فقد فيها «إسلام» صبره، ثم سمع صوته العميق المرهق يرد بلا مبالاة:

-عاوز إيه؟

صمت «إسلام» لحظاتٍ، نظر إلى الطريق الفارغ أمامه، آخره تلك الفيلا التي يعلم أنه يسكن بها، فيلا مميزة بسبب آثار احتراقها قبلًا. ابتسم «إسلام» بحقة فجأة وهو يقول دون أن يفكر:

-أنا هانزّل الرواية الجديدة.. وإنت بقالك 8 سنين مبطل كتابة.. وأكتر حاجة بتخنقني إني مهما نجحت.. عمري ما هاحس بالنجاح غير لما أعدّيك!

انتظر ردًا، لكنه لم يسمع سوى صوت أنفاسه الثقيلة، أخذ «إسلام» نفسًا عميقًا ثم قال:

-حبيت أقولك إني بقيت بلعب وبتدخّل.. وبقيت كاتب حقيقي.. بس عندي ليك نصيحة لو تحب تسمعها...

وابتسم وعيناه تظهر فيهما دمعة لا يفهم سببها:

-الكاتب الحقيقي عمره ما يبطل كتابة.. الكتابة لعنة مابتسيبش صاحبها غير لما يموت!

وأخذ نفسًا عميقًا، وهو يقول بثقة وبنبرة ساخرة متحدية:

-فأنا مش هاكلمك تاني غير لما أحس إنك تستاهل.

سمع صوت ضحكته الساخرة، فابتسم «إسلام» للحظة بثقة، يعرف أن ضحكته تُعبّر عن تحدٍّ حقيقي ينشأ الآن، ولا يعلم أحد نهايته، سمع صوته العميق المرهق يرد بهدوء:

-مبروك روايتك الجديدة.. لو دماغي صح هتبقى الجزء التاني من الرواية اللي عجبتني...

اندهش «إسلام» من دِقته، تحول الصوت فجأة إلى قوة لم يفهمها وهو يكمل:

-بس مش أنا اللي أخسر قدامك يا «إسلام» يا «حسيني».. وعمرك ما تحلم تعذّيني!

وأكمل بصوت يفيض بالقوة:

-أنا راجع تاني...

سرت قشعريرة في جسد «إسلام»...

فبتلك الجملة البسيطة...

أعلن ذلك الكاتب الذي كان يحلم بلقائه.. أنه يعتبر «إسلام» منافسًا...

وأنه سيعود إلى الكتابة ثانيةً...

***

انتهى العزاء...

وقفوا جميعًا ينظرون إلى تجمُّعهم...

«سارة» و«يسرا» و«أمل» و«عاصي» و«إسلام» و«علي»...

نظروا إلى المكان الرئيسي الذي كان يحتله «ياسين» دائمًا وسطهم، حيث يلتفون حوله دائمًا باختلاف طباعهم.

وشعروا بأن خلو المكان من روحه الحانية يُشعِرهم ببرودة غير منطقية...

ودّعوا بعضهم بعضًا.. دون كلام كثير...

أمامهم أيام طويلة ليدركوا فيها كل ما حدث في تلك الليلة المشؤومة...

في بيتها، ورغم ألمها، نهضت «سارة» من فراشها، وذهبت إلى الشرفة، ونظرت إلى القمر الذي عاد لينير السماء.

وابتسمت...

-مضروبة بالنار ومطلقة وعذراء؟ فاضلك إيه يا «سارة»؟!

ارتجف قلبها بحب، وهي تنظر جانبها، لتجد «ياسين» يقف ويستند إلى السور مثلها وينظر إلى القمر...

قالت بعينين مُحبتين:

-ماتبقاش تختفي تاني كده!

ابتسم وقال بهدوء:

-يبقى إوعي تنسيني!

ابتسمت بحب، شعرت بيده تحاوط كتفها وتشعرها بالدفء.

قالت بهدوء وهي تتأمل القمر:

-إنت عارف إني حاسة إنك لما بتختفي وتسيبني.. بتروح تقعد هناك وتفضل تتفرج عليا.

أراحت رأسها على كتفه التي تشعر بها ولا تراها، قال بنبرته الحانية:

-هنعمل إيه بعد كده؟

أغمضت عينيها وهي تشعر بلمسته، قالت بابتسامة عابثة:

-هنمشي لحد ما نبقى مش شايفين القمر...

ضحك لتشعر هي بأنها تفتقد ضحكته بشدة، ويقول:

-بس كسوف زي ده مش هيحصل إلا كمان عشرين سنة.

ابتسمت وهزت كتفها بلا مبالاة، وقالت:

-يبقى نمشي مع بعض لحد ما ييجي وقته.

ونظرت إلى عينيه الحانيتين وقالت:

-مش عاوزة حاجة من الدنيا غير إني أروحلك يا «ياسين».. وهافضل مستنية عمري كله.

ابتسم بهدوء، فنظرت هي إلى القمر ثانيةً، وقالت وهي تتوقع رده:

-ثم؟

لتشعر بابتسامته، وهو يقول:

-ثم لا شيء بعد ذلك...

ووقفت وحدها تتحدث مع حبيب تفتقده، وروح ستظل جانبها، تحميها طوال عمرها...

بحبٍّ لن يشعره أيٌّ منهما لأحد في الحياة ثانيةً...

ولم يدركا قوة ذلك الحب داخلهما بالفعل، إلا عندما انتهى ذلك اليوم اللعين...

في بضع ساعات...

في يومٍ آخر...

***

تمّت بحمد الله...

1-6-2024

إهداء

العائلة:

أبي «أحمد صادق»، أمي «ماجدة الباز»، أختيّ: «سها صادق» و«نهى صادق»،

والأطفال: «أحمد الصاوي»، «مريم موسى»، «جنى الصاوي»، «ياسين موسى».. وأخيرًا «هنا وسارة موسى»، أحبكم.. سيظل الإهداء الأول لكم دائمًا.

الأصدقاء:

«نورهان أبو بكر».. «ناريمان أبو بكر».. «شيماء المارية».. «محمد بكر».. «مريم يوسف»..

الكاتب «رامي أحمد».. الكاتبة القادمة «فيروز أبو المكارم».. الكاتب «أحمد ماجد نجاتي».. الكاتب «ياسر عمرو».. الكاتبة «ميرنا أحمد».. والكاتب «أحمد قدوة».. «رويدانا مدحت».. «جينا متري»...

لولا وجودكم وملاحظاتكم ما كنت استطعت أن أكمل هذه الرواية؛ هذه السنة كانت مليئة بالضغوطات، فلولا وجود السطر الأول وتشجيعه المستمر والدعم دون مقابل.. ونصائح البقية عند القراءة.. لأخذت هذه الرواية أعوامًا أطول وأطول في الانتهاء...

وأخيرًا...

القراء.. هذه السنة أحب أن أشكركم أنتم.. فيلم «بضع ساعات في يومٍ ما» بعد سنين من الانتظار بين أيديكم.. وهذه الرواية أيضًا...

كل هذا أدين بالفضل فيه لكم أنتم.. لولا محبتكم ودعمكم لما استطعت أن أعبّر عن كل ما يدور في عقلي من جنون.

لذلك...

شكرًا لجنونكم الذي يجعلكم تقرؤون لمجنونٍ مثلي...

في انتظار رأيكم في كل شيء.. وانتقادكم أيضًا لأني أستفيد من كل حرف من آرائكم.

وإلى لقاءٍ في رواية قادمة بإذن الله...

للتواصل مع الكاتب

instagram.com/_mohamedsadek



facebook.com/MOHAMEDSADEK25

